القضية الفلسطينية
رؤية إسلامية

المكتبة التاريخية السياسية

الكتاب الأول

القضية الفلسطينية

رؤية إسلامية

الأستاذ

حسني محمد العطار

الطبعة الثانية

رفح-فلسطين

١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م

0599920845

اسم الكتاب: القضية الفلسطينية.. رؤية إسلامية

اسم المؤلف: حسني محمد العطار

الطبعة الاولى ٢٠٠٩م مصر

رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٩/٢٠٤٢٧

الترقيم الدولي: ٩٧٨ - ٩٧٧-٦٣٥٧-١١-٥

الناشر: صوت القلم العربي

سنة النشر: ١٤٢٠هـ -٢٠٠٩م

الطبعة الثانية: مؤسسة نافذ للبحث والطباعة والنشر

سنة النشر: ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م

تنسيق الكتاب وتصميم الغلاف: د. نافذ الجعب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾

الأنبياء الآية: ٧١

إهداء

إلى روح صاحب الفضيلة العالم المجاهد

الشيخ

رجب أحمد العطار

قصة كتاب

القضية الفلسطينية ..رؤية إسلامية

هذا الكتاب قمت بنشره في مصر قبل أربع عشرة سنوات، ولم أتمكن من نشره في فلسطين لظروف أهلها، وعدم شغفهم بالقراءة أفراداً أو مؤسسات حكومية أو أهلية، وقد حملت مسودة الكتاب وطرقت أبواب المكتبات والتنظيمات وخصوصاً حماس والجهاد الإسلامي، ووزارة الثقافة فلم يعرني أحد أي اهتمام، الكتاب يتناول موقف الإسلاميين من القضية الفلسطينية.

سبب تأليفه أنني بعد عودتي إلى أرض الوطن عملت معلماً في وزارة التربية والتعليم بداية في ثانوية المنفلوطي بدير البلح لمبحث التربية الإسلامية، ومحاضراً جامعياً، وخصوصية هذا المبحث أنه يفتح المجال لمناقشات متنوعة وكثيرة، وخصوصاً إذا كان المعلم منفتح العقلية رحب الصدر، وهذا ما كان، ومع الأيام تكون عندي انطباع عام حول مستوى معرفة الطلاب بتاريخ المقاومة والصراع العربي الفلسطيني الصهيوني، وأن تاريخ الكفاح المسلح تبدأ في عقلية الكثيرين من الأول من يناير ١٩٦٠م تاريخ الانطلاقة لفتح، وما قبلها لا يعرفون شيء، وغير المنظمات الوطنية لا يعرفون شيء.

حينها وعلى مدار عدة أشهر بدأت تتبلور في ذهني أن أكتب في موضوع مقاومة المشروع الصهيوني من لحظته الأولي حتى انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م وما بعدها بخمس سنوات، وفعلاً قمت بتجميع المادة العلمية من مراجع ومصادر وموسوعات ولقاءات شخصية، وبدأ المشروع يكبر شيئاً فشيء وقد ظننته لا يتجاوز عدة صفحات وإذا به يتجاوز ثلاثمائة صفحة، تحدثت فيه عن دور الجمعيات والجماعات الإسلامية قبل الـ ٤٨م في مقاومة الاستيطان الصهيوني وعن بعض الشخصيات البارزة، تحدثت عن دور الإخوان

المسلمين، وما بعد الـ ٤٨م تحدثت عن الجماعات الإسلامية في الداخل المحتل، وعنهم في غزة.

أفردت الحديث بشكل مفصل عن حركتي حماس والجهاد الإسلامي، الكتاب يستحق القراءة لكن كون المؤلف لا ينتمي تنظيمياً لأي تنظيم لم ينل الكتاب القدر الكافي من الاهتمام، مما جعلني أقوم بنشره على نفقتي الشخصية، كان للقائد القسامي رائد العطار رحمه الله رغبة في تعميمه على عناصر القسام بعد أن اطلع عليه وأعجب به، لكن كثرة الأحداث والحروب حالت دون ذلك.

ما زلت على أمل أن يتنبه له بعض المخلصين ويعمل على إعادة نشره من جديد حتى تعم الفائدة والمنفعة، والكتاب جيد للمتخصص والمثقف والقارئ العادي.

مُقدِّمة

الحمد الله وكفى والصلاة على نبيه المصطفى أما بعد:

فلسطين هذا الاسم العظيم وهذا الموقع العظيم الذي تهفو إليه كل النفوس عربية وغير عربية. وكلٌ يدعي أنه الحبيب المخلص والابن البار. المسلم يدعي حبه لفلسطين، واليهودي يدعي حبه لفلسطين والمسيحي يدعي حبه لفلسطين، شعوب الدنيا تتهاوى إلى فلسطين، إمبراطوريات العالم القديم والحديث تتصارع حول فلسطين، كم من ظلم وقع عليها ممن أحبها، وكم من ظلم وقع عليها ممن أبغضها، وبين من أحبها وبين من أبغضها عاشت هذه البقعة من الأرض في هرج ومرج لا تعرف لها مستقراً واتجاهاً. حتى جاءها العرب المسلمون فأقاموا فيها دولة الرحمة والعدل وعاش أهلها أزهى عصورها استقراراً وأماناً، وهذا ما يتلاءم مع هذه البلاد، ما جاءها ظالم إلا واندحر مهزوماً وما بغاها ظالمٌ إلا قصم ظهره.

إن الكتابة عن فلسطين بالنسبة لي ذات شجون كبيرة وعميقة، كوني فلسطيني أكتب وأنا في داخل معمعة الأحداث وقد أصابني من ظلم الأعداء ما أصابني في نفسي وجسدي من اعتقال إداري ومحاكمة عسكرية وحبس، وما أصابني في جسدي من اصابات بليغة ما زالت آثارها باقية لن تمحى ([1])، وقد أخذت الكتابة مني كل جهد نفسي وعقلي وجسدي، ما

---

[1]. تعرض الكاتب لعدة اعتقالات إدارية تم من خلالها مصادرة أجزاء من مكتبته الخاصة، وبعض ممتلكاته، عُرض في نهايتها للمحاكمة العسكرية بتاريخ ١٩٨٤/٦/١٩م انتهت بالحكم عليه بالسجن والغرامة.

رقم الملف العسكري ٨٤/١٠٩ رفح.

رقم ملف النيابة ٨٤/٣٩٩.

رقم الملف الجزائي ٨٤/٦١.

وتعرض الكاتب لمحاولة القتل من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي يوم الخميس الساعة العاشرة ليلاً، ٢٠٠٤/٦/٣م، دخل على إثرها المستشفى وأجريت له عملية جراحية دقيقة أزيل خلالها جزء من الأمعاء المتهتكة وجزء من القولون، وما زال يعاني من ضعف في الفخذ الأيمن.

أكثر ما كتب عن فلسطين مناصراً أو معارضاً، مؤيداً لنا أو معارضاً لنا .. مؤيداً لعدوّنا مدافعاً عنه. ولا غرابة أن نجد بين أبنائنا من يكون الطرف الثاني لا الأول.

هدفي من كتابة هذا البحث أن أزيل بعض الغبار الذي علق بالقضية لتظهر ناصعةً مشرقة أبين من خلال بحثي حقائق يحاول البعض أن يتجاهلها أو يخدع الناس عنها.

فلسطين كانت عربية إسلامية ومازالت، حاولوا أن يجعلوها فلسطينيةً فقط فضاعت وتمزقت وكادت أن تتلاشى إلا أن البعث الإسلامي الجديد ينهض كالمارد العظيم ليعلن أن فلسطين عربية إسلامية ولن تكون إلا كذلك وكل المشاريع الأخرى ساقطةً أو ستسقط، علاقتي بهذا البحث أنني اكتب عن نفسي لهذا أجد أن قلبي ينبض مع كل حرفٍ اكتبه ومع كل سطرٍ أخطه بذلت فيه من الدموع أكثر مما بذلت من الحبر والأوراق فهو بحثٌ امينٌ وصادق من أمهات الكتب استخرجته، من خلاله وصلت الأرض بالسماء ووصلت الحاضر بالماضي ووضحت أن الأيام دولٌ بين الناس ..وأنه لا يضيع حقٌ وراءه مطالب.

منهجي في البحث: قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جغرافية فلسطين وتاريخها: ويتكون من ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني: فضائل فلسطين وبيت المقدس: ويتكون من ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث: إسلامية القضية الفلسطينية: ويتكون من ستة مباحث.

ثم أنهيت بحثي بعدة ملاحق رأيت الأهمية في إثباتها ضمن البحث.

وأنا لا أزعم أنني أتحدث باسم الإسلام إنما هي رؤية رجل مسلم في خضم الأحداث.

أدعو الله أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصــل الأول

فلسطين

بين الجغرافية والتاريخ

سأتحدث في هذا الفصل عن عدة أمور، منها:

جغرافية فلسطين، وعن السكان، ثم عن فلسطين في التاريخ القديم والمتوسط، وما لحق بها من احتلالات، ثم أنتهي بالحديث عن فلسطين منذ الانتداب البريطاني حتى عصرنا الحاضر.

وسأحقق ذلك من خلال ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: جغرافية فلسطين.**
- **المبحث الثاني: فلسطين بين التاريخ القديم والحديث.**
- **المبحث الثالث: فلسطين والاستعمار الحديث.**

المبحث الأول

جغرافية فلسطين

فلسطين من حيث جغرافيتها هي جزء طبيعي من بلاد الشام، التي تضم سورية ولبنان وفلسطين والأردن، كما أنها تعتبر قلب العالم العربي، الذي هو في الأساس قلب العالم أجمع بقاراته المتعددة. ولأنها أي فلسطين صلة العالم العربي شرقه وغربه وحبل الوصل ما بين قاراته الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا.

وتبلغ فلسطين ما يزيد قليلاً عن ٢٧ ألف كيلومتر مربع.

حدودها كما خُططت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى:

البحر الأبيض المتوسط غرباً وسورية والأردن شرقاً عبر خط يبتدئ شمالاً بنقطة تقع إلى الغرب من مدينة بانياس السورية ثم ينحدر جنوباً محاذياً الشواطئ الشرقية لبحيرتي الحولة وطبرية ثم متبعاً مجرى نهر الأردن فمخترقاً البحر الميت من وسطه متجهاً بعد ذلك إلى خليج العقبة عبر وادي عربة.

ويحد فلسطين شمالاً لبنان في خط متعرج يبتدئ غرباً برأس الناقورة على البحر المتوسط ثم يتجه شرقاً إلى قرية يارون اللبنانية فشمالاً حتى قريتي المالكية وقدس الفلسطينيتين فالمطلة الفلسطينية. ثم شرقاً إلى تل القاضي إلى الغرب من بانياس السورية.

أما الحد الجنوبي فهو يمتد من خليج العقبة إلى نقطة تقع جنوب رفح على شاطئ البحر التوسط. (١)

هذه هي حدود فلسطين كما رسمها الاستعمار فيما أطلق عليها باتفاق سايكس بيكو ١٩١٦م والذي ضم أجزاءً من شمال فلسطين إلى لبنان وأجزاءً أخرى من جنوب فلسطين إلى مصر.

هذه الحدود في تفصيلها وجملتها نحن لا نعترف بها وإن كانت أمراً واقعاً، لأننا نؤمن أن أرض الإسلام أرض واحدة وإن مزقها الاستعمار ورسخها حكام وأنظمة العرب فيما بعد.

---

[1] فلسطين: تاريخها وقضيتها ص٣.

أما عن فلسطين كأرض وطبيعة فهي تتشكل من ثلاث مناطق طبيعية واضحة المعالم:

أولها: السهل الساحلي وهو يتكون من سهل عكا ويمتد من الناقورة إلى حيفا ومن غزة حتى رفح.

ثانيها: سلسلة المرتفعات وهي جبال الجليل والقدس ونابلس والخليل وهي تنحدر نحو غور الأردن، تزداد في الارتفاع كلما اتجهنا جنوباً، خلافاً للسهل الساحلي الذي يضيق شمالاً ليزداد كلما اتجهنا جنوباً.

ثالثاً: غور الأردن الذي يمتد من بحيرة الحولة ويضم طبرية حتى البحر الميت فوادي عربة الذي ينخفض عن سطح البحر المتوسط ٣٩٢ متراً، ويمر بغور الأردن فنهر الأردن الذي هو أكبر أنهار فلسطين. (١)

أما عن مناخ فلسطين فهو مناخ معتدل لوقوعها شمال خط الاستواء وخصوصاً السهل الساحلي، أما المناطق الجبلية فيكون الطقس فيها بارداً في الشتاء، بينما تمتد حرارة الصيف في كل من سهل النقب وغور الأردن، لهذا نجد أن اختلاف وتنوع المناطق أدى إلى تنوع في غلاتها النباتية وجعلها غنية في إنتاجها حبوباً وفواكه وخضروات.

سكان فلسطين: نوجز القول هنا على أمل تفصيله فيما بعد.

يقول الأستاذ جواد النتشة: إن فلسطين أرض عربية بفعل الوجود العربي السابق والطويل على أرضها الذي لا يُعرف لطوله مثيل لدى كل من سكن فلسطين أو فلنقل لدى كل من احتلها وسرقها من أيدي أصحابها فلم يعرف التاريخ من هو أطول عمراً في فلسطين ولا أعمق وجوداً فيها من العرب ابتداءً من الكنعانيين أول منشئي الحضارات عليها، فهم الذين وإن انقطعوا عن حكمها بسبب الاحتلالات الفارسية واليونانية والرومانية لها فإنهم لم ينقطعوا عن سكناها وإعمارها وعن تشكيل حضارتها ومروراً بالحضارة الإسلامية إلى يوم الناس هذا رغم الوجود الطارئ لليهود فيها الآن.

---

[1] المصدر السابق بتصرف.

ولغة فلسطين هي العربية أم اللغات وهي التي كتب بها تراثها وزينت بها قبابها ومساجدها، إن اللقب المتعارف عليه والذي أطلق على سكان فلسطين القدماء هو الساميون وهو لقب جمع في أحشائه أسماء كثير من الشعوب والتي ترجع في لغتها ومنشئها إلى جزيرة العرب. (١)

وتقول بيان الحوت: إن وجود الفلسطينيين القدماء على الساحل الكنعاني من الكرمل حتى غزة حقيقة تاريخية لم تطرح مرة على صعيد الشك فالعهد القديم تحدث مطولاً عن الفلسطينيين وأثبتت سائر المصادر المعروفة عن الألف الثانية قبل الميلاد وجود الفلسطينيين ومدنيتهم في مدن الساحل خاصة وقد ضاعت معالم الآريين الحيثيين الغرباء عن الشعوب السامية في المنطقة فأصبحوا من الشعوب المنقرضة التي عاشت مئات من السنيين في سؤدد وسيادة لكنها لما انقرضت تركت بعض بصماتها وأهم البصمات الخالدة التي خلفها الفلسطينيون كانت الاسم فالأرض الساحلية التي كانت مدنها تعرف بالمدن الفلسطينية أصبحت تعرف بأرض فلسطين.(٢)

[1] انتماء فلسطين _ جواد النتشة ص ١٠١.
[2] فلسطين _ القضية، الشعب ـالحضارة _ بيان الحوت ص٤٠.

المبحث الثاني

فلسطين بين التاريخ القديم والحديث

منذ سنة ٣٥٠٠ ق.م تقريباً أخذت جماعات سامية تنتقل من الجزيرة العربية إلى فلسطين وسورية ولبنان وقد استقر الكنعانيون في فلسطين والعموريون في سورية والفينيقيون في لبنان، والكنعانيون من أكبر الموجات التي خرجت من شبه الجزيرة العربية وكانت هجرتهم قبل الميلاد بـ ٤-٣ آلاف سنه وهم في الأصل عرب فلفظة كنعان مشابهة لعدنان وقحطان وغسان ويعتبرهم المؤرخون بالعرب البائدة كما أن في ساحل عُمان منطقة تُعرف حالياً باسم كنعان. وقد استقر الكنعانيون في فلسطين وسيطروا عليها سيطرة تامة حتى أنها عرفت باسمهم أرض كنعان أو بلاد كنعان كما ورد في العهد القديم من التوراة.

وفي الألف الثالثة ق.م. تقدمت فلسطين في طريق الحضارة فقامت فيها المدن والحكومات ونشطت الزراعة واهتم السكان الكنعانيون بالتجارة وبني الكنعانيون مدناً أهمها القدس ونابلس وأريحا وعكا ويافا.

وبين سنتي ١٤٠٠ ق.م. و١٢٠٠ ق.م. دخلت قبائل أطلق الباحثون عليها اسم العبرانيون وهم جماعات ذات أصول متنوعة سامية وغير سامية احتلوا أجزاءً من فلسطين حتى وصلنا إلى زمن داود وسليمان عليهما السلام اللذان أقاما مملكة إسرائيل في القدس ١٠١٦ ق.م. إلى ٩٣٦ ق.م. أي أنها لم تعمر سوى ثمانين عاماً.

وظلت الأجزاء الشمالية والساحل بيد الفلسطينيين.

وحينما توفي سليمان عليه السلام انقسمت المملكة إلى قسمين:

١. مملكة الشمال وسميت إسرائيل وعاصمتها السامرة بجوار نابلس.
٢. مملكة الجنوب وسميت يهودا وعاصمتها القدس.

قامت صراعات بين المملكتين حتى قُضي عليهما على يد الأشوريين عام ٧٢٢ ق.م. واستمرت الأحوال بين شد وجذب حتى جاء الكلدانيون بزعامة نبوخذ نصر مدمراً المدينة تدميراً كاملاً عام ٥٨٦ ق.م.

ثم احتل الرومان فلسطين عام ٦٣ ق.م. وأعطوا اليهود شيئاً من الحكم الذاتي خلالها حاول اليهود التمرد على حكم الرومان واليونان فكانت محاولاتهم نهايتها الفشل.

استمر الأمر هكذا حتى زمن ميلاد المسيح عليه السلام الذي أنتقل من بيت لحم إلى مدينة الناصرة فقضى فيها طفولته وصباه. وقد تعرض المسيح وأتباعه لكثير من اضطهاد اليهود وأذاهم الذين رأوا في المسيح تهديداً وخطراً يهدد سيطرتهم الدينية والسياسية والاقتصادية إلى أن أنتهى ذلك بالتآمر مع الرومان على قتله، لولا أن نجاه الله منهم في اللحظات الأخيرة.

استمر الأمر حتى فتحها العرب المسلمون عام ٦٣٣م، **ولكن قبل الحديث عن فلسطين تحت راية الإسلام نريد أن نُذّكر ببعض الأمور المهمة:**

١. كانت أغلبية السكان في فلسطين من الكنعانيين وهؤلاء هم الذين وضعوا أسس الحضارة والتنظيم في البلاد.

٢. دخل العبرانيون البلاد في القرن الثالث عشر ق.م. وكانت لهم مملكة دامت نحو ثمانين عاماً فقط. لكنهم لم يكونوا في أي وقت من تاريخ البلاد أكثرية السكان كما أن المملكة لم تشمل فلسطين بأجمعها.

٣. كان اختلاط العبرانيين بالسكان قليلاً وظلوا بسبب شعورهم الديني والعنصري جماعة منفصلة وقد ترتب على ذلك أن أدى النفي والهجرة من فلسطين إلى تقليص أعدادهم منها على توالي الأيام.

٤. امتزج الفلسطينيون الذين هبطوا فلسطين في القرن الثاني عشر نهائياً بسكانها الكنعانيين وأصبحوا جزءاً أصيلاً من أهل البلاد.

٥. دخلت فلسطين فئات أخرى من الشعوب التي امتزجت بالسكان فأصبحوا جزءً منهم قبل الفتح الإسلامي ولعل أهم هذه الفئات الآراميون والأنباط والغساسنة وهم عرب

كانت لهم مع فلسطين تجارات وعلاقات ومصاهرة وهجرة إليها يضاف إلى ذلك أن العرب كانوا يقيمون في النقب وفي الجزء الجنوبي من سهل فلسطين الساحلي قبل القرن السابع للميلاد بل قد ذكر بعض الباحثين أن العرب استقروا في قيسارية على السهل الساحلي قبل الفتح بزمن.

٦. هؤلاء السكان ورثة الكنعانيين والفلسطينيين والآروميين والعرب هم الذين تكون منهم شعب فلسطين حتى القرن السادس للميلاد تقريباً، وهم الذين كانوا قد تنصروا آنذاك وحافظوا على أصول الحضارة هناك وطوروها فنياً وروحياً.

٧. إن ما تم لليهود وهم العبرانيون أصلاً بين دخولهم فلسطين أولاً ونفيهم غير مرة وعودتهم أيام قورش وبناء الهيكل من جديد إن كل هذا كان له أثر في تطور أفكارهم الدينية ووضوح الوحدانية عندهم، لكن من الجدير بالذكر أن الكثير مما يمكن أن يعزى إلى اليهود فيما بعد لم يتم في فلسطين وإنما في الأقطار المختلفة التي توزعوا فيها. ففي التلمود وهو الكتاب الديني الأول بعد أسفار العهد القديم تأثير بابلي وفي الأدب الذي نشأ فيما بعد تبدو بوضوح آثار الشتات وعدم الامتزاج.

هذا ما أحببنا أن نذكر به قبل حديثنا عن فلسطين في عهدة الإسلام.

خرج جيش المسلمين ووصايا الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ترفرف فوق رؤوسهم " لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له"(١).

كان جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص جاء إلى فلسطين من جنوبها فأنتصر في معركة اجنادين وغيرها عام ٦٣٤م مما جعل هرقل يجمع جيشاً كبيراً لملاقاة المسلمين فأرسل أبو بكر خالداً لنجدة المسلمين فكانت معركة اليرموك ١٣هـ ٦٣٤م مهدت لفتح الشام وفلسطين أما مدينة القدس فكان لها شأن آخر سنتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد، وقد نالت

[1] تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ٢٢٦/٣.

فلسطين كثيراً من الاهتمام من الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم المسلمين فكان الإعمار وبناء المدن الجديدة واستمر الحال إلى القرن العاشر الذي حدث فيه كثير من المستجدات.

إلا أننا قبل أن نغادر هذه المحطة يلزمنا أن نسجل نقاطاً مهمة:

١. أن القبائل العربية أتت فلسطين تباعاً فطبعتها بالطابع العربي إذ تعرب سكانها الأصليون الذين ينحدر معظمهم من الجزيرة العربية ولغتهم قريبة من العربية.

١. مع أن الكثيرين من أهل البلد المسيحيين حافظوا على دينهم فإن الإسلام أخذ ينتشر بين السكان بسرعة كما انتشرت اللغة العربية وتوطدت.

أما اليهود الذين كانوا قد سكنوا سعياً وراء الكسب والتجارة أو بسبب التشتيت في أقطار الحكم العربي الإسلامي كالعراق ومصر وسورية واليمن وشمال افريقيا فقد اعتبروا أهل ذمة، وصان العرب المسلمون حقوقهم الدينية والمدنية والاقتصادية وأفسحوا لهم في الوظائف العامة، كما تجدر الإشارة إلى المعاملة الحسنة الإنسانية والسمحة التي لقيتها الطائفة اليهودية أبان حكم العرب في الأندلس والى الازدهار الكبير الذي عاشته في تلك الحقبة.

فلسطين بين الصليبيين والمماليك: حينما أصابت خلافة العباسيين الضعف نهاية القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي توالت دولٌ وخلفاء فكانت دولة السلاجقة ثم دولة الفاطميين والذي أدى صراعهم إلى انهيار قوة المسلمين وذهاب شوكتهم، جاء الصليبيون وأخذوا يحتلون مدن الساحل حتى كان لهم احتلال مدينة القدس ١٠٩٩م، ثم كان احتلال كثير من أجزاء فلسطين وبلاد الشام وأمعنوا في أهلها قتلاً وتشريداً وكونوا عدة إمارات صليبية منها إمارة الرها وأنطاكية وطرابلس.

إلا أن الأمر لم يستمر فكان أن بعث الله لهذه الأمة من أحيا في عروقها الدماء، جاءت جحافل جيش المسلمين من الموصل بقيادة عماد الدين زنكي، ثم تابع ابنه نور الدين الذي استرد دمشق، ثم ما كان من القضاء على الدولة الفاطمية والعمل على توحيد مصر وسورية حتى كانت معركة حطين ١١٨٧م، وبعد المعركة توالت الفتوح فشملت الكرك والشوبك والشقيف وعكا والناصرة وقيسارية وحيفا ونابلس واخيراً حوصرتُ القدس حتى استسلمت في السنة نفسها. ثم ما كان من صلح الرملة ١١٩٢م، الذي كان أهم نتائجه ترك

القدس للمسلمين، بعدها غادر صلاح الدين فلسطين إلى دمشق حيث توفى عام ١١٩٣م، ودفن قرب الجامع الأموي.

وتوالت الحملات الصليبية إلا أنها باءت بالفشل كسابقاتها.

لقد كان للحروب الصليبية بواعث متعددة كما يقول الدكتور سعيد عاشور: باعث ديني وباعث اقتصادي وباعث اجتماعي وباعث سياسي. كل هذه البواعث جعلت المجتمع الأوروبي الغربي يندفع بقوة تجاه الشرق لعله يجد فيه عالماً جديداً يستفرغ من خلاله مكنوناته ومخزوناته، ويلبي طموحاته الإمبراطورية وأحلام الفروسية. (١)

نتائج الحروب الصليبية في جانب الغرب الصليبي:

يقول ول ديورنت: إذا نظرنا إلى الحروب الصليبية من حيث أغراضها المباشرة التي دارت رحاها من أجلها قلنا إنها أخفقت لا محالة، ذلك أنه بعد أن دامت هذه الحروب قرنين من الزمان بقيت بيت المقدس في أيدي المماليك، وقل عدد الحجاج المسيحيين إلى تلك المدينة وزادت مخاوفهم، يضاف إلى هذا أن الحكومات الإسلامية التي كانت من قبل تمتاز بالتسامح مع أصحاب الأديان الأخرى قد ذهب عنها تسامحها بسبب الهجمات المتكررة على بلادها .. وأثبتت الحضارة الإسلامية أنها أرقى من الحضارة المسيحية في رُقيها وأسباب راحتها وتعليمها وأساليبها الحربية، وكان أثر الحروب الصليبية الذي في أهميتها إضعاف العقيدة الدينية هو بث روح النشاط في الحياة المدنية الأوروبية لمعرفة الأوربيين بأساليب المسلمين التجارية والصناعية ذلك أن الحرب تسدي إلى الناس خيراً واحداً وهو أنها تعلمهم علم تقويم البلدان، بهذا تحركت في القلوب الرغبة في الكشف والارتياد وظهرت كتب في وصف الأقاليم والبلدان ترشد الحجاج إلى البلاد المقدسة وعلى داخل البلاد المقدسة واخذ الأطباء المسيحيون العلم عن الأطباء اليهود والمسلمين وتقدم علم الجراحة بفضل الحروب الصليبية.(٢)

[1] . فلسطين: تاريخها وقضيتها ص ١- ١٥ بتصرف
[2] قصة الحضارة _ ول ديورانت ص ٦١-٦٩ بتصرف.

تقول الحوت: ارتبط اسم الملك الناصر السلطان صلاح الدين الأيوبي بفلسطين كما لم يرتبط اسم أخر فهو الذي خاض سلسلة من الحروب لتحرير فلسطين وهو الذي عادت في عهده فلسطين إلى أبنائها والى العرب والى المسلمين وهو الذي عاش على أرضها فحكم بالعدل والحكمة وجاءت سيرته مناقضة كل التناقض لسيرة الإفرنج الصليبيين، في تاريخ مدينة القدس وفي تاريخ العرب والمسلمين يُذكر صلاح الدين مع الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز. (١)

ثم كان العهد المملوكي الذي استمر يحكم من عام ٦٤٨هـ إلى ٩٢٢هـ والذي كان في زمانهم القضاء على دولة المغول الذين كان لهم أيادي سوداء على حياة الإسلام والمسلمين، فقد زحف الملك المظفر قطز وأنتصر عليهم في معركة عين جالوت عام ٦٥٧هـ وكان يساعده الأمير بيبرس الذي تولى الحكم بعد قطز والذي أعلن الحرب المقدسة ضد الصليبين الإفرنج فتمكن من إخراجهم من الناصرة وقيسارية وارسوف وصفد ويافا والكرك والشقيف.

تقول الحوت: في تاريخ فلسطين كان بيبرس من بين الخلفاء والسلاطين أعظم من بنى فقد جدد ما تهدم من قبة الصخرة كما جدد في حرم الخليل وأقام العديد من الجوامع والمشاهد للأنبياء والصحابة الأوائل فقد بنى على مقام النبي موسى قبة ومسجداً وجدد سماط إبراهيم الخليل ومن الصحابة الذين بنى لهم أضرحة أبو عبيده بن الجراح في الغور وجعفر الطيار في مؤتة وكانت حكمة بيبرس في بناء المشاهد للأنبياء والصحابة تكمن في إحياء المشاعر الدينية وسير الصحابة الأوائل ورجال الفتح وبذلك يتكرس حق العرب المسلمين في البلاد المقدسة. (٢)

ثم كانت نهاية المطاف الخلافة العثمانية والتي اختلفت حولها الآراء اختلافاً متبايناً،

ولكن انصافاً للحقيقة نقول كما قال الدكتور على الصلابي: لم يتورع المؤرخون الأوروبيون واليهود والنصارى والعلمانيون الحاقدون بالهجوم على تاريخ الدولة العثمانية فاستخدموا أساليب الطعن والتشويه والتشكيك فيما قام به العثمانيون من خدمة للعقيدة

---

[١] . فلسطين: بيان الحوت ص ١٢٠.
[٢] . المصدر السابق ص ١٢٦ – ١٢٧.

والإسلام، وسار على هذا النهج الباطل اغلب المؤرخين العرب بشتى انتماءاتهم واتجاهاتهم القومية والعلمانية وكذلك المؤرخون الأتراك الذين تأثروا بالتوجه العلماني الذي تزعمه مصطفى كمال فكان من الطبيعي أن يقوموا بإدانة فترة الخلافة العثمانية فوجدوا فيما كتبه النصارى واليهود ثروة ضخمة لدعم تحولهم القومي العلماني في تركيا بعد الحرب العالمية الأولى.

كان الموقف من التاريخ العثماني بالنسبة للمؤرخ الأوروبي بسبب تأثره بالفتوحات العظيمة التي حققها العثمانيون وخصوصاً بعد أن سقطت عاصمة الدولة البيزنطية – القسطنطينية – وحولها العثمانيون دار إسلام وأطلقوا عليها إسلام بول أي دار الإسلام فتأثرت نفوس الأوروبيين بنزعة الحقد والمرارة الموروثة ضد الإسلام فانعكست تلك الأحقاد في كلامهم وأفعالهم وكتاباتهم وحاول العثمانيون مواصلة السير لضم روما إلى الدولة الإسلامية ومواصلة الجهاد حتى يخترقوا وسط أوروبا ويصلوا إلى الأندلس لإنقاذ المسلمين فيها، وعاشت أوروبا في خوف وفزع وهلع ولم تهدأ قلوبهم إلا بوفاة السلطان محمد الفاتح.

وشارك اليهود الأوروبيين بأقلامهم المسمومة وأفكارهم المحمومة في هذه الهجمات المتواصلة ضد الدولة العثمانية خصوصاً والإسلام عموماً وازداد عداء اليهود للدولة العثمانية بعد أن فشلت كافة مخططاتهم في اغتصاب أي شبر من أراضي هذه الدولة لإقامة كيان سياسي لهم طوال أربعة قرون هي عمر الدولة العثمانية السنية، استطاع اليهود بمعاونة الصليبية والدول الاستعمارية الغربية ومن خلال محافلهم الماسونية أن يحققوا أهدافهم على حساب الأنظمة القومية التي قامت في العالم العربي والإسلامي والتي وصفت نفسها بالتقدمية والتحضر واتهمت الخلافة العثمانية على طول تاريخها بالتخلف والرجعية والجمود والانحطاط وغير ذلك واعتبرت المحافل الماسونية والمنظمات الخفية التابعة لليهود والقوى العالمية المعادية للإسلام والمسلمين أن مسألة تشويه الفترة التاريخية للدولة العلية العثمانية من أهم أهدافها.

أما المؤرخون العرب في العالم الإسلامي فقد ساروا في ركب الاتجاه المهاجم لفترة الخلافة العثمانية مدفوعين إلى ذلك بعدة أسباب يأتي في مقدمتها إقدام الأتراك بزعامة

مصطفى أتاتورك على إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م وأعقب ذلك إقدام الحكومة العلمانية بالتحول الكامل إلى المنهج العلماني في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على حساب الشريعة الإسلامية التي ظلت سائدة في تركيا منذ قيام الدولة العثمانية وتحالف هذه الحكومة مع السياسة الأوروبية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية والتي رفضتها الشعوب العربية والإسلامية وبعض حكوماتها وقد كانت تركيا من أوائل الدول التي اعترفت بقيام الكيان السياسي الإسرائيلي في فلسطين عام ١٩٤٨م مما جعل الشعوب العربية والإسلامية تندفع خلف حكوماتها القومية بعد غياب الدولة العثمانية التي كانت تجاهد كل من تسول له نفسه بالاعتداء على شبر من أراضي المسلمين.

ويأتي سبب التبعية البحثية لمدرسة التاريخ العربي لتاريخ المنهجية الغربية كعامل هام في الاتجاه نحو مهاجمة الخلافة العثمانية خصوصاً بعد التقاء وجهات النظر بين المؤرخين الأوروبيين والمؤرخين العرب حول تشويه الخلافة الإسلامية العثمانية.

ولقد تأثر كثير من مؤرخي العرب بالحضارة الأوروبية المادية ولذلك اسندوا كل ما هو مضيء في تاريخ بلادهم إلى بداية الاحتكاك بهذه الحضارة البعيدة كل البعد عن المنهج الرباني. (١)

لقد سمحنا لأنفسنا أن نخرج عن موضوعنا قليلاً لأن أمر الدولة العثمانية يهمنا كثيراً نحن الفلسطينيون لما له من علاقة بقضيتنا وأرضنا وعدم التفريط في جزء منها.

ويكفينا في هذا الموضع من البحث أن نذكر شيئاً عن موقف السلطان عبد الحميد من اليهود:

يقول الدكتور الصلابي:

استطاع زعيم الحركة اليهودية الصهيونية العالمية تيودور هرتزل أن يتحصل على تأييد أوروبي للمسألة اليهودية من الدول_ ألمانيا وبريطانيا وفرنسا_ وجعل من هذه الدول قوة ضغط على الدولة العثمانية تمهيداً لمقابلة السلطان عبد الحميد وطلب فلسطين منه وكانت الدولة العثمانية تعاني من مشاكل مالية متعددة إذ كانت الأحوال الاقتصادية في البلاد على

[1] . الدولة العثمانية – على الصلابي ص ١٥ – ١٧ بتصرف.

درجة من السوء بحيث فرضت الدول الأوروبية الدائنة وجود بعثة مالية أوروبية في تركيا العثمانية للإشراف على أوضاعها الاقتصادية ضماناً لديونها، الأمر الذي دفع عبد الحميد الثاني أن يجد حلاً لهذه المعضلة.

كانت هذه الثغرة هي السبيل الوحيد أمام هرتزل كي يؤثر على سياسة عبد الحميد الثاني تجاه اليهود وفي هذا الصدد يقول هرتزل في مذكراته "علينا أن ننفق عشرين مليون ليرة تركية لإصلاح الأوضاع المالية في تركيا مليونان منهما ثمناً لفلسطين والباقي لتحرير تركيا العثمانية بتسديد ديونها تمهيداً للتخلص من البعثة الأوروبية ومن ثم نقوم بتمويل السلطان بعد ذلك بأي قروض جديدة يطلبها.

وقام هرتزل بزيارة إلى القسطنطينية وذلك في حزيران ١٨٩٦م ورافقه في هذه الزيارة نبولنسكي الذي كانت له علاقة ودية مع السلطان عبد الحميد ونتيجة لذلك فقد نقل نبولنسكي آراء هرتزل إلى قصر يلدز وقد دارت محاورة بين نبولنسكي والسلطان عبد الحميد إذ قال السلطان له " هل بإمكان اليهود أن يستقروا في مقاطعة أخرى غير فلسطين " أجاب نبولنسكي قائلاً " تعتبر فلسطين المهد الأول لليهود وعليه فإن اليهود لهم الرغبة في العودة إليها "وردّ السلطان قائلاً " إن فلسطين لا تعتبر مهداً لليهود فقط وإنما تعتبر مهداً لكافة الأديان الأخرى " أجاب نبولنسكي قائلاً: " في حالة عدم استرجاع فلسطين من قبل اليهود فإنهم سوف يحاولون الذهاب وبكل الوسائل ببساطة إلى الأرجنتين".

وقام السلطان عبد الحميد بإرسال رسالة إلى هرتزل بواسطة صديقه نبولنسكي جاء فيها " انصح صديقك هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة حول هذا الموضوع لأني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة لأنها ليست ملكي بل هي ملك شعبي وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم فليحتفظ اليهود بملايينهم إذا مزقت دولتي من الممكن الحصول على فلسطين بدون مقابل ولكن لزم أن يبدأ التمزيق أولاً في جثتي ولكن لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة. (١)

لهذا كما يقول الدكتور الصلابي:

---

[1] المصدر السابق ص ٥٢٠ ــ ٥٢٢ بتصرف.

شرع السلطان عبد الحميد في توجيه أجهزة الاستخبارات الداخلية والخارجية لمتابعة اليهود وكتابة التقارير عنهم **وأصدر أمرين:**

الأول: رفض قبول اليهود في الممالك الشاهانية.

الثاني: على مجلس الوزراء دراسة تفرعات المسألة واتخاذ قرار جدي وحاسم في شأنها.

واتخذ السلطان عبد الحميد الثاني كل التدابير اللازمة في سبيل عدم بيع الأراضي إلى اليهود في فلسطين وفي سبيل ذلك عمل جاهداً على عدم إعطاء أي امتياز لليهود من شأنه أن يؤدي إلى تغلب اليهود على أرض فلسطين ولا بد في هذه الحالة أن تتكاثف جهود المنظمات الصهيونية بغية إبعاد عبد الحميد الثاني عن الحكم ويعزز هذا القول هرتزل عندما قال " إني أفقد الأمل في تحقيق أماني اليهود في فلسطين وإن اليهود لن يستطيعوا دخول الأرض الموعودة مادام السلطان عبد الحميد قائماً في الحكم مستمراً فيه.

وتحركت الصهيونية العالمية لتدعم أعداء السلطان عبد الحميد الثاني وهم المتمردون الأرمن والقوميون في البلقان وحركة حزب الاتحاد والترقي والوقوف مع كل حركة انفصالية عن الدولة العثمانية. (١)

أسباب سقوط الدولة العثمانية:

هناك غير مؤامرات المتآمرين وخيانة الخونة وحروب الدول أسباب كثيرة نلخصها فيما يلي:

٢. الترف والانغماس في الشهوات.
٣. الاختلاف والفرقة.
٤. انتشار الظلم في الدولة.
٥. غياب القيادة الربانية.
٦. زيادة نشاط الفرق المنحرفة.
٧. رفض فتح باب الاجتهاد.
٨. الصوفية المنحرفة.

[1] المصدر السابق ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧.

٩. غياب عقيدة الولاء والبراء.

١٠. انحصار مفهوم العبادة الصحيح.

١١. انتشار مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

المبحث الثالث

فلسطين والاستعمار الحديث

مع ظهور الضعف في أوصال الدولة العثمانية وانتشار الحركات القومية الانفصالية داخل الدولة العثمانية، ومع ظهور حركة الاستعمار الغربي والصراعات بين الدول الغربية حول تقسيم أملاك الدولة العثمانية الذي كان يرمز له "بالرجل المريض" بدأ اليهود يستغلون كل هذه الأمور لصالحهم وصالح قضاياهم، في نفس الوقت أخذ اليهود يستغلون القوانين العثمانية التي صدرت في نهاية القرن التاسع عشر.

في هذه الأثناء بدأت تظهر في أوساط اليهود حركات فكرية وأدبية تدعو إلى القومية والاستقلال وعدم الانصهار.

١. دعا موشيه موسى هس وهو يهودي ألماني إلى ما سماه القومية اليهودية ورأى أن المسألة اليهودية لا تحل من خلال الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها إنما بقيام كيان للقومية اليهودية يمتد من السويس إلى القدس ومن ضفتي نهر الأردن إلى ساحل البحر المتوسط.

٢. دعا ليوبنسكر وهو يهودي روسي إلى نبذ فكرة انصهار اليهود في الشعوب التي يعشون فيها ورأى أن التحرر الحقيقي يكمن في خلق مركز قومي يهودي يعيش فيه اليهود، إلا أنه لم يحدد مكاناً معيناً.

٣. دعا آحاد هاعام وهو يهودي روسي إلى إحياء اللغة العبرية والثقافة العبرية ومن خلال العمل الثقافي يؤسس لفكرة الدولة اليهودية التي ستقام في فلسطين لتكون مركز إشعاع روحي لليهود في الشتات.

وبعيداً عن الأفكار أو بالقرب منها كان هناك عمل حثيث على الأرض في كل مكان:

١. أسس فريق من اليهود الروس جمعية حب صهيون ١٨٧٠م دعت إلى حل المسألة اليهودية في روسيا وشرق أوروبا عن طريق عودة اليهود إلى أرض الميعاد وفعلاً دعمت هذه الجمعية طلائع المستعمرين اليهود بالمال في فلسطين وتأسيس المستعمرات.

٢. أسس فريق من اليهود الروس عام ١٨٨٢م حركة سميت بيلو أي رجوع آل يعقوب إلى فلسطين، وكان لها انتشار كبير بين الطلاب والمثقفين وعملت على تركيز العمل على الهجرة السريعة إلى فلسطين والاستيطان فيها.

٣. أُنشئت جمعيات خيرية كثيرة بين أوساط اليهود من أهمها جمعية الاتحاد الإسرائيلي العالمي ١٨٦٠م في باريس عملت على دعم اليهود.

وفي عام ١٨٩١م تأسست الجمعية اليهودية للاستيطان، عملت على مساعدة اليهود على الهجرة وإقامة المستعمرات الزراعية.

يقول كتاب فلسطين: تاريخها وقضيتها: لقد كان ازدياد المصالح الاستعمارية للدول الأوروبية الكبرى في هذه المنطقة من العالم يقرر اهتماماً متزايداً بمشروع خلق وجود يهودي صهيوني في فلسطين ولهم الإطار السياسي العالمي الذي ولدت فيه الحركة الصهيونية وترعرعت.

يكفي أن نشير إلى التطورات السياسية التالية:

❖ دخول التنافس الاستعماري الأوروبي مرحلة جديدة منذ حملة نابليون على سوريا ومصر.

❖ في أواخر القرن التاسع عشر تزايد اهتمام بريطانيا بحماية طرق المواصلات لإمبراطوريتها ولاسيما الطريق البري إلى الهند.

❖ تصاعد أطماع الدول الأوروبية الكبرى بسبب الأوضاع المضطربة للإمبراطورية العثمانية بعد قيام محمد علي والي مصر باحتلال سوريا وضمها إلى حكمه.

❖ ظهور ما يُسمى دبلوماسية الإرساليات التبشيرية إلى سورية وفلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ازدياد الأهمية الاستراتيجية لفلسطين ابتداء

من النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة تفاقم المسألة الشرقية أي مستقبل الإمبراطورية العثمانية بقوة إلى مركز المسرح السياسي الدولي.

وفي هذه المرحلة من صعود حركة الاستعمار الأوروبي العالمي حفلت فكرة الصهيونية المبتدئة المتعثرة المعزولة نقلة أساسية مهمة تمثلت بنشوء الصهيونية السياسية المنظمة على يدي الزعيم اليهودي الهنغاري الأصل تيودور هرتزل ثم بدخول المنظمة الصهيونية العالمية قلب المخطط الاستعماري الأوروبي وهذا العامل كان العامل الحاسم وراء التقدم السريع الذي حققته. (١)

لقد كان لهرتزل والمنظمة الصهيونية العالمية الدور العظيم فيما أدت إليه الأمور في فلسطين دولياً ومحلياً من خلال تجميع القوى وعقد المؤتمرات والتأثير على الساسة المتنفذين في دولهم، فقد عقدت المنظمة مؤتمر بازل في سويسرا عام ١٨٩٧م ومن بعده تسعة مؤتمرات حتى عام ١٩١٣م، ثم أنشأت صندوق الائتمان اليهود للاستعمار عام ١٨٩٩م وهو مصرف يتولى دعم الهجرة إلى فلسطين والتمويل الزراعي والتجاري والصناعي والرهونات العقارية وكان مقره يافا.

ثم في عام ١٩٠١م أنشئ الصندوق القومي اليهودي وكانت مهمته شراء الأراضي وإيجاد فرص عمل لليهود دون غيرهم.

أما أخطرها فكان مكتب فلسطين الذي أسس عام ١٩٠٨م في يافا وكان وكالة مركزية للاستيطان اليهودي وشمل نشاطه شراء الأراضي ومساعدة المهاجرين اليهود وتوجيه الاستيطان الزراعي وشراء الأراضي في ريف فلسطين ومدنها.

يقول كتاب فلسطين: تاريخها وقضيتها: وإجمالاً يمكن أن نعتبر العمل الصهيوني في الفترة ما بين مؤتمر بازل ١٨٩٧م واندلاع الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ محاولة لوضع الأسس الأولى للوجود الصهيوني في فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية مع الأخذ بعين الاعتبار تلك الخطوات المحدودة التي كانت قد بدأت في ميدان الهجرة والاستيطان منذ سنة ١٨٨٢ وقد شهدت فلسطين خلالها موجتين للهجرة

[١] . فلسطين: تاريخها وقضيتها صفحة ٣٥-٣٦.

اليهودية كانت الأولى بين ١٨٨٢-١٩٠٣ وضمت أفراداً وجماعات صغيرة من أوروبا الشرقية بدعوة من أتباع حب صهيون وحركة بيلو.

والثانية بين عام ١٩٠٤-١٩١٤ وقد تألفت من يهود أوروبا الشرقية الذين عملوا في المستعمرات اليهودية التي أقيمت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ووضعوا أسس الحركة العمالية الصهيونية والمستعمرات الجماعية الأولى. (١)

موقف العرب من كل هذه الأحداث:

في هذه الفترة الزمنية نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأت رياح اليقظة الفكرية والثقافية تهب في أرجاء الوطن العربي وبدأت تظهر المدارس والمعاهد والجامعات والصحافة وظهرت كتابات وجماعات وحركات كالحركة الوهابية والحركة السنوسية والحركة المهدية ودعوات القومية العربية وفي هذه الفترة ظهر كُتاب كان لهم دور عظيم أمثال رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وظهرت جمعيات وأحزاب متنوعة من أهمها الشبيبة العربية والمنتدى الأدبي وجمعية العهد والجمعية العربية الفتاة وهكذا كانت المنطقة العربية تغوص وتموج في نهضة عارمة منها ما كان وطنياً خالصاً ومنهاً ما كان مشبوه العلاقة.. وكل هذا كان له تأثير كبير على ما يجري في فلسطين فهي لم تكن بعيدة عن هذه التيارات، ولا بمعزلٍ عنها، وأبدى أهلها تجاوباً كبيراً مع ثورة عرابي في مصر ومع ثورة المهدي في السودان ولقد أدركت الجماهير الفلسطينية بحسها العفوي الصادق خطورة الوجود الصهيوني على أراضيها وسعت للتصدي له وحدثت اصطدامات مسلحة بين الفلاحين العرب والمستوطنين الصهيونيين إثر طرد الفلاحين من قراهم وإقامة المستعمرات اليهودية على أراضيهم.

كما تنبه التجار العرب للمخاطر التي تتهددهم بسب الهجرة اليهودية وقام الوجهاء بتقديم عريضة إلى رئيس الوزراء العثماني (الصدر الأعظم) طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين وتحريم استملاكهم الأراضي فيها.

[1] . فلسطين تاريخها وقضيتها صفحة ٤٠.

وهكذا المثقفون والكتاب بادروا إلى الكشف عن الأطماع الاستعمارية والصهيونية وكان في طليعتهم رشيد رضا ويوسف الخالدي ونجيب عازوري الذي حذر في كتابه " يقظة الأمة العربية " الصادر في ١٩٠٥م من أن المخططات الصهيونية تناقض الأماني العربية.

وامتدت المعارضة العربية للنشاط الصهيوني في فلسطين إلى داخل البرلمان العثماني واظهر النواب العرب نشاطاً وفعالية بين أعضاء المجلس لإظهار خطر الصهيونية ودعت إلى القيام بإجراءات فعالة لمواجهته.

توالي المؤامرات الدولية: وكان على رأس هذه المؤامرات:

١.مراسلات الشريف حسين _مكماهون١٩١٥م.

٢.معاهدة سايكس_ بيكو ١٩١٦م.

٣.تصريح بلفور ١٩١٧م.

٤.الاحتلال البريطاني لفلسطين ١٩١٨م.

٥.مؤتمر السلم في باريس ١٩١٩م.

٦.الاتفاقيات السرية بين الأمير فيصل ابن الشريف حسين، وزعماء الحركة الصهيونية، على استتباب الأمر للأمير فيصل في سوريا واستقطاع فلسطين لليهود الصهاينة.

رد فعل العرب داخل فلسطين وخارجها:

١.قامت الجمعيات الإسلامية والمسيحية في معظم مدن فلسطين وبلدانها برفع المذكرات إلى الإدارة العسكرية موضحة رفضها للهجرة اليهودية.

٢.عُقد المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس ١٩١٩م ورفع برقية احتجاج إلى مؤتمر السلم نبه فيها الحلفاء إلى الحيف الذي سيلحق بمصالح أهالي البلد من جراء الهجرة اليهودية.

٣.لما عزمت الجمعيات الإسلامية والمسيحية على عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني بادرت الحكومة إلى منعه بحجة المحافظة على الأمن العام فبادر ممثلو فلسطين في دمشق إلى عقد المؤتمر هناك ١٩٢٠م وحضره مندوبين من العرب من

غير المسلمين كان من أهم مقرراته: رفض الهجرة الصهيونية واعتبار فلسطين جزء من سورية والمطالبة بالاستقلال وإخراج المحتلين من الساحل ومن فلسطين.

٤.وكان من أهم ردة الفعل الانتفاضة التي انطلقت من القدس عام ١٩٢٠م وكانت اضطرابات دامية بين العرب من جهة واليهود والبوليس البريطاني من جهة أخرى وقتل عدد من اليهود والعرب وعمت كثيراً من مدن فلسطين.

فلسطين بين الانتداب وقيام دولة إسرائيل:

في عام ١٩٢٠م أعلنت بريطانيا إنهاء الإدارة العسكرية وقيام إدارة مدنية محلها، وقامت بتعين الوزير اليهودي البريطاني مندوباً على فلسطين هربرت صموئيل، وهو من أقطاب الصهيونية في بريطانيا وهو صاحب مشروع إقامة دولة لليهود في فلسطين، استمر وجوده خمس سنوات مهد خلالها البلاد من ناحية سياسية واقتصادية وإدارية إلى قيام الوطن القومي لليهود.

كان المندوب البريطاني يعمل كل جهده لتوفير المناخ المناسب للحركات الصهيونية فقد عين نائباً ادارياً له أحد غلاة الصهاينة وهو نورمان بنتوبتش. لوضع القوانين والأنظمة التي تسير عليها البلاد ثم عين مديراً للهجرة والسفر يهودياً آخر وعين مديراً عاماً للمساحة.

ثم عمل على إقطاع اليهود مساحات شاسعة من أراضي الدولة وأقفلت المصارف العربية وفتحت أبواب الهجرة أمام اليهود دون قيد وفسحت المجال للمؤسسات الصهيونية للعمل بحرية كاملة، **وشكلت مؤسسات يهودية جديدة منها:**

١. الصندوق التأسيسي لفلسطين ١٩٢٠م.
٢. الاتحاد العام للعمال في إسرائيل ١٩٢٠م.
٣. المجلس القومي ١٩٢٠م والذي أصبح فيما بعد الممثل الرسمي لليهود في فلسطين واستمرت سياسة بريطانيا المنحازة لليهود خلال عهد المندوب "آرثرواكهوب" في تهويد البلاد وفتح البلاد للهجرة اليهودية دون ضوابط لدرجة ارتفاع المهاجرين من (٩٥٠٠) مهاجر عام ١٩٣٢م إلى اثنان وستين ألفاً عام ١٩٣٥م هذا غير المهاجرين الذين يدخلون البلاد تهريباً.

كذلك عملت حكومة الانتداب على غض الطرف عن تهريب السلاح لليهود وبكميات كبيرة وفي الجانب الآخر معاقبة العرب الذين يحملون السلاح بعقوبات تصل إلى الإعدام.

موقف العرب من هذه الأحداث:

١. عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في حيفا ١٩٢١م.
٢. انتفاضة يافا ١٩٢١م.
٣. المؤتمر الفلسطيني الرابع في القدس ١٩٢١م.
٤. المؤتمر الفلسطيني الخامس بنابلس ١٩٢٢م.
٥. المؤتمر الفلسطيني السادس يافا ١٩٢٣م.
٦. ثورة البراق ١٩٢٨م.
٧. المؤتمر الإسلامي والمؤتمر العربي القدس ١٩٣١م.
٨. مظاهرات ١٩٣٣م.
٩. حركة الشيخ القسام ١٩٣٥م.
١٠. الثورة الكبرى ١٩٣٦م.

هذا غير الأعمال الفردية البعيدة عن الأنظار من مقاومة وتخريب للمستعمرات ومقاطعة للتعامل مع اليهود. ولكن للأسف كانت الأحداث أكبر من جهد الفلسطينيين وإمكاناتهم.

وهكذا قامت الحرب العالمية الثانية وانشغل العالم عن مأساة الشعب الفلسطيني وقد كان هناك تحالف خفي بين فرنسا وبريطانيا في مطاردة الزعماء والقادة الفلسطينيين أينما كانوا وهكذا استمرت الأحداث حتى وصلنا إلى إنشاء وقيام الجامعة العربية ١٩٤٥م.

يقول كتاب فلسطين تاريخها وقضيتها: وقد أصبحت القضية الفلسطينية الشغل الشاغل الأول للجامعة فاتخذت في مطلع تأسيسها ١٩٤٥م قراراً بشأن مقاطعة اليهود الاقتصادية قضت فيه بمنع دخول المنتوجات والمصنوعات الصهيونية إلى البلاد العربية سواء جاءت من فلسطين مباشرة أو من طريق آخر ودعا مجلس الجامعة الشعوب العربية غير الممثلة في الجامعة إلى التضامن والتعاون في تنفيذ هذا القرار كما أنه قرر تأليف لجنة

من دول الجامعة للإشراف على تنفيذ المقاطعة وأخذت الحكومات العربية تسن القوانين لغرض العقوبات على المخالفين. (١)

في هذه الأثناء بدأت تظهر أمريكا كقوة جديدة على ساحة الأحداث، وكان ذلك من بداية حكم الرئيس الأمريكي ترومان الذي سخر سياسة أمريكا لخدمة الصهيونية لأقصى حد والذي دعم الهجرة اليهودية بشكل غريب.

وهكذا شكلت اللجنة الانكلو أمريكية في زمن "بيفن/ترومان" وكان اختصاص هذه اللجنة هو:

١.دراسة الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وتأثيرها في مشكلة هجرة اليهود.

٢.دراسة حالة اليهود في أوروبا وتقدير عدد الذين يرغبون في الهجرة إلى فلسطين.

كان موقف العرب من هذه اللجنة ومقرراتها التنديد والرفض وموقف اليهود القبول وتصعيد الأعمال الإرهابية، ثم كان مؤتمر لندن ١٩٤٦م _ ١٩٤٧م، ثم دخلت القضية الفلسطينية مقر الأمم المتحدة.

فقد دعت بريطانيا إلى عقد جلسة للجمعية العامة للأمم المتحدة من أجل مناقشة الوضع في فلسطين ٢٧ نيسان ١٩٤٧م وعرض الوفدين العربي والصهيوني وجهة نظرهم في القضية، كان من مقررات الجلسة تشكيل لجنة تحقيق دولية، فكانت اللجنة في غالبها من الدول المتأثرة بسياسة الولايات المتحدة والمنحازة لليهود، لهذا رفضت الهيئة العربية العليا التعامل مع اللجنة وأعلنت عن إضراب عام يوم وصولها إلى القدس، كان أهم بنود نتائج اللجنة هو إقامة دولتين في فلسطين دولة للعرب ودولة لليهود.

رفضت الهيئة العربية العليا هذه النتائج. واجتمعت الجامعة العربية ١٩٤٧م وقررت رفض هذه المقررات وأرسلت بكتب إلى كل من بريطانيا والولايات المتحدة ترفض هذه المقررات.

---

[١] المصدر السابق ص ١١٨

وافقت بريطانيا على مقررات اللجنة وهي إنهاء الانتداب البريطاني وتقسيم فلسطين أما اليهود فكانت المقررات بالنسبة لهم مفرحة.

اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد ذلك واتخذت قراراً بالتقسيم وعلى أن تبقى القدس تحت الوصاية الدولية. كان موقف الدول العربية رافضاً تماماً للمشروع الذي ينص على أن يكون لليهود (٥٦) من مساحة فلسطين والقدس دولية. صوت للقرار (٣٣) دولة واعترض عليه (١٣) وامتنع عن التصويت (١٠) دول.

كلمة ممثل باكستان: قال يخاطب المتآمرين على تقسيم فلسطين:

لا تنسوا أنكم بحاجة إلى حلفاء وأصدقاء الشرق الأوسط وأنكم تقامرون برأس مالكم في تلك البلاد، ما هي غايتكم من إنشاء الدولة اليهودية؟ إذا كان الدافع إنسانياً فلماذا تقفلون حدودكم أمام اليهود الذين لا ملجأ لهم؟ لماذا تريدون أن تسكنوهم في فلسطين وتساعدوهم على إقامة دولة لهم ليشردوا مليون عربي وندد بشدة بقرار الأمم المتحدة التي تهب مالا تملك لأقلية دخيلة مخالفة بذلك ميثاقها ومبادئ العدل والحق.

تصاعدت بعد هذه الأحداث في فلسطين: العرب يقاومون واليهود يغتالون ويقتلون ويعتدون على المدن الفلسطينية بسلاح بريطاني مهرب إليهم من المعسكرات البريطانية.

في هذه الفترة كانت المنظمات الفلسطينية المقاومة والتي تتشكل من:

١. الجهاد المقدس.
٢. جيش الإنقاذ.
٣. اللجان القومية الفلسطينية.

كانت هذه المنظمات وغيرها من جهود فردية تجاهد وتقاوم، ولكن ما يُجدي جهد أفراد أمام مؤامرات دول كبرى ذات تأثير ونفوذ. وفي ١٤ مايو ١٩٤٨م أعلن بن غوريون قيام دولة إسرائيل بناء على قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وهكذا دخل الصراع العربي الصهيوني مرحلة أخرى يقف فيها اليهود ودول العالم الظالم في ناحية والفلسطينيون المشردون والمعدمون في ناحية أخرى.

وأنتقل الصراع من الأرض إلى قاعات مؤتمرات القمة عربية وإسلامية ودولية داخل العالم العربي وخارجه، داخل قاعات مجلس الأمن والأمم المتحدة وكل المحافل الدولية التي تسيطر على القرار فيها أمريكا ترغيباً وترهيباً، ملوحة مرة بالجزرة ومرة بالعصا، وبدأت كثير من دول العالم العربي والإسلامي تنشغل بقضاياها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، وتركوا فلسطين وقضيتها للأمم المتحدة تتخذ من القرارات ما تتخذ لا منفذ ولا منصاع، وبدأ الفلسطينيون ينشغلون في شتاتهم بتحسين أوضاعهم المعيشية، في حين لم تنشغل إسرائيل عن حلمها وإستراتيجيتها وهي الامتداد والتوسع والهيمنة.

فكانت حرب ٥٦ حينما تحالفت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على غزو قطاع غزة وسيناء.

وفي عام ١٩٦٤م وبدعم من مصر أقرت الجامعة العربية إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية على أن يتولى المسؤولية عنها الأستاذ أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى الجامعة العربية وذلك لمواجهة مشاريع إسرائيل التوسعية، بعد عدة أشهر ظهرت في الساحة الفلسطينية حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح والتي أخذت على عاتقها بداية المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الإسرائيلي وذلك في مطلع ١٩٦٥م.

إلا أن إفرازات الأمة العربية المتعددة في كياناتها والمختلفة في رؤاها الفكرية والثقافية والسياسية ما لبثت أن انعكست على فلسطين وقضيتها وبدأت تظهر الانقسامات والاختلافات بين قادة العرب وزعمائهم كل زعيم يريد أن يجر القضية في اتجاه عربته، مما أدى إلى انقسامات في الساحة الفلسطينية بتعدد التنظيمات وكثرة الفصائل. حتى وصل الأمر إلى الصراع فيما بين هذه التنظيمات والفصائل.

وظهرت نعرات التخوين والعمالة والتحالفات القومية والإقليمية والعالمية وغيرها، وقد بلغت هذه التنظيمات في فترة من الفترات قرابة الأربعين تنظيماً.

حتى وصلنا إلى عام ١٩٦٧م والذي كان فيه تحطيم الأحلام العربية وقلعها من جذورها فقد احتلت إسرائيل باقي أراضي فلسطين التاريخية قطاع غزة والضفة الغربية لنهر الأردن والجولان السوري وشبه سيناء المصرية وصالت وجالت ومازالت وما ترتب على هذه الهزيمة من تغير في مواقف دول العالم وظهور سياسات جديدة، ظهرت أنظمة جديدة

وقيادات جديدة وتحالفات جديدة وكل ذلك كان يصب ضد القضية الفلسطينية، أنتقل خلالها الفلسطيني من أرضه إلى أرض غيرها وتحولت المقاومة من بلده إلى بلدان مجاورة فبدل أن كنا نقاوم من غزة والضفة الغربية أصبحنا نقاوم من الأردن ثم من لبنان ثم من تونس واليمن.... ثم من الفنادق سبع نجوم ثم من خلال شاشات التلفاز وكاميرات الصحافة والإعلام، حتى وصلنا إلى عودة السلطة الوطنية إلى غزة فيما عُرف باتفاق أوسلو والباقي معلوم للجميع.

ما الأسباب الرئيسية لكارثة فلسطين: (١)

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى كارثة فلسطين، وإلى خسارتنا في الحرب ما يأتي:

١. ضعف الوازع الديني في نفوس الكثيرين من المسلمين، أدى بهم إلى فساد الأخلاق، وانحلال العزيمة، وفتور الشهامة والغيرة، والتفريط في أداء فرائض الله، والتعدي لحدوده، وعدم التفكير إلا في متع الحياة الدنيا وزينتها، وعدم المبالاة بما ينزل بالأمة الإسلامية من نكبات، وقد رأينا الكثيرين ممن ينتسبون إلى الإسلام لا يعيرون كارثة فلسطين أي اهتمام.

٢ . الغفلة الشديدة عن تعرف مواطن الخطر المحيط بالأمة الإسلامية من جراء تسرب الصهيونية العالمية، وغزو للأرض المقدسة، وعدم معالجة هذا الخطر منذ البداية بالجد والحزم، والجهل بما تبيته الصهيونية العالمية للأمة الإسلامية من أحقاد دفينة وشرور كبيرة، وبلغ من استخفاف بعض العرب بالخطر اليهودي، ومن وهنهم وخورهم خلال مقابلاتهم الرسمية للمسئولين الإنجليز والأمريكيين بشأن قضية فلسطين، أنهم كانوا يقفون موقف الوسطاء المترددين الخائرين، على حين كان زعماء اليهود في هذه المقابلات يظهرون بأقصى التطرف والشدة، ومنتهى الجد والعزيمة والصلابة .

وقد اغتر بعض المسئولين العرب بخداع الإنجليز الذين أوهمهم أن اليهود لن ينالوا من فلسطين سوى منطقة صغيرة، واستطاعوا بوسائلهم المتنوعة أن يملكوا عليهم أمرهم، وأن

[1] الطنطاوي: بنو إسرائيل، في القرآن والسنة، ص ٧٤٠.

يجعلوهم يعالجون قضية فلسطين بالكلام الأجوف، وأن يحملوهم على إبعاد العناصر المؤمنة المخلصة عن الاشتراك في الدفاع عن فلسطين بحجة أنهم مغالون وبعيدون عن الحكمة والكياسة.

٣ . الجهود المادية والأدبية التي بذلها العالمان: العربي والإسلامي في سبيل بقاء فلسطين عربية إسلامية، أقل بكثير من الجهود التي بذلتها اليهودية العالمية لتهويد فلسطين واستلابها من أيدي أصحابها الشرعيين، وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى ما جمعه اليهود من أموال في سبيل السيطرة على فلسطين لوجدناه أضعاف ما جمع من العالمين الإسلامي والعربي، من أجل الدفاع عن الأراضي المقدسة، ولقد لفت هذا الشح الشديد أنظار بعض الأجانب، فقد سأل المستر (كروسمان) عضو مجلس العموم البريطاني، أحد أصدقائه العرب المسلمين قائلاً: هل في الدين الإسلامي ما يمنع التعاون بين المسلمين؟ فأجاب صديقه بالنفي، وسأله عن السبب في هذا السؤال، فقال (كروسمان): إذاً لماذا لا يساعد بعضكم بعضاً، ولا تبذلوا شيئاً حتى للاجئين المشردين.

٤ . من أكبر العوامل التي أدت إلى خسارة العرب في حرب فلسطين تفرق قيادتهم، وعدم خضوعها لرأي يدير المعركة بحزم وإخلاص وكفاءة، فقد خاضت الجيوش العربية المعركة بقيادات متفرقة، وسياسات متخاذلة مترددة، ولم يقاتلوا صفاً واحداً، كأنهم بنيان مرصوص، وبذلك ضاعت الفرصة من أيديهم في الانتصار على عدوهم.

ومما لا شك فيه أن الجيوش العربية عندما دخلت معركة فلسطين سنة ١٩٤٨م وفيما بعد هذا التاريخ من معارك كانت أقوى عدة، وأكثر عدداً من اليهود، ولكن هذه القوة والكثرة لم تجدا من يقودهما لإنقاذ فلسطين بأمانة وحماسة وإخلاص، بل بالعكس وجدت من يتآمر عليها، ويمزق صفوفها، ويمكن عدوها منها ولئن قيل بأن الجيوش العربية كانت موحدة، فإن هذا القول مردود بأن هذا التوحيد كان شكلياً، وأن ضرره كان أكبر من نفعه.

ولقد صرح (بن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل بأن انتصارهم في معركة فلسطين مرده إلى حسن سياستهم، وليس إلى قوتهم الحربية، فقد قال في خطاب له في الكنيست اليهودي:

"نحن مدينون بنجاحنا في إقامة دولة إسرائيل بـ ٩٧% للسياسة وبـ ٣% للحرب والجيش فقط".

٥ . وأيضاً من أكبر العوامل التي أدت إلى خسارة الحرب في فلسطين توقيع الهدنتين : الأولى والثانية بين العرب واليهود نتيجة ضغط إنجلترا وأمريكا على بعض الدول العربية، فقد كان العرب في أول الأمر يقفون موقف المنتصر الظافر، لأن الجيش المصري كان موغلاً في التقدم نحو تل أبيب والجيش العراقي كان على بعد أميال منها، والجيش الأردني كانت اللد والرملة تحت يده، وكان اليهود في القدس في أسوأ حال بعد أن ضيق المجاهدون عليهم الخناق، حتى لقد رفعوا الرايات البيضاء رمزاً لاستسلامهم، أما يهود حيفا فقد وسطوا بعض العرب لمفاوضة الجيش العراقي على التسليم، وفي تل أبيب كان اليهود في ذعر وفزع، حتى لقد طالبوا زعمائهم بالتسليم العاجل، فاضطر بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل حينئذ أن يخطب فيهم قائلاً : "إن لدي وعداً قاطعاً من انجلترا وأمريكا بأن الهدنة ستعقد خلال ثلاثة أيام، فإذا لم يتم ذلك فتعالوا فاشنقوني هنا"

وفعلاً قبل أن تمضي ثلاثة أيام على خطاب (بن غوريون) تمت الهدنة الأولى التي حصلت في ١١ يونيو سنة ١٩٤٨م أتيح لهم خلال هذه الفترة أن يتداركوا ما كان ينقصهم من السلاح والعتاد، وأن يفكوا الحصار عن يهود القدس، وأن يتمكنوا عن طريق عملائهم من إجبار الفوج العراقي من الانسحاب بعيداً عن مواقعه، وأن يجعلوا يهود حيفا يعدلون عن التسليم، وأن يسحبوا القوات الأردنية من اللد والرملة.

والخلاصة: أنهم استطاعوا خلال فترتي الهدنة أن يقلبوا الوضع رأساً على عقب، ولو أن زعماء العرب وقادتهم رفضوا الهدنتين رفضاً تاماً، واستمروا على القتال مهما كانت الظروف، لما تمكن اليهود مما تمكنوا منه بعد ذلك.

٦ . الذين اشتركوا في الدفاع عن فلسطين من الجيوش العربية، ومنظمات المتطوعين دافعوا عنها في مجموعهم بدافع النعرتين : الوطنية والسياسية ولم تكن الحماسة الدينية لفلسطين تملأ قلوبهم، وتفيض بها عواطفهم ومشاعرهم، وتسيطر على سلوكهم وأخلاقهم، بينما اليهود يعتبرون حروبهم في فلسطين إنما هي حروب دينية

محضة، وأن موتهم على ترابها شرف لهم، وقد استغلوا هذه النواحي الدينية في التأثير على الإنجليز والأمريكان، ليساعدوهم في بلوغ غايتهم وإسكانهم في فلسطين، التي وهبها الله لهم وحدهم وعن طريق هذه الدعاية الدينية اليهودية جمعت الصهيونية العالمية مئات الملايين من الدولارات أنفقتها في فلسطين، كما أنها عن طريق هذه الدعاية سخرت لخدمتها رجال الدين في انجلترا وأمريكا وغيرها من دول الكفر .

٧. هذه الأسباب التي سقناها هي في مجموعها أسباب داخلية لكارثة فلسطين وهناك أسباب خارجية من أهمها: تلاقى أهداف الاستعمار البريطاني، ومصالحه مع مصالح اليهود في القضية الفلسطينية، ثم انضمام أمريكا إليهما في أوائل هذا القرن، وذلك لأن الاستعمار يرمي إلى ما يأتي:

- جعل الدولة اليهودية في فلسطين متكأ له، وخنجراً مسموماً يشهره في وجه الدول العربية، كلما أحس منها تمردا عليه، ومقاومة له.
- اتخاذ الوطن اليهودي حاجزاً يفصل به الأقطار العربية في آسيا، عن الأقطار العربية في إفريقيا، ويقطع كل صلة برية بين هاتين القارتين.
- اتخاذ اليهود عائقاً دون تقدم الأمة العربية في أقطارها الواسعة، والتي تقع في أهم مراكز العالم التجارية والجغرافية والعسكرية والتي يزداد عدد سكانها زيادة مستمرة، والتي يريد الاستعمار أن يجعلها دائماً تحت سيطرته واستغلاله.

هذا ومحاولات الاستعمار لوجود دولة غريبة في قلب العالم العربي ليست وليدة سنوات قريبة، بل هي محاولات مضت عليها عشرات السنين.

ففي سنة ١٩٠٧م تولى (كامبل بنرمان) رئاسة الوزارة البريطانية فقام بتشكيل لجنة مكونة من بعض علماء التاريخ ، ورجال القانون والسياسة، من عدة دول ، ووجه خطاباً إلى تلك اللجنة حدد فيها مهمتها ومما جاء فيه : "إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تنحل رويداً رويداً وتزول والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة وهي لا تتغير بالنسبة لكل نهضة ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين، وقبلها بابل وآشور

والفراعنة وغيرها، فهل لديكم وسائل يمكن أن تمنع سقوط إمبراطوريتنا أو تأخر مصير الاستعمار الأوروبي بعد أن بلغ الآن الذروة."

وبعد أن ظلت هذه اللجنة سبعة أشهر في دراسة وبحوث، قدموا تقريراً إلى وزارة المستعمرات البريطانية ومما جاء فيه قولهم: "إن الخطر ضد الاستعمار في آسيا وفي أفريقيا ضئيل، ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط. "وبناءً عليه: "فعلى الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة وتأخرها وإبقاء شعوبها على ماهي عليه من تفكك وتأخر وجهل، وعليها أيضاً ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المناطق عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي، غريب يمثل الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، حيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة."

وأخذت بريطانيا تبحث عن هذا الحاجز البشري الغريب الذي يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، فهداها تفكيرها إلى اختيار اليهود لتوجد منهم دولة في فلسطين تكون صديقة لها، وعدواً لسكان المنطقة، ومنذ ذلك التاريخ، وبعد أن خضعت فلسطين للانتداب البريطاني أخذ الإنجليز يسعون لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وطوال مدة الانتداب، وبريطانيا تعمل على وضع فلسطين في حالات سياسية واقتصادية وإدارية، تسهل إنشاء الوطن القومي لليهود، كما فصلنا ذلك من قبل.

ثم انضمت إليها بعد ذلك دول الكفر وخصوصاً أمريكا، التي بذلت جهوداً جبارة لإنشاء دولة لليهود في فلسطين، وأنفقت في سبيلها مئات الملايين من الدولارات وبهذا نرى أن سلب فلسطين من أهلها، وإعطاءها بالخديعة والغدر لليهود، كان هدفاً من أهداف انجلترا، لتوطيد نفوذها في الأقطار العربية والإسلامية.

وفي ختام هذا الفصل أنقلُ هذه السطور من كتاب فلسطين تاريخها وقضيتها:

لقد ورثت الولايات المتحدة أطماع الاستعمارين البريطاني والفرنسي ومصالحهما في المنطقة وورثت بالتالي العلاقة العضوية والاستراتيجية بين السياسة الإمبريالية والكيان الصهيوني باعتباره الركيزة الأولى لهذه السياسة في منطقة الشرق الأوسط ومن هذا المنطلق

يجب تقويم السياسة الأمريكية في المنطقة وتحالفها مع إسرائيل، فمصلحة الولايات المتحدة الخاصة والدول الغربية عامة تركزت منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وخلال النصف الثاني من القرن العشرين ومازالت على أمرين: احتواء الامتداد السوفيتي خارج نطاق دول الكتلة الاشتراكية وتأمين استمرار تدفق النفط من الشرق الأوسط إلى الغرب الصناعي وضمان أمن إسرائيل وسلامتها وهكذا فقد تطورت السياسة الأمريكية تجاه المنطقة من مبدأ ملء الفراغ الذي حدث بعد الانسحاب الانكلو فرنسي إلى ما وراء السويس غرباً إلى إقامة الأحلاف العسكرية إلى تسوية النزاع على الأراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧م ثم سياسة كيسنجر الخطوة خطوة وعملية كامب ديفيد ومبدأ أمن الخليج وصولاً إلى سياسة الإجماع الاستراتيجي التي نفذها الجنرال هيغ وزير الخارجية الأمريكي في إدارة الرئيس ريغان وخلفه الوزير جورج شولتز ومهما يكن العنوان الذي تختفي وراءه الأطماع الأمريكية في المنطقة فإن الثابت الوحيد كان ومازال الحفاظ على إسرائيل قوية متفوقة على جميع الأطراف الأخرى في الصراع وتدرك إسرائيل ذلك جيداً لهذا فإنها تحرص دائماً على الادعاء أمام الرأي العام الغربي بأنها القاعدة المتقدمة للحضارة الغربية وسط صحاري التخلف الشرقي وهي قلعة الديمقراطية وسط بحر من الأنظمة المتسلطة وهي الامتداد الروحي لعصر النهضة والثورة الصناعية والأكثر قدرة بتقدمها التقني على ضمان التفوق العسكري والوقوف في وجه المد الشيوعي وبالتالي الهيمنة على المنطقة وهكذا وانطلاقاً من هذه المعطيات جميعها فإن أية محاولة من جانب الدول العربية للتأثير على الغرب وإقناعه بالتخلي عن تحالفه مع إسرائيل واستبدالها بحليف عربي لن تعنى سوى المزيد من الاستسلام للشروط الإسرائيلية كما حدث مع السادات ما دامت المصالح الغربية مضمونة ومؤمنة ويخطئ خطأً مميتاً من يعتقد أن الولايات المتحدة والغرب عامة قد يفكر يوماً في تغيير سياسته القائمة على اعتماد إسرائيل كنزاً استراتيجياً وحليفاً دائماً ثابتاً خصوصاً بعد سقوط نظام الشاه في إيران وقيام الجمهورية الإسلامية مادامت حالة التمزق وعدم الاستقرار والخلافات الجانبية التي تغذيها الأطماع الأجنبية في المنطقة تسود العلاقات العربية وما دامت خيرات البلاد وثرواتها لا توجه إلى خدمة الأهداف الوطنية والقومية.

بل إن إعادة نشر القواعد الأمريكية في عدد من دول المنطقة ضمن إطار الإجماع الاستراتيجي ولتقديم الخدمات إلى قوات التدخل السريع، تؤكد إصرار الولايات المتحدة على السير في سياستها التقليدية الهادفة إلى الهيمنة على المنطقة بأكملها كما أن الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي الذي أعلن مؤخراً يشكل ركيزة أساسية في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وتعبيراً مباشراً وصريحاً عن تلاقي مصالح البلدين.

أما مجموعة الدول الأوروبية الغربية فهي تتأرجح في مواقفها من القضية الفلسطينية بين حاجتها إلى النفط العربي لتغذية مراكزها الصناعية وإلى الأسواق العربية لتصريف منتجاتها وبين ارتباطها الاستراتيجي العسكري والاقتصادي بالولايات المتحدة ضمن إطار حلف الأطلسي ويعتبر بيان البندقية الذي صدر عن مجموعة دول السوق الأوروبية التسع المشتركة في ١٣ حزيران ١٩٨٠م تعبيراً عن الموقف إذ إنه يدعو إلى تنفيذ قراري الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ وضمان أمن وسلامة وجود جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل وتحقيق العدل لجميع الشعوب بما يعنيه ذلك من اعتراف غير مباشر وبالتالي ضعيف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والتوصل إلى حل لأزمة المنطقة ضمن إطار دولي على صيغة مؤتمر جنيف.

ويجب ألا نغفل عن المسؤولية التاريخية التي تتحملها انكلترا باعتبارها الدولة المنتدبة على فلسطين كما أن الدعم الفرنسي العسكري والتقني لإسرائيل في أعوامها الأولى وخصوصاً في المجال الذري كان له المساهمة الأكبر في ترسيخ أقدامها في المنطقة في حين تابعت ألمانيا الاتحادية ومن خلال صفقة التعويضات لضحايا النازية مهمة الدعم المالي والعسكري للكيان الصهيوني.

هذا وتبذل منظمة التحرير الفلسطينية جهوداً متواصلة لإيجاد قنوات للحوار المشترك مع القوى الأوروبية المعادية لسياسة الارتباط بالولايات المتحدة ولتطوير هذه القنوات.

وعلى الرغم من أن دول العالم الثالث تشكل حالياً الأغلبية العظمى من مجموعة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة فإنها تعاني في معظمها من عبء التخلف الثقيل الذي أورثها

إياه الاستعمار الأوروبي بمختلف أشكاله وبالتالي فإن تأييدها للقضايا العربية يكاد ينحصر ضمن الإطار المعنوي والدبلوماسي.

على الصعيد العربي: تتمتع الدول العربية كما هو معلوم بإمكانات هائلة، اقتصادياً واستراتيجياً وسياسياً، نظراً إلى موقعها الجغرافي المهم، وثرواتها النفطية والمعدنية الثمينة، وكثافة سكانها، وتراثها الحضاري العريق، إلا أن هذه الإمكانات جميعاً تبقى محدودة الأثر ما دامت الخلافات الداخلية والنزاعات الهامشية تحكم العلاقات بين دول المنطقة، ومن الواضح أن سلاح النفط، الذي استعمل بفعالية، ولأول مرة في حرب ١٩٧٣م، سرعان ما فقد الكثير من تأثيره بسبب المواقف العربية المتناقضة داخل منظمة "الأوبيك"، كما أن عائدات النفط التي سجلت أرقاماً مذهلة بالذات بعد حرب ١٩٧٣م، معرضة دائماً لخطر التجميد والمصادرة- كما حدث مع الودائع الإيرانية في الولايات المتحدة بعد الثورة الإيرانية- ما دامت هذه الأموال مودعة في المصارف الغربية بدلاً من استثمارها في مشاريع التنمية والإعمار العديدة التي يحتاج إليها الوطن العربي، وهي معرضة للتآكل وانخفاض القيمة، بالإضافة إلى انحسار الحاجة إلى النفط.

إن ظاهرة التعددية في المنطقة العربية، يجب أن تكون مصدر غنى حضاري وثقافي، كعهدها دائماً عبر التاريخ، وما حالة التشرذم والانقسام التي تشهدها الآن إلاّ ثمرة السياسة الاستعمارية في مدى طويل، وآخر حلقاتها سياسة كيسنجر الأميركية، ونهج كامب ديفيد الاستسلامي الذي يعتمد على تغذية النزعات الانقسامية والانفصالية لضمان بقاء الكيان الإسرائيلي قوياً ومسيطراً على الشعوب العربية الغارقة في خلافاتها ومشاحناتها.

إن صيغة واقعية تقدمية للتعاون والتضامن والعمل العربي المشترك بين الدول العربية الغنية بمواردها النفطية والمالية وبين الدول العربية الغنية بمواردها البشرية والتقنية، هي وحدها القادرة على حماية الحقوق العربية ودعم المطالب القومية وتحقيقها.

على الصعيد الإسرائيلي: مازالت إسرائيل تسعى، وبشتى الوسائل لتحقيق سيطرتها الكاملة على الأرض العربية في فلسطين المحتلة، وتجسيد الحلم الصهيوني القديم. ولكن تفحصاً دقيقاً لما "أنجزته" الحركة الصهيونية في إسرائيل، يكشف بوضوح أنها نجحت في

تغذية الخلافات العربية وضرب مسيرة الشعوب العربية التقدمية، وبالتالي خدمة المخططات الاستعمارية الغربية، أكثر من نجاحها في تحقيق أهدافها الصهيونية البحتة.

فالكيان الصهيوني ما زال عاجزاً حتى الآن عن أقناع يهود العالم بالهجرة إلى إسرائيل على أساس "جمع الشتات"، ومازال عدد السكان اليهود في إسرائيل لا يتجاوز ٢٠% من مجموع يهود العالم.

وفي حين اتخذت الحركة الصهيونية من الكارثة النازية مبرراً لإقناع اليهود بأن أمنهم وسلامتهم لن يتحققا إلا في دولة عبرية خالصة، يشعر سكان إسرائيل حالياً بأنهم يفتقرون إلى الإحساس بالأمن والاستقرار مع تصاعد المقاومة المدنية والمسلحة في أوساط العرب الفلسطينيين تحت الاحتلال وخارجه.

يضاف إلى ذلك أن سياسة القمع والاضطهاد التي تمارسها السلطات الإسرائيلية ضد السكان العرب من جهة، والتمييز العنصري والفوارق الاجتماعية السائدة داخل المجتمع الإسرائيلي نفسه من جهة أخرى، تطرح تساؤلات عميقة بشأن شعارات الديمقراطية والمساواة والعدالة التي أطلقتها الحركة الصهيونية في مستهل نشاطها.

كما أن محاولات التيار الديني المتزمت فرض تعاليمه على الدولة والمجتمع، تواجه بمعارضة شديدة من جانب التيار العلماني واليساري داخل إسرائيل، وتهدد باستمرار انشقاق عميق في الكيان الصهيوني.

وعلى الصعيد الاقتصادي، يسجل التضخم الإسرائيلي أعلى نسبة في العالم (١٣١,٥% آخر سنة ١٩٨٢م)، وهناك ديون خارجية تجاوزت ١٢ مليار دولار (آخر سنة ١٩٨٣م)، وعجز في ميزان المدفوعات بلغ في أخر سنة ١٩٨٢م (٥,٢ مليار دولار)، وعجز في الميزانية العامة للعام المالي ١٩٨٣م بلغ ٦,٦مليار دولار، أي نحو ٢٤% من الناتج القومي القائم.

ويساهم في هذا الوضع الاقتصادي المتردي، عزلة إسرائيل الاقتصادية والسياسية عن المحيط العربي، بحيث بقيت حتى الآن جسماً غريباً مزروعاً في المنطقة، باستثناء انفتاحها مؤخراً على السوق المصرية بموجب معاهدة السلام، وقد شهد هذا الانفتاح تراجعاً ملحوظاً

بعد الغزو الإسرائيلي للبنان، وإصرار إسرائيل على تهويد المناطق المحتلة. كما يساهم أيضاً في تأزم الوضع الاقتصادي النفقات العسكرية الهائلة التي تتكبدها إسرائيل من أجل الحفاظ على تفوقها الدائم في سباق التسلح الجاري في المنطقة، خدمة للأهداف الصهيونية والاستعمارية على حد سواء، وتلجأ إسرائيل من أجل تغطية العجز المتراكم في وضعها الاقتصادي إلى المساعدات والقروض الخارجية، الأمر الذي يضاعف تبعيتها للغرب وارتباطها بمخططاته في المنطقة.

وفي مواجهة هذه الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي تهدد إسرائيل، نراها تلجأ إلى أسلوب "أهرب إلى الأمام" وذلك بتصعيد سياستها القمعية العنصرية ضد الشعب الفلسطيني خاصة، وسياستها العدوانية التوسعية ضد الشعوب العربية عامة، ويعتبر المشروع الذي تقدم به يسرائيل كينيغ، حاكم اللواء الشمالي سنة ١٩٧٦م خلال عهد حكومة رابين العمالية، لحل "مشكلة العرب في إسرائيل"، نموذجاً واضحاً لهذه السياسة: فهذا المشروع، الذي يلحظ مدى التهديد الكامن في التزايد الطبيعي للسكان بسبب تنامي وعيهم الوطني والقومي، يدعو صراحة إلى " تحجيمهم " على المستويات كافة. فهو يدعو إلى تخفيف عدد السكان العرب _ بالطرد والإبعاد والتهجير _ والحد من تكاثرهم الطبيعي، وتشجيع الطلاب الجامعيين على الهجرة بتضييق سبل العيش داخل البلد أمامهم وإفقارهم، وتعزيز وجود قوى القمع في الشارع العربي.

أما مشروع الحكم الذاتي الذي تقدم به مناحيم بيغن، زعيم الليكود اليميني ورئيس حكومة إسرائيل السابق، تنفيذاً لاتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع مصر فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة، فهو وجه آخر لهذه السياسة، إذ يؤدي تنفيذ هذا المشروع إلى تجريد السكان العرب في هذه المناطق المحتلة من آية حقوق سياسية أو تشريعية أو أمنية، ومن حق السيادة على الأرض، ويبقي لهم حق ممارسة الخدمات البلدية والاجتماعية لا أكثر. وتكشف هذه البرامج الإسرائيلية وغيرها إدراك المسئولين الإسرائيليين، على اختلاف انتماءاتهم الحزبية والفكرية، إن الأرض هي العامل الثابت في الصراع العربي _ الإسرائيلي، وهي مقياس السيطرة والسيادة، وبالتالي كان إصرار الكيان الصهيوني على إلغاء الطابع

العربي لأرض فلسطين، وانتزاعها من سكانها الأصليين، وزرعها بالمستعمرات الإسرائيلية لتغيير معالمها، وخلق الحقائق على الطبيعة، وفرض سياسة الأمر الواقع في وجه أية محاولة لاستعادة الحق العربي في فلسطين السليبة، وقد بلغ عدد المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في المناطق المحتلة حتى أوائل سنة ١٩٨٣م ، (١٤٢) مستعمرة، منها (٩٨) مستعمرة في الضفة الغربية، و(٣٣) مستعمرة في هضبة الجولان، و(١١) مستعمرة في قطاع غزة، في حين تتوالى المخططات والمشاريع الاستيطانية في هذه المناطق، كي يرتفع عدد سكانها اليهود في نهاية السنة الحالية على نحو (٣٠) ألف يهودي.

وتمهد إسرائيل حالياً لضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، بعد أن قامت بضم الجولان، وذلك بإضفاء طابع "مدني" على حكمها العسكري لهذه المناطق، وبإطلاق التصريحات على لسان كبار المسئولين باعتزامها ضم الضفة والقطاع بعد انتهاء فترة الحكم الذاتي بحسب اتفاقيتي كامب ديفيد، وتستمر إسرائيل إلى جانب سياستها القمعية المتواصلة ضد الشعب الفلسطيني، في عدوانها على الشعوب العربية، فتقصف بطائراتها الأمريكية الصنع المواقع المدنية في الجنوب اللبناني وصيدا وبيروت وطرابلس وتحتل مساحات واسعة من الأراضي اللبنانية، وتعترض طريق الطيران المدني فتسقط طائرة ليبية شمال سيناء، وتهاجم المفاعل الذري العراقي لعرقلة أي تقدم علمي وتقني عربي، وتخترق الأجواء السعودية، وتضرب مواقع الصواريخ السورية في البقاع اللبناني، كل ذلك لتظهر للعرب أن الخطر الصهيوني لا يتهدد الشعب الفلسطيني فحسب، بل أنه يهدد الشعوب العربية جمعاء، بهدف فرض الهيمنة الإسرائيلية، وبالتالي الأمريكية على المنطقة بأسرها، كما تعكس هذه الممارسة وغيرها المضمون الواسع والمطاط لما يسمى "مفهوم إسرائيل الأمني"، الذي يرفض الاعتراف بأية قيود سياسية أو دبلوماسية أو جغرافية على النشاط العسكري الإسرائيلي، ويعتبر أن المجال الحيوي للذراع الضاربة الإسرائيلية يكون حيثما تستطيع هذه الذراع أن تصل، ولعل هذا يفسر ضمن أمور أخرى، رفض إسرائيل بإصرار تعيين حدود جغرافية ثابتة لها كي تبقي الباب مفتوحاً أمام المزيد من أعمال التوسع والاحتلال.

على الصعيد الفلسطيني: لقد استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، أن تنتزع الاعتراف الرسمي بها من أكثر من ١٢٠ دولة عضواً في الأمم المتحدة _ أي أكثر من الدول المعترفة بالكيان الصهيوني ذاته، وما كان ذلك ليتحقق لولا الثمن الباهظ الذي تمثل بدماء الآلاف من الشهداء، ولولا معاناة عشرات الآلاف من المعتقلين والأسرى، وتضحيات الشعب الفلسطيني المقيم تحت الاحتلال وخارجه، وتضامن الشعب اللبناني البطل الذي بذل بسخاء نادر وأصيل وتحمل الخسائر الجسيمة في الأرواح والممتلكات، دفاعاً عن الثورة الفلسطينية، ونضالاً ضد العدوان الصهيوني الذي يهدد أرضه ومياهه، بالإضافة إلى مؤازرة الشعوب العربية الأخرى والقوى التقدمية والثورية في العالم ودعمها. وتتمتع منظمة التحرير الفلسطينية حالياً بصفة عضو مراقب في جميع أجهزة الأمم المتحدة، وفي العديد من المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية، كما تقم علاقات دبلوماسية بعدد من دول الكتلة الاشتراكية والآسيوية والأفريقية والأوروبية. وتحرص منظمة التحرير على الاحتفاظ بعلاقات أخوية بجميع الدول العربية، غير المرتبطة بنهج كامب ديفيد، وتسعى باستمرار لحصر الخلافات العربية وحلها بحيث لا تنعكس سلباً على القضية الفلسطينية.

وتبقى الساحة الفلسطينية هي الميدان الأساسي لنشاط منظمة التحرير، والمحك الثابت لقدراتها السياسية والعسكرية والتنظيمية، وفي هذا المجال، قدمت الجماهير الفلسطينية الدليل تلو الدليل على التفافها حول منظمة التحرير وقيادتها، وعلى وعيها الوطني العميق والتزامها الصادق بقضيتها وكفاحها المسلح، وتواصل جماهير الأرض المحتلة معاركها اليومية وانتفاضتها الشعبية الرائعة ضد سلطات الاحتلال الإسرائيلي، دفاعاً عن الأرض والوطن، وصموداً مع المعتقلين والأسرى، وتأييداً لرؤساء البلديات والقيادات الوطنية، ونصرة للأماكن المقدسة والمواقع الدينية، وتضامناً مع الجامعات والمعاهد الثقافية والتعليمية، واستنكاراً لقرارات الضم الإسرائيلية والاعتداءات المتكررة على المدنيين في لبنان، ومن جهة أخرى، تواصل مجموعات الثورة الفلسطينية، داخل الأرض المحتلة، توجيه ضرباتها السريعة والمحكمة ضد العدو الإسرائيلي، كما تواصل قوات الثورة الفلسطينية، بالتعاون مع فصائل

الحركة الوطنية اللبنانية والقوات السورية العاملة في لبنان، التصدي للاحتلال الإسرائيلي وأطماعه التوسعية وإجراءاته القمعية التعسفية.

وتبقى وحدة الصف الوطني الفلسطيني، ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وتجاوب القيادة مع أماني الشعب الفلسطيني وواقعه، هما الضمانة الرئيسية لسلامة مسيرة الثورة الفلسطينية وحمايتها تحت مظلة التضامن العربي الفعال، وهي مسيرة طويلة وشاقة.[١]

---

[١] . فلسطين تاريخها وقضيتها ص ٣٢٣ – ٣٢٨ بتصرف.

جدول يبين مدة الزمن الذي تعاقب فيه الحكام على فلسطين العربية

	أسماء الحاكمين	من	إلى	المدة	الزمن	الجنسية	ملاحظات
	الكنعانيون	–	–	–	قبل الميلاد	عرب	
	المصريون	–	–	–	قبل الميلاد	مصريون	
	الهكسوس	١٧١٠	١٤٨٠	٢٣٠	قبل الميلاد	عرب	
	المصريون	١٤٨٠	١٣٥٠	١٣٠	قبل الميلاد	مصريون	
	الحثيون	١٣٥٠	١٢٩٠	٦٠	قبل الميلاد	حثيون	
	المصريون	١٢٩٠	١١٥٤	١٣٦	قبل الميلاد	مصريون	
	محليون	١١٥٤	١٠٠٠	١٥٤	قبل الميلاد	فلسطينيون	
	داود وسليمان	١٠٠٠	٩٢٧	٧٣	قبل الميلاد	مسلمون	
	يهود الشمال	٧٢٩	٧٢٢	١٠٥	قبل الميلاد	يهود	حكم جزئي
	يهود الجنوب	٩٢٧	٥٨٦	٣٤١	قبل الميلاد	يهود	حكم جزئي
	بابل	٥٨٦	٥٢٨	٤٨	قبل الميلاد	مستعمرون	
	فارس	٥٢٨	٣٣٠	٢٠٨	قبل الميلاد	مستعمرون	
	يونان	٣٣٠	٣٢٣	٧	قبل الميلاد	مستعمرون	
	مصريون	٣٢٣	٢٠٠	١٢٣	قبل الميلاد	مصريون	
	سلوقيون	٢٠٠	١٤٢	٥٨	قبل الميلاد	مستعمرون	
	يهود	١٤٣	٧٠	٧٣	قبل الميلاد	يهود	حكم جزئي
	أمينيا	٧٠	٦٣	٧	قبل الميلاد	مستعمرون	
	روما	٦٣	٦١٤	٦٧٧	بعد الميلاد	مستعمرون	
	فارس	٦٢٤	٦٢٨	١٤	بعد الميلاد	مستعمرون	
	روما	٦٢٨	٦٣٨	١٠	بعد الميلاد	مستعمرون	
	العرب	٦٣٨	١٠٨٥	٤٤٧	بعد الميلاد	عرب مسلمون	حكم كامل
	الأتراك	١٠٨٥	١٠٩٩	١٤	بعد الميلاد	مسلمون	فترة عربية
	الصليبيون	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢	بعد الميلاد	مستعمرون	حكم جزئي
	مصريون	١٢٩١	١٥٧١	٢٦٦	بعد الميلاد	عرب مسلمون	
	سلاجقة	١٠٩٩	١٢٩١	١٩٢	بعد الميلاد	عرب مسلمون	حكم جزئي
	أتراك	١٥١٧	١٩١٨	٤٠١	بعد الميلاد	مسلمون	
	بريطانيا	١٩٢٣	١٩٤٨	٢٥	بعد الميلاد	مستعمرون	

الفصل الثاني

فضـــائل

فلسطين وبيت المقدس

في هذا الفصل سأتحدث بإذن الله عن القيمة التاريخية والروحية لفلسطين عبر التاريخ القديم والحديث، ومن خلال الحضارات الإنسانية، والأديان السماوية، ثم أنتهي بالحديث عن مكانة فلسطين في الإسلام وعند المسلمين.

وسوف أحقق ذلك من خلال توطئة وثلاثة مباحث الآتية:

- **المبحث الأول: فلسطين والكتاب المقدس.**
- **المبحث الثاني: فلسطين بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.**
- **المبحث الثالث: لماذا فلسطين مقدسة.**

توطئة:

تتميز فلسطين في هذا الجزء الصغير من الأرض عن بقية بلاد المعمورة بميزات لا يمكن أن تتواجد في غيرها من البلاد، ميزة المكان، ميزة الزمان، ميزة عبق التاريخ والذكريات، ميزة الصمود أمام كل الدواهي والملمات، ميزة الحضارة، ميزة الأنبياء والنبوات والبُشريات.

ليس هناك مكان تهفو إليه النفوس كما تهفو إلى بيت المقدس وفلسطين، وليس هناك قضية أهمت الدنيا بأسرها كما أهمتها قضية فلسطين، لقد شغَلت القاصي والداني، العربي وغير العربي، المؤمن والكافر، الصغير والكبير، إنها مقدسة عند المسلمين ومقدسة عند المسحيين ومقدسة عند اليهود "بزعمهم"، أما من كانوا قبل هؤلاء فقد تقاطروا على فلسطين، كلٌ يريد أن يكون له موضع قدم وأثرٌ مع التاريخ يذكر.

وكما يقول ول ديورانت: (لقد كانت فلسطين في يوم من الأيام أرضاً تفيض لبناً وعسلاً). (١)

وحينما نتحدث عن فلسطين يأخذنا الحديث عن القدس والمسجد الأقصى أخذاً قوياً لما لهذه المدينة من قداسةٍ لا مثيل لها في أي مدينة على ظهر الأرض وكما يقول المستشار طارق البشرى.

ليست القدس مدينةً في وطن هو فلسطين ولكن فلسطين وطنٌ في مدينة هي القدسُ، القدس لا يمكن أن تستحيل إلى أنها محض موقع وعاصمة فهي ليست برلين يمكن أن تحل محلها بون في الضمير الألماني وهي ليست اسطنبول يمكن أن تحل محلها أنقرة في الضمير التركي ولكنها القدس بغير بديل. (٢)

إن فلسطين هي أرض البُشريات بتخليص البشر من أعدائهم ومن الشرك وإنه لنبأ عظيم أكثر الناس عنه معرضون والتاريخ شاهد بمخزون هذه الأرض من تخليص البشر من أدعياء كثيرين ألقوا برجسهم عليها، ثم القوا عليها بؤس المصير.

---

[١]. قصة الحضارة ول ديورانت ص٢ ص٣٢١.
[٢]. حسام الدين نبيل ـ مقال/ القدس مفاهيم يجب ايضاحها- قناة الجزيرة.

لهذا فإنها بعد كل محنة كانت تخرج حاملة معها جبالاً من الصبر والدروس في الشموخ المتواصل والنصر العزيز والعزة المستديمة ولقد استفادت من حركة التاريخ عليها أو بها أو فيها وهي تتمتع بخصوصية كبيرة

لأنها **كما يقول الدكتور محمد أحمد صالح:** تتمتع بخصوصية كبيرة لأنها تختص باستمرارية فريدة تتحدى التاريخ فقد التقت داخلها حضارات العالم، كما كانت مركز التصادم بين الإمبراطوريات القديمة والحديثة وفي كل مرة كانت تنهض إلى الحياة من جديد وتعود قوية متعافية. (١)

تعاقب على فلسطين الكنعانيون والعمالقة والاسماعيليون والمعينيون وقيدار وجشم والأقباط والغساسنة والقبائل العربية.

وتعاقبت عليها إمبراطوريات: الكنعانيون والمصريون والهكسوس والحيثيون ودولة داود وسليمان عليهما السلام ويهود الشمال ويهود الجنوب وبابل وفارس واليونان والسلوقيون والأرمينيون والرومان والعرب والأتراك المماليك والصليبيون والمصريون مرة أخرى والسلاجقة والأتراك العثمانيون والبريطانيون وفي نهاية المطاف الاحتلال الصهيوني.

إلا أنها ودائماً كانت ما أسرع أن تتعافى من هذه الاحتلالات لتعود إلى أصلها العربي الإسلامي وكثيراً ما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي عنها وعن مقامها وعما يفعلون تجاهها لأنهم كانوا كثيراً ما يقرأون في كتابهم حديثاً عنها.

فهي أرض مقدسة بنص القرآن الكريم قال تعالى على لسان موسى عليه السلام **{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرض المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ}** (سورة المائدة ٢١)،

قال الإمام الزمخشري: يعني بيت المقدس وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن. (٢)

---

[1] . مقال: السياسة الصهيونية، د. محمد أحمد صالح، مجلة العربي العدد ٥٠٥/١٢/٢٠٠٠م.
[2] . الكشاف: الزمخشرى ص٢ ص١٨.

وقال الإمام القرطبي: المقدسة معناها المطهرة والمباركة والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه وهي بلاد الشام. (١)

وفلسطين أرض الأنبياء ومبعثهم عليهم السلام فعلى أرضها عاش إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيي وعيسى عليهم وعلى نبينا السلام وزارها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج.

كما عاش على أرضها كثيرٌ من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي جاءهم نبي آخر وممن ورد ذكرهم نبي الله يوشع، لهذا لا غرابة أن المسلمين حينما يقرؤون القرآن الكريم يشعرون بارتباط عظيم بينهم وبين هذه الأرض، لأنها ميدان الصراع بين الحق والباطل، ولأن المسلم يؤمن انه الحامل لميراث الأنبياء جمعيهم.

وتكثر في فلسطين مقامات ومزارات الأنبياء وهي تخلد ذكرى استقرارهم أو مرورهم في هذه الأماكن، فأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام سميت باسمه إحدى أهم مدن فلسطين وهي مدينة الخليل ويقع ضريحهُ في هذه المدينة داخل الحرم الإبراهيمي وللنبي صالح عليه السلام سبعة أماكن على الأقل تخُلد ذكرى نزوله في فلسطين أحدها في مدينة الرملة.

وله فيها موسم زيارة سنوي مشهور في شهر ابريل من كل عام وهناك قرية من قرى قضاء طولكرم اسمها "أرتاح" تناقل الناس جيلاً بعد جيل أن يعقوب عليه السلام ارتاح فيها.

وفي فلسطين أكثر من مقام للنبي شعيب عليه السلام وهناك مقام مشهور للنبي موسى عليه السلام قرب أريحا كما أن في القدس ضريح داود عليه السلام أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فهناك العديد من الأماكن التي تخلد ذكراه في القدس وبيت لحم والناصرة.

مع ملاحظة أن لنا موقف من هذه الأضرحة والمشاهد، ليس هنا مكان تفصيله الشرعي.

وفلسطين هي أرض الإسراء كما ذكرنا فقد اختار الله سبحانه وتعالى المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ومنه كان معراجه إلى السماء، فشرّف الله بذلك هذا المسجد وأرض فلسطين تشريفاً عظيماً وجعلت

[1] . تفسير القرطبي ص٦ ص١٢٥.

بيت المقدس بذلك بوابة الأرض إلى السماء وهناك في المسجد الأقصى جمع الله سبحانه لرسوله الأنبياء من قبله فأمهم في الصلاة دلالة على استمرار رسالة التوحيد التي جاءت بها الأنبياء وعلى انتقال الإمامة والريادة وإحياء الرسالة إلى الأمة الإسلامية.

وفي فلسطين ترسخ الإسلام بقدوم عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم واستقرارهم في فلسطين ونشرهم للإسلام فيها وكان منهم: عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأسامة بن زيد بن حارثة وواثلة بن الأسقع وفيروز الديلمي ودحية الكلبي وعبد الرحمن بن غنم الأشعري وعلقمة بن محرز الكناني وأوس بن الصامت ومسعود بن أوس بن زيد وزنباع بن روح وأبو ريحانه شمعون الأنصاري وسويد بن زيد وذو الأصابع التميمي وأبو أُبَيْ بن أم حرام الأنصاري وأنيف بن رملة الجذامي وأبو رويحة الفزعي وأبو ذر الغفاري وغيرهم كثير من الصحابة الذين عاشوا في فلسطين وتشرف ثراها بأجسادهم.

ولا ننسى موقف الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان فقد حرص على أن يأخذ البيعة في بيت المقدس دون سواها من البلاد. فبعد أن تم الصلح بينه وبين الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ معاوية البيعة لنفسه في الكوفة ثم إيلياء حيث بويع له بالخلافة سنة ٤٠هـ.

ومن التابعين من أبناء فلسطين رجاء بن حيوة الكندي من مواليد بيسان وهو الذي أشار على سليمان بن عبد الملك بتولية عمر بن عبد العزيز الخلافة، ومن التابعين أيضاً عبادة بن نسي الكندي وروح بن زنباع وممن سكن فلسطين أوزارها من التابعين مالك بن دينار والأوزاعي وهانئ بن كلثوم وحميد بن عبد الله اللخمى وسفيان الثوري وابن شهاب الزهري.

ومن كبار الأئمة والفقهاء الذين ولدوا في فلسطين الإمام الشافعي الذي ولد في مدينة غزة وممن عاشوا في فلسطين أوزارها من الأئمة إبراهيم بن أدهم والليث بن سعد وأبو بكر ومحمد الطرطوشي وأبو بكر الجرجاني وابن قدامة المقدسي والإمام الغزالي وابن تيمية وإلى فلسطين ينتسب فاتح الأندلس القائد موسى بن نصير اللخمي كما ينتسب إليها عبد الحميد

بن يحيى رئيس فن الكتابة وسيد الإنشاء والدواوين في عصره وينتسب إليها أيضاً أول علماء الكيمياء الكبار في التاريخ الإسلامي خالد بن يزيد الأموي.

موقف الخلفاء من فلسطين:

تقول بيان الحوت: استهوت فلسطين الكثير من الخلفاء فهذا سليمان بن عبد الملك توجه بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك إلى بيت المقدس وبويع فيها وقد كان يتقبل البيعة في مسجد الصخرة، وقد هم بالإقامة في بيت المقدس واتخاذها منزلاً وجمع الأموال والناس بها.

وكان من قبل سليمان بن عبد الملك معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد من بعده يمضيان فصل الشتاء بجانب بحيرة طبرية وسليمان يقيم في الرملة ومروان بن الحكم في الصُنَيبرة من أجمل بقاع الغور وقد توفي في طبريا ومن بعده ابنه عبد الملك الذي كان يشتو في الصُنيبرة أيضاً وقد تُوفيَ حفيده هشام قبل تحقيق أمنيته في سكنى أريحا، أما عمر بن عبد العزيز فقد طلب من جميع ولاته أن يزوروا بيت المقدس ويقسموا يمين الطاعة والعدل بين الناس في مسجدها، وفي عهد أبي جعفر المنصور لما ثار الخوارج عليه في افريقيا سار على رأس الحملة حتى بيت المقدس وهناك ودع الحملة وأقام أياماً، وكان الكثير من الخلفاء يمرون بالمدينة في أثر قيامهم بفريضة الحج المباركة ومنهم المنصور والمهدي وسواهما.

أما سيرة الناصر صلاح الدين في فلسطين وقيادته الجيش في معركة حطين واسترداده بيت المقدس من الصليبيين فهي الدليل على أهمية بيت المقدس عمارة وحجارة فقط وإنما أيضاً على كونها المقياس والمعيار لسلطة الدولة وعلى كونها أحد الرموز الخالدة في التراث العربي الإسلامي وليس هناك من تاريخ مدينة يظهر من خلاله الترابط الوثيق بين الإسلام والعروبة وجهين لعملة واحدة كتاريخ فلسطين وبيت المقدس هذا التاريخ الذي ما كان شوفينياً قط فلم يستمر أبناء الأديان السماوية الأخرى في ممارسة طقوسهم الدينية فحسب وإنما ساهموا أيضاً في بناء الحضارة العربية الإسلامية بمفهومها الشامل.(١)

---

[1] . فلسطين – بيان الحوت ص ١٠٢

ولكننا وقبل الحديث عن أهمية فلسطين وفضلها وتأصيل ذلك من الكتاب والسنة نريد أن نتعرف عن وعد التوراة لليهود في فلسطين ومناقشة ذلك.

المبحث الأول

فلسطين والكتاب المقدس

حاولت الصهيونية العالمية أن ترسخ في عقول الناس في كل مكان من الأرض أن هناك علاقة بين هذا الكيان الصهيوني (إسرائيل) والذي أقيم بمؤامرة دولية كبرى شاركت فيها حتى المنظمات الأممية وبين نبوءة التوراة، والتي منحت اليهود دون غيرهم من الناس فلسطين وما حولها، وأن ليس لأحد الحق فيها أو السكن معهم على أرضها، ومن خلال البحث في كتابهم المقدس وجدنا أن هذا الوعد ورد فقط في سفر التكوين ولم يرد في أي سفر آخر من أسفارهم البالغة تسعة وثلاثون سفراً وأهمها على الإطلاق سفر التكوين وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر تثنية العدد وسفر الخروج، وهذه الأسفار الخمسة هي الأسفار التي ينسبها اليهود إلى موسى عليه السلام دون بقية الأسفار الأخرى.

ورد في سفر التكوين: قال الرب لابرام (إبراهيم) وهو واقف على تلة في أرض كنعان (فلسطين) "وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه أرفع عينيك وانظر من الوضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوبياً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أحدٌ أن يُعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يُعد، ثم امش في الأرض. طولها وعرضها لأني لك أعطيها، فنقل ابرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممراً التي في " حبرون "*(**) بنى هناك مذبحاً للرب". (١)

وفي موضع آخر يقول الرب: "في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات". (٢)

---

*. وحبرون: أي مدينة الخليل وهي مدينة في أرض يهوذا الجبلية.

**. قاموس الكتاب المقدس ص٢٨٦

[١]. العهد القديم – سفر التكوين – الاصحاح ١٣/٤-١٨

[٢] المصدر السابق، الاصحاح ١٨/١٥ ـ ١٩

وفي موضع آخر يقول الرب: " ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً فأجعل مهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً فسقط ابرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم فلا يُدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً وملوكُ منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلآههم.

وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. (١)

ثم نجد أن هذه الوعود تكررت أيضاً لإسحاق ويعقوب ذكر سفر التكوين: "فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران* وصادف مكاناً وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلماً وإذا سلمٌ منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض ويمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك" (٢)

هذه هي التنبؤات التي وردت في التوراة الكتاب المقدس بزعمهم ولا يوجد غير هذه في أي سفر من أسفارهم. ومن خلال هذه التنبؤات أقام اليهود الصهاينة حقهم الأبدي في فلسطين.

---

[1] المصدر السابق: سفر التكوين، الاصحاح ١٧/١- ١٠

*حاران: مدينة تقع على طريق التجارة بين بابل والبحر المتوسط، وهي تبعد عن دمشق ٢٨٠ ميلاً إلى الشمال، قاموس الكتاب المقدس ص ٢٨١.

[2] المصدر السابق الاصحاح ٢٨/١٠ – ١٠

يقول الأستاذ محمد أبو القاسم الحاج: يدعي اليهود ادعاءات باطلة من أساسها زاعمين أن لهم الحق كل الحق في فلسطين ملكاً خاصاً بهم ووطناً قومياً لا ينازعهم فيه أحد ويوهمون شعوب العالم عبر وسائل الإعلام العديدة كالصحف والمجلات والإذاعات ولوحات الإعلانات والمعارض الفنية الموجهة ووسائل الإعلام المختلفة بالإضافة إلى الكتب ومحاولات البحث التاريخية والأثرية والتصريحات السياسية ومحاولات فرض الأمر الواقع وهم ينادون بذلك في كل المناسبات وكل الميادين وعلى كل المستويات في الملتقيات والدورات والندوات العالمية والمؤتمرات القارية والإقليمية والعالمية التي تنعقد ويشارك فيها أنماط مختلفة من الناس. والناس درجات مختلفة متفاوتة من الثقافة والإحاطة بعلم التاريخ والجغرافيا والميول الدينية والعنصرية، مما يسهل على اليهود خداع الآخرين وكسبهم إلى جانبهم ليقفوا مدافعين عن فكرة وهمية من أساسها هي امتلاكهم لفلسطين إرثاً خلفاً عن سلف مستعينين في ترويج أكاذيبهم ومزاعمهم هذه بما ورد في الكتاب المقدس أو التوراة كما يعرف أحياناً من نصوص أولوها وفسروها تأويلاً وتفسيراً قسريين لصالحهم قائلين إن الله وعد آباءهم بأرض فلسطين وما جاورها ملكاً أبدياً لهم ولأنسالهم من بعدهم دون سواهم. (١)

ولكن قبل مناقشة وتفنيد هذه النبوءة أحب أن أوضح عدة نقاط على أساسها نرفض تلك الادعاءات.

١.التوراة التي وردت فيها النصوص ليست إلا مجموعة من الأسفار مليئة بالكذب والكفر والتخريف والتزييف وهي ليست التوراة الأصلية الحقيقية المنزلة من عند الله.

٢.أن هذه الأسفار المسماة التوراة ثابت فيها الكذب على الله وأنبيائه ورسله وهذا الكذب مبثوث في كل نواحي هذه الأسفار وقد أوضح المنهج العلمي ذلك وأثبته.

[1] البحث عن الحقيقة: محمد أبو القاسم الحاج ص ٢٤٩.

٣.هذه الأسفار تفقد قدسيتها التي كانت عليها في يوم من الأيام لما تشتمل عليها من تزييف وتحوير وتبديل وتحريف وأكاذيب وترهات واختلافات وبالتالي لا يمكن الركون أو الاستئناس بشهادتها.

٤.لو أثبتنا جدلاً أن ما ورد من وعود نصوصه صحيحة ولم يدخلها تبديل أو تغير أو تحريف وتزييف فإنها تعتبر منسوخة بما ورد في الإنجيل وقد نزل بعد التوراة.

٥. ولو فرضنا جدلاً أنها غير منسوخة بالإنجيل فهي باطلة قانونياً ودينياً واجتماعياً لأنها منسوخة بالقرآن الكريم وخصوصاً أنه لم يثبت عندنا شيء من هذه النبوءة والوعود: قال تعالى: "**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" (سورة البقرة: ١٢٤).

إن الأرض لله يورثها لمن يخاف مقامه ويخاف وعيده ويؤمن به ورسله وأنبيائه وكتبه وملائكته واليوم الآخر والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويقف حيث أمره الله ورسوله فلا ينتهك الحرمات ولا يتعدى حدود الله ويحب لغيره ما يحب لنفسه ويبتعد عن المحرمات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا يأكل أموال الناس بالباطل ولا يعبث في الأرض فساداً وما يحدث في غزة والضفة الغربية ولبنان أكبر شاهد، أما من يكفر بكل ما أمر أن يؤمن به ويعمل الموبقات ويرتكب الزلات والكبائر ولا يرعى في مؤمن ذمة فليس له وعد أو ميراث وإنما له وعيد شديد وعذاب مديد وجهنم له بالمرصاد.

إن هذه الوعود تحمل في طياتها بذور بطلانها ذلك أنها تقول صراحة إن الأرض للكنعانيين قبل مجيء سيدنا إبراهيم ولغيرهم من القبائل، وهذه الوعود حتى لو قلنا إنها صحيحة وأن الله قد أعطاها لإبراهيم ونسله فإن التحليل العلمي ومعطيات الواقع تثبت الحق للعرب وليس للمستعمرين الأجانب الذين أتوا من كل حدب وصوب وتجمعوا من كل بقعة واجتمعوا تحت راية استعمارية ووفق منطق عرقي عنصري متعصب وأن التسمية بإسرائيل ما

هي إلا تعميه وتمويه وما هم إلا مرتزقة أتوا ليستعمروا أرض العرب وليطردوا شعباً اصيلاً من وطنه.

أيضاً هذه الوعود باطلة حتى ولو ثبت صحتها وصدقها لان الوعد ورد فيه تعبير نسلك ونحن العرب نسل إبراهيم فالوعد عندئذ يكون لنا وليس للآخرين الذين جاؤوا ليغتصبوا أرضنا.

يقول راشد الفرجان: ويدعي اليهود دعوى باطلة من أساسها يستمدون خيوط نسيجها المهلهل من نصوص أوردوها في توراتهم المزيفة المليئة بالخرافات والأكاذيب والأوهام قائلين إن ميراث إبراهيم مع العلم أن الأنبياء والرسل لا يورثون نسلهم من حطام الدنيا شيئاً وإنما يورثون التقوى والإيمان لأتباعهم من المؤمنين في الأرض التي وعده الله بها لهم وحدهم دون ذرية إبراهيم الآخرين فقد أوردوا في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين ما نصه (... ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمرح فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه، فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً لأنه نسلك (١)

لهذا كانت اليهود تقول أن العرب أبناء الجارية ونحن أبناء سارة ولذا فإن أبناء الجارية لا يحق لهم أن يرثوا مع اليهود الأرض التي وعد الله بها إبراهيم.

ومما يبطل هذه النبوءة إحصاءات السكان التي أجريت في الأعوام ١٩١٤م و١٩٢٠م و١٩٢٢م، ففي عام ١٩١٤م كان عدد سكان فلسطين ٦٧٩٢٧٥ نسمة نسبة اليهود ٨% فقط، وفي عام ١٩٢٠م بلغ عدد السكان ٦٧٣٠٠٠ نسمة.

- مسلمون منهم ٥٢١٠٠٠
- يهود ٦٧٠٠٠
- مسيحيون ٧٨٠٠٠
- مذاهب آخري ٧٠٠٠

[1] . الأديان المعاصرة راشد عبد الله الفرجان ص ٦٢.

وفي عام ١٩٢٢م بلغ عدد السكان ٧٥٧١٨٢ منهم ٨٣٧٩٤ يهودياً والباقي عرب وهذا الإحصاء الأخير أشرفت عليه حكومة الانتداب البريطانية.

فأين هي نبوءة كتبهم المقدسة أن نسله يكونون أكثر الأمم، وهذا يثبت أن اليهود لم يكونوا حتى في أيام حكمهم لفلسطين سوى أقليات سكانية ليس لها تأثير اجتماعي أو ثقافي أو سياسي على المنطقة.

بالإضافة إلى كون إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً وإنما كان مسلماً حنيفاً وما كان من المشركين ويشهد انجيل "متى" على اليهود بأنهم ليسوا جميعاً من نسل إبراهيم حسب ما يفهم من قوله: (الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون فإنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا متهوداً واحداً فإذا تهود جعلتموه اهلاً لجهنم ضعف ما أنتم عليه) (١)

غير أن واقع الأحداث التاريخية والاجتماعية يبرهن على أن غالبية العرب من نسل سيدنا إبراهيم ولا سيما الفرع الثاني كما أن اليهود ليسوا جميعاً من نسل إبراهيم باستثناء ذرية الأسباط أي ذرية سيدنا يعقوب بن إسحاق.

ويدعي اليهود وأتباعهم وأشياعهم ومعاونوهم ومن ساروا معهم عبر متاهات أفكارهم ونظرياتهم وهاموا وتاهوا وانزلقوا وراءهم في ضباب الافتراضات غير المبنية على أسس سليمة والاستنتاجات الخاطئة لخطأ مقدماتها أن هناك وعوداً أخرى وعد الله بها سيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب تبيح لهم القول إن فلسطين وما جاورها ملك خاص بهم لا ينازعهم فيه أحد.

ومنها ما ورد في سفر التكوين: (وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم، فذهب إسحاق إلى ابيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر. اسكن في الأرض التي أقول لك. تغرب في هذه الأرض. فأكون معك وأباركك. لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد وأفي بالقسم الذي أقسمت لإبراهيم أبيك. وأكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي لنسلك جميع هذه البلاد وتتبارك في نسلك جميع

[1] الإنجيل: كتاب الحياة ص ٣٣ إنجيل متى.

أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي فأقام إسحاق في "جرار"*). [١]

رد هذا الدليل أو هذه النبوءة: إنها تحمل بطلانها من ذاتها فقد تكررت فيها كلمة نسلك أربع مرات متتالية مما يدعو إلى القول عن يقين أنها حشرت للتأكيد، والإقرار في الأذهان أن الوعد لنسل إسحاق، واليهود خبراء في التحريف والتزوير.

كذلك هذه النبوءة صيغتها اشترطت حفظ الأوامر والنواهي والشرائع الإلهية فلم يحفظوها ولم يراعوا حرمتها وذلك لأنهم تركوا شريعة الله وعصوا أوامره مما يلغي الوعد، كذلك هذه النبوءة تحمل في طياتها أن سيدنا إسحاق كان أقل إيماناً من "أبيمالك" وأن هذا الرجل كان اطهر منه وأبر وحاشا لنبي الله من هذا الافتراء وهذا الادعاء يستدعي إبطال الوعد لان اليهود يقرون على أنفسهم بأن شريعة الله وأوامره كانت محل ترك.

يقول الأستاذ محمد أبو القاسم الحاج: ويحدثنا التاريخ أن العرب المسلمين لما فتحوا فلسطين لم يجدوا يهودياً لان حروب فاسبسيانوس وطيطوس وتراجان وهدريان واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً على حجر من اليهودية السياسية والوثنية، بل امعنوا في القضاء عليها وذروا رمادها في الرياح الأربع ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية على ما يرويه "كارمون كانو"، وإنما وجدوا عرباً خلصاً يؤمن بعضهم بالمسيحية وبعضهم ما يزال على وثنيته الجاهلية، وهذا يعني في صراحة تامة أو اثبات يقيني أن العرب لم ينزحوا ولم يتزحزحوا عن أرض فلسطين وما جاورها منذ عرفوا لأول مرة بهذا الاسم بل ربما أقدم من ذلك بكثير.

وفي كل أدوار التاريخ قديمه وجديدة ووسيطة وحديثه كان العرب أغلبية سكانية مطلقة تتمتع بكل المعايير الاجتماعية والثقافية والسياسية بالرغم من بعض الغزوات الأجنبية الطارئة التي لم تتعد في أغلب الأحيان أسوار بعض القلاع حتى في أوج قوتها وجبروتها.[٢]

---

[١] . العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح ٢٦/١ -١٦.

*. **جرار:** مدينة قديمة شهيرة في جنوب فلسطين تبعد ثمانية أميال جنوب شرق غزة. قاموس الكتاب المقدس ص٢٤٥

[٢] . البحث عن الحقيقة ص ٢٦٧-٢٦٨.

هذه إطلالة سريعة طوفنا من خلالها حول ادعاءات الصهيونية عما يقولون عنه إنه استحقاق وموروث ديني وهبة من الله تعالى لا يجوز لهم أن يتنازلوا عنه أو أن يفرطوا فيه، ثم بينا بشيء من التفصيل رد هذه الادعاءات وبطلانها وعدم صدقها أو مصداقيتها. وانتهينا إلى أن فلسطين كانت عربية وستبقى عربية عبر التاريخ ومستقبل الزمن والأجيال.

أفرد الأستاذ جواد النتشة عدة صفحات في كتابه "مكانة بيت المقدس" تحت عنوان:

رؤية اليهود لمقام بيت المقدس ننقله لأهميته: إن النصوص التوراتية هي المكون الأساسي لرؤية اليهود للمدينة المقدسة وعليه سننظر في هذه النصوص وما تقوله في حق بيت المقدس لنتعرف بذلك على أساس رؤية اليهود لها.

إن أورشليم بيت المقدس لم تذكر في الأسفار الخمسة عند اليهود ذكراً يفيد التقديس أو التفصيل أبداً، بل لم تذكر القدس في الأسفار الخمسة إلا في سفر التكوين ولكن ليس فيه إلا أخبار بما كان من استقبال ملكي صادق ملك شاليم لإبراهيم عليه السلام فيها، أي في يبوس على ما كان أسمها يومذاك.

تقول المؤرخة والراهبة النصرانية البريطانية العارفة بالتوراة كارين ارمسترونبج: " كان الآباء الأوائل قد ارتبطوا بمدن بيت إيل والخليل وشكيم وبئر السبع ولكنهم لم يلاحظوا أورشليم في أسفارهم وترحالهم، والآباء هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وربما ادخل فيهم البعض موسى ونوحاً وآدم عليهم السلام أجمعين.

ويقرر التاريخ الإسرائيلي أن يوشع بن نون ترك أورشليم لأهلها لأنها كما يقول "تيدي كوليك" و"مشي برلمان" غير ذات قيمة بالنسبة له من الناحية الاستراتيجية بل ثمة شيء آخر وإن صموئيل النبي لا يذكرها على الإطلاق وربما لا يعرفها.

وفي سفر الخروج ذكر الأرض المقدسة بأنها تفيض سمناً وعسلاً دون أن يحمل مثل هذا الذكر تقديساً بالمعنى لهذه الأرض المقدسة.

لكن في سفر الخروج أيضاً أن أقدس شيء عند اليهود هو تابوت عهد الرب وخيمة الاجتماع التي كان يوضع فيها هذا التابوت وهي التي دل مكانها البناء الذي صار فيما بعد

يحمل اسم الهيكل فهو الذي نال التبجيل عند اليهود رغم ما سيأتي بيانه من اهانات لهذا الهيكل جاءت في ممارسات اليهود أنفسهم وباعتراف النصوص التوراتية.

وورد في سفر الملوك الأول أن اسم الرب وُضع في الهيكل إلى أبد الدهر ويُعتبر الهيكل على هذا أقدس مقدسات اليهود ويُعتبر قدس الأقداس أقدس شيء فيه وهو جزء من الهيكل نفسه وكان يضم تابوت العهد وجاء في الأجاداه.[١] أن فلسطين توجد في مركز الدنيا والقدس في وسط فلسطين والهيكل في وسط القدس ويقع أقدس الأقداس في وسط الهيكل أي أن قدس الأقداس يقع في وسط الدنيا تماماً ويوجد أمامه حجر الأساس، فقدس الأقداس الذي في وسط الهيكل هو بمنزلة سرة العالم ويوجد عنده حجر الأساس: النقطة التي عنده خلق الإله العالم ... والهيكل كنز الإله مثل جماعة يسرائيل وهو عنده أثمن من السماوات بل من الأرض التي خلقها بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كليتهما بل إن الإله قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه ومع ذلك فسيرى القارئ الكريم عظيم الاهانات لأقدس المقدسات هذه.

والقدس هي المدينة التي كانوا يحجون إليها ثلاث مرات كل عام وفى القبالاة اليهودية تحظى القدس بمكانة المدينة التي سيفيض منها الخير من السماء ومنها يوزع على بقية العالم وهي الملكوت الذي سيحكم العالم ولا يفصلها أي فاصل عن الإله وتصعد أدعية اليهود من خلالها وستعلو جدرانها وتقترب من العرس الإلهي.

إن هذا الذي تضمنته بعض النصوص يتناقض تماماً مع ما تقوله أخرى وتتناقض كذلك مع الممارسة اليهودية التي تعاملت معظم تاريخها مع بيت المقدس والهيكل بإهانات عظيمة منها ملؤها بالأوثان ومنها ملؤها بالعُهر.

ففي سفر الملوك الأول أن سليمان عليه السلام باني الهيكل في أورشليم اتخذ آلهة من دون الله ومال قلبه عن إله إسرائيل وفي سفر الملوك الثاني أنه عليه السلام وضع هذه الآلهة قبالة أورشليم، يقول سفر الملوك الثاني: (والمرتفعات التي قبالة أورشليم التي عن

---

[١] . الأجاداه: كلمة يقصد بها الفقرات والقطع التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية أو الدعوية.

يمين جبل الهلاك التي بناها سليمان ملك إسرائيل لعشتروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة المؤابيين ولملكوم كراهة بني عمون نجسها الملك) [١].

وفي سفر الملوك الثاني يعلن الرب رفضه للمدينة المقدسة ولكن الرب لم يرجع عن حمو غضبه العظيم لأن غضبه حمى على يهوذا من أجل جميع الإغاظات التي أغاظه إياها تنسى فقال الرب: (إني أنزع يهوذا أيضاً من أمامي كما نزعت إسرائيل وارفض هذه المدينة التي اخترتها أورشليم والبيت الذي قلت يكون اسمي فيه ومهما حاولت تفسير رفض الرب لهذه المدينة فهو لن يخرج عن التهوين من شأنها). [٢]

وفي سفر "حزقيال" ما فيه من إهانة للمدينة ففيه :"وكان اليّ كلام الرب قائلا، وأنت يا ابن آدم هل تدين هل تدين مدينة الدماء، فعرّفها كل رجاساتها، وقل هكذا قال السيد الرب، أيتها المدينة السافكة الدم في وسطها ليأتي وقتها الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها ، قد أثمت بدمك الذي سفكت ونجّست نفسك بأصنامك التي عملت وقرّبت أيامك وبلغت سنيك فلذلك جعلتك عارا للأمم وسخرة لجميع الأراضي، القريبة إليك والبعيدة عنك يسخرون منك يا نجسة الاسم يا كثيرة الشغب، هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم، فيك أهانوا أباً وأماً، في وسطك عاملوا الغريب بالظلم، فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة، ازدريت أقداسي ونجست سبوتي، كان فيك أناس وشاة لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال، في وسطك عملوا رذيلة، فيك كشف الإنسان عورة أبيه، فيك أذلوا المتنجسة بطمثها، إنسان فعل الرجس بامرأة قريبه، إنسان نجس كنته برذيلة، إنسان أذل فيك أخته بنت أبيه، فيك اخذوا الرشوة لسفك الدم، اخذت الربا والمرابحة وسلبت أقرباءك بالظلم ونسيتني يقول السيد الرب" (٣)، ويستمر سِفِر "حزقيال" في الحديث عن مدينة القدس : "فهانذا قد صفقت بكفي بسبب خطفك الذي خطفت وبسبب دمك الذي كان في وسطك، فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك في الأيام التي فيها أعاملك، أنا الرب تكلمت وسأفعل، وأبددك بين الأمم وأذريك

[١] العهد القديم، سفر الملوك الثاني، الاصحاح ١٣/٢٣

[٢] المصدر السابق الاصحاح ٢٧/٢٣.

[٣] لمصدر السابق، سِفِر حزقيال الإصحاح ٢٢.

في الأراضي وأزيل نجاستك منك، وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم وتعلمين أني أنا الرب"[١] .

" لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب من حيث أنكم كلكم صرتم زغلا فلذلك ها أنذا أجمعكم في وسط أورشليم، جمع فضة ونحاس وحديد ورصاص وقصدير الى وسط كور لنفخ النار عليها لسبكها كذلك أجمعكم بغضبي وسخطي وأطرحكم وأسبككم، فأجمعكم وانفخ عليكم في نار غضبي فتسبكون في وسطها كما تسبك الفضة في وسط الكور كذلك تسبكون في وسطها فتعلمون أني أنا الرب سكبت سخطي عليكم.

وكان إليّ كلام الرب قائلاً ، يا ابن آدم قل لها أنت الأرض التي لم تطهر لم يمطر عليها في يوم الغضب، فتنة أنبيائها في وسطها كأسد مزمجر يخطف الفريسة، أكلوا نفوسا أخذوا الكنز والنفيس أكثروا أراملها في وسطها، كهنتها خالفوا شريعتي ونجسوا أقداسي، لم يميزوا بين المقدس والمحلل ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتي فتدنست في وسطهم، رؤساؤها في وسطها كذئاب خاطفة خطفا لسفك الدم لإهلاك النفوس لاكتساب كسب، وأنبياؤها قد طينوا لهم بالأطفال رائين باطلا وعارفين لهم كذبا قائلين هكذا قال السيد الرب والرب لم يتكلم، شعب الأرض ظلموا ظلما وغصبوا غصبا واضطهدوا الفقير والمسكين وظلموا الغريب بغير الحق، وطلبت من بينهم رجلا يبني جدارا ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكي لا أخربها فلم أجد، فسكبت سخطي عليهم، أفنيتهم بنار غضبي، جلبت طريقهم على رؤوسهم يقول السيد الرب"[٢] .

وفي السفر المنسوب لأرميا الذي هو من أخبر الناس برب إسرائيل إذ استمرت نبوته أكثر من نصف قرن في هذا السفر يقول ارميا فقلت آه سيدُ الرب حقاً إنك خداعاً خادعت

---

[١] لمصدر السابق، سِفِر حزقيال الإصحاح ٢٢.

[٢] المصدر السابق، سِفِر حزقيال الإصحاح ٢٢.

هذا الشعب وأورشليم قائلاً: (يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس وحينما تسقط مكانة الرب ويُتهم بالكذب فلا مقام لشيء أبداً). [١]

إنه حينما انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته واستقر الأمر في شكيم/ نابلس في يد يربعام خَصْم سليمان عليه السلام وخاف يربعام من تقرب الشعب بذبائحه إلى بيت الرب في أورشليم وخاف أن يرجع الناس بذلك إلى ربعام ملك يهوذا حينها استشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر ووضع واحداً في بيت إيل وجعل الآخر في دان، مسكينة هذه القدسية المدعاة لمدينة يقتل أدعياؤها معاني الجلال فيها كل يوم ويقتتلون فيما بينهم أيهم أكثر رجساً.

إنه يتضح ألا مكانة دينية لأورشليم لدى مملكة إسرائيل الشمالي، تلك المملكة التي صنع ملكها يربعام عجلين من ذهب ليصرف الناس بهما عن أورشليم ولو كان لها مكان ديني مقدس لما كسر سورها ملكان من ملوك يهوذا ولما اصطادا ملكا يهوذا هذان ذهب الهيكل لبيت كل منهما الخاص ولو كان الهيكل والقدس مقدسين لدى الإسرائيليين لما عبد الشعب الإسرائيلي آلهة أخرى ناسين الرب وهيكله كل ذلك على ما يتضح من أسفارهم ولم تسلم مملكة الجنوب من تلويث القدسية المدعاة لبيت الرب في أورشليم بل لقد أدخلت الارجاس والأوثان إلى بيت الرب هذا ونال ما نال من خروج على معاني القدسية يقول سفر الأخبار الثاني "حتى إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم" ولكن: أليس فيهم رجل رشيد وهل فقد الشعب من يقول كلمة الحق ويزيل أنجاس هذا المعنى، ولعل بعض ما قرأنا وبعض ما سنعرُّف القارئ عليه الآن يحمل الدلالة الأهم على هذا المعنى، إن المعبد الهيكل، صار داراً للأصنام، لتُعبد فيه من دون الله تعالى وهكذا قال سفر الملوك الثاني مما يُفرّغ القدسية عند اليهود من معناها ووقارها.

---

[١] العهد القديم، سفر ارميا، الاصحاح ٤/ ١٠

يذكر سفر الملوك الثاني الانحرافات التي وقع فيها الملك "مَنَسى" الذي ملك خمساً وخمسين سنه حسب السفر نفسه هذا الملك وقع في أخطر المحظورات على ذمة سفر الملوك الثاني يقول السفر: وعاد فبني المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل ساريه كما عمل أخآب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدها وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال الرب عنه في أورشليم: اضع اسمي وبنى مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب [1]. وفي سفر الملوك الثاني أيضاً إن الملك يوشيا الذي نُصب ملكاً حوالي عام ٦٣٨ ق.م. قد اختار بعد دعوى اكتشاف سفر الشريعة في الهيكل أن يطيع الرب إن الملك يوشيا هذا قد أمر بإخراج ما في الهيكل من أدوات الشرك التي كانت تملأ الهيكل قبل عهده مما يدل أنها كانت داراً للأصنام وللبغاء زماناً طويلاً حتى جاء الملك يوشيا فطهرها ولنا أن ننظر إلى شيء من نصوص سفر الملوك الثاني في هذه المسألة.

يقول السفر: وأمر الملك "حِلقيا" الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يُخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت ايل(٢) واخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادي قدرون وفي الترجمة، التي نشرتها جمعية الكتاب المقدس في لبنان بدل واخرج السارية فيه واخرج صنم اشيرة من الهيكل خارج اورشليم إلى وادي قدرون [3].

وفي ترجمة الكتاب المقدس عن إصلاحات يوشيا أيضاً وهدم بيوت البغاء المكرّس التي في دار الهيكل حيث كانت النساء ينسجن ثياباً لاشيرة إنهم لم يقصروا في تلويث البيت المقدس بكافة الملوثات حتى جعلوه داراً للبغاء.

---

[1] العهد القديم، سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٣/٢١–٥

[2] المصدر السابق، الإصحاح ٤/٢٣–٥.

[3] المصدر السابق، الإصحاح ٩/٢٣.

هذه إذن مكانة بيت المقدس اورشليم عند اليهود حسب تلك النصوص وهي بين خُرفات علقوها بالقدس وبين إهانات نسبوها إلى القدس. فكيف ينظر المسلمون إلى فلسطين وبيت المقدس.

إن رؤية المسلمين لبيت المقدس وبالتالي لفلسطين كلها تنبثق أساساً من نصوص القول الشريف قرآناً وسنة فهذه النصوص هي المكون الأساس لهذه الرؤية.

ولقد استأثر بيت المقدس وبالتالي فلسطين لمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تحمل في ثناياها معان كبيرة فحواها يدور حول بركة الأرض المقدسة ومنزلة القدس وتعظيمها وأولية مسجدها بعد الكعبة المشرفة وكون مسجدها القبلة الأولى للمسلمين وأفضلية الصلاة في المسجد وشد الرحال إليه وكونها أرض الإسراء والمعراج وأرض الأنبياء ومأوي الطائفة الظاهرة بالحق وأرض الرباط وكونها تحتوى على الصخرة المشرفة التي قيل في الحديث عنها إنها من الجنة ثم كونها محفوظة من الدجال وكذلك كونها الأرض التي تحسم فيها الصراعات الكبرى في حياة البشر لصالح الخير، تلك الصراعات التي يمثل فيها جانب العدوان على البشر الأعور الدجال ويأجوج ومأجوج واليهود ثم فيها يظهر انتصار التوحيد على التثليث ليعم هذا الانتصار البشرية كلها في زمان نزول عيسى صلى الله عليه وسلم الذي جعله أهل التثليث ضلعاً في تثليثهم ثم إن مدار بعض هذه الأحاديث الناطقة بمنزلة بيت المقدس يؤكد أخيراً على كونها مأوى آخر خلافة إسلامية على وجه الأرض ثم كونها أرض المحشر والمنشر.

إن كل معنى من هذه المعاني قد وردت فيه أحاديث صحيحة أو على الأقل حديث واحد صحيح وبعضها وردت فيه اصلاً آيات قرآنية كريمة أسهمت في إحاطة هذه المعاني بسياج آمن لا تقدر شبه الأغرار أو الأشرار عليه أبداً ولا نزاع في دليل على شيء من هذه المعاني هذه هي بيت المقدس في الإسلام، فهل نظرة الصهاينة لها تساوى شيئاً من نظرة المسلمين إليها، وهل تقديسهم المزعوم شيئاً أمام هذا التقديس والتكريم.

المبحث الثاني

فلسطين بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

في القرآن الكريم وفي الأثر النبوي الشريف وفي تراث الأمة وفي التاريخ الإسلامي تمثل فلسطين وبيت المقدس مكاناً عظيماً وأهمية خاصة لم تحظ بها أي مدينة. أو بقعة من الأرض، ولا تخفى على أي قارئ لهذه النصوص ولهذه المصادر الأهمية وهذا القدر العظيم من القدسية والمكانة، بل إنها تثير الاهتمام وربما الدهشة حين نلحظ الاهتمام القرآني بهذه الأرض المقدسة حتى قبل أن تصل إليها أقدام الفاتحين المسلمين بسنوات طويلة، بل إننا نلاحظ هذا الاهتمام منذ السنوات الأولى للدعوة الإسلامية، منذ سنوات الضعف والاضطهاد، كانت تنزل الآيات القرآنية مبينة مكانة فلسطين وبيت المقدس.

حينما اشتدت لحظات الحزن على النبي ما بين موت زوجته خديجة وموت عمه أبا طالب وخيبة أمله من أهل الطائف، كان حقاً على الله أن يكرمه ويستضيفه مؤكداً له أنه سبحانه ما تخلى عنه وما غضب عليه فيحمله الله عز وجل إلى فلسطين في رحلة عظيمة القدر جليلة المكانة معجزة، إنها رحلة الإسراء والمعراج، هذه الرحلة التي ربطت بين مكة والقدس بين المسجد الحرام الذي لم يكن في ذلك الوقت مسجداً وبين المسجد الأقصى الذي هو الآخر لم يكن كذلك وكأن الله يقول لهؤلاء المعذبين بمكة أنكم ستكونون أسياد الدنيا ما بين مكة والقدس ومكة حينها تحت سيطرة قريش والقدس تحت سيطرة الروم هذا الارتباط الذي سيتأكد عبر القرون التالية.

يقول الدكتور فتحي الشقاقي: كانت رحلة الإسراء والمعراج ليلة من عمر الزمان أعطت لاندفاعة المجاهدين المسلمين البواسل نحو القدس بعد ذلك بسنوات وبعد ذلك بقرون والى الآن شرعية لا تسمو فوقها شرعية وزخماً روحياً هائلاً لا ينضب، في تلك الليلة تأكدت عالمية هذا العرض الذي يحمله ذلك المستضعف الذي أدمى غلمان الطائف قدميه وشجوا رأسه في تلك الليلة القدسية كان فرض الصلاة عمود الدين ومظهر وحدة المسلمين الأهم

وبعيداً عن تأثير أي عناصر محلية أو إقليمية كان الأمر الإلهي باستقبال بيت المقدس في الصلاة وهكذا لم يكن عبثاً أن يعطي الإسلام لفلسطين وبيت المقدس هذه الخصوصية منذ سنوات دعوته الأولى بل وقبل قيام دولة الإسلام في المدينة. (١)

قال تعالى:

١.**{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأرض وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}.** (سورة الأعراف: ١٣٧).

٢.**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}.** (سورة الإسراء: ١).

٣.**{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}.** (سورة الأنبياء: ٧١).

٤.**{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}.** (سورة الأنبياء: ٨١).

٥. **{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}.** (سورة سبأ: ١٨).

٦.**{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرض المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ}.** (سورة المائدة: ٢١).

٧.**{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ}.** (سورة التين: ١–٢).

مفهوم القدسية والبركة: إن أهم ما يتميز به الموصوف بالقداسة هو الوقار والجلال والجمال. وإن أهم ما يتميز به الموصوف بالبركة هو الخير ودواعيه والعطاء وثرائه.

إن هذين الوصفين امتزجا ليكونا صورة الأرض المقدسة بيت المقدس والأرض المباركة فلسطين، فهي الأرض التي التقت فيها أسباب الطهر والهيبة والوقار والجلال والجمال والخير والعطاء منذ القدم في مخزونها من تراث النبوة ومن الانتماء إلى السماء.

إن القدسية صفة عالية ومقام سام من شأنه أن ينزه الأرض وأهلها المؤمنين بحقها هذا واقعاً أو فرضاً عما لا يليق بها وبهم من أصناف الفسق والفجور والكفر.

---

[1]. المشروع الإسلامي المعاصر. د. فتحي الشقاقي ص٩.

وإن البركة: الخير الإلهي الدائم والثابت في الأرض ونماؤه وغزارته وعالميته مما يجعلها ذات مكانة عالية. ومقام شريف وعالمية البركة هنا المتعلقة بالأرض الفلسطينية استناداً إلى قوله تعالى **{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}**. (سورة الأنبياء: ٧١). فقد جعلها الله تعالى بركة ذات بُعد عالمي. (١)

لقد جعل الله تعالى بركة الأرض ذات بُعد عالمي والبركة في أهم معانيها: غزارة الخير ودواعيه وحينما أكدت النصوص قدسية الأرض والقدسية في ذاتها خير كبير حين تأكد ذلك كله بالنصوص.

فإن طائفة من المعاني تتمازج لتجعل القدسية ذاتها ذات بُعد عالمي فالقدسية خير والبركة تعني الخير وقدسية هذه الأرض جزء من الخير والبركة المركوزة فيها وبما أن بركة هذه الأرض عالمية وبما أن بركتها شاملة لمعاني التقديس إذن فالقدسية بمعني التطهير ذات بُعد عالمي أيضاً، فما يعني أن رسالة الأرض في العالم ليست بعيدة عن معنى تطهير العالم من الطغاة ومن الارجاس فلا بد أن لها في هذا شأناً بل إن التاريخ القديم وإن المستقبل الذي أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم إن التاريخ والمستقبل المذكورين يؤكدان المعنى التطهيري العائد إلى بركة هذه الأرض العالمية.(٢)

الأرض المقدسة الواردة في النصوص هي بيت المقدس خلافاً لبعض من أوسع التعريف بأنها الشام أو الطور فمعظم ما قرأنا من فضل متسم بالجلال الديني والوقار النبوي متصل اتصالاً وثيقاً ببيت المقدس ذاتها فهي أرض الإسراء وأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين وفيها أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ثم هي مع كل ذلك معصومة من الأعور الدجال وهي التي صلى فيها محمد صلى الله عليه وسلم إماماً، وأخيراً هي التي يصلي فيها المهدي بعيسى صلى الله عليه وسلم إماماً وجميع هذا الذي نذكره مفقود تماماً في غير بيت المقدس من أرض الشام أو من الأرض التي بين الفرات والنيل وليس لهذه

[1] . مكانة بيت المقدس / جواد النتشة ص٢٥- ٢٩ بتصرف.
[2] . المصدر السابق ص٣٨.

الرقعة الكبيرة ما يعوضها عما لم تنله مما هو لبيت المقدس فحق لبيت المقدس أن يكون له علم آخر هو الأرض المقدسة.(١)

إن الآيات الكريمة وما سنذكره من الأحاديث الشريفة ليؤكد لنا عدة معان كبرى:

١. مكانة بيت المقدس في الإسلام أصيلة بالكتاب والسنة وليست دخيلة من قبل اليهود كما حاول فريق من المستشرقين وتلاميذهم من العرب أن يوهموا أنفسهم وغيرهم ونقصد أن هذه المكانة نالت حظها الوافر في نفوس المسلمين في العهد المكي أي قبل أن يتعرفوا على أي يهودي في الدنيا ما يمنع دعوى استشراقية بائسة تقول إن فضائل بيت المقدس ذات منشأ يهودي.

٢. هذه المكانة عُرفت في الإسلام من أول يوم كانت فيه الصلاة، فقد توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس في صلاته إلى أن نسخت القبلة بعد ستة عشر شهراً من الهجرة.

٣. تدرج الإسلام في بيان مكانة بيت المقدس تدرجاً مناسباً للحال التي كان يعيشها المسلمون فحينما كان المسلمون قلة لم تتجه الأحاديث إلى شيء من ذكر فتوح لبيت المقدس أو دعوة لزيارته وحينما صار للمسلمين دولة وتوجهت الأنظار إلى نشر الإسلام حرض الله تعالى المسلمين عبر الوحي الشريف لإتيان بيت المقدس وعظم الصلاة فيها. (٢)

---

[1] . المصدر السابق ص٥٦.
[2] المصدر السابق ص ٧٧-٧٨.

المبحث الثالث

لماذا فلسطين مقدسة؟

إن المتأمل لفلسطين عامة وبيت المقدس خاصة لا يجد في تضاريسها تميزاً، فهي ليست أرض ذات خصوبة خاصة تجعلها بساتين ذات بهجة وليست سهلاً ممتداً يسهل السير فيه كما أنها ليست أرضاً بترولية أو ذات مناجم ذهبية وما إلى ذلك مما يمكن أن يُعتبر صفة تختال بها كثير من البلاد على غيرها، بل هي في ذلك كسواها من البقاع التي حولها، التي ليس فيها ما يميزها مما سواها من البلدان ثراءً أو زرعاً أو ماءً ولكنها رغم ذلك كله كسبت إليها أفئدة المؤمنين بها من أصحاب الأديان عامة وأهل الإسلام خاصة فهي تهوي إليها لتُقهر بذلك نظريات أرضية مبتورة عن السماء تدعي أن الإنسان لا ينساق إلا إلى ما فيه إشباع غرائزه المتعلقة بالمادة فحسب وإن هذا الإشباع لا تظهر سطوته إلا في تعلقه بهذه المادة.

إن مصدر قدسية وبركة فلسطين وبيت المقدس متعدد الروافد والشرايين لكنها تستقي كلها من نبع واحد، هو علاقة خاصة بالسماء، أسهمت في غرسها وغرزها أيد موصولة بالله سبحانه وواصل سقيها على مدى العصور صديقون ومجاهدون وصالحون مما جعل منها دوحة يحكي حفيف غصونها أحاديث الأنبياء وينشر عبيرها جهود الضنى التي بذلها أتباعهم على مدى العصور والدهور وتتحدث مسالكها عن خطوات النور المنبعث في آفاق الدنيا.(١)

ومن خلال السطور التالية سوف نجول في معاني القدسية والبركة لهذه الأرض مدعمين حديثنا ما ورد من الأحاديث الصحيحة، ونحن إذ نتحدث عن فلسطين بعامة يأخذنا الحديث عن بيت المقدس كجزء من فلسطين استمدت قدسية هذه المدينة المباركة.

---

١ . مكانة بيت المقدس جواد النتشة ص٢٢٩.

أول هذه المعاني: الارتباط بالسماء:

روى الإمام البخاري عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مسجد وضع في الأرض أولَ قال (المسجد الحرام، قلت ثم أي قال (مسجد الأقصى) قلت كم كان بينهما، قال: **(أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة بعدُ فصله فإن الفضل فيه).** (١)

فهي قد بنيت والكعبة في عهد آدم عليه السلام، والقدس لم تكن قبل بناء البيت، إنما وجدث بعد بناء البيت وهذا معناه أنها بنيت على شرف الأقصى مما يدل على أن القدس موصولة في نواتها بالسماء إذ إن نواتها هي المسجد الأقصى ذاته.

الثاني: اجتماع الفضائل فيها:

لقد اجتمعت في فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة فضائل كثيرة ومتعددة منها:

أولاً: تشريفها برحلة الإسراء والمعراج: والحديث عند الإمام مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتيت البراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت...). (٢)

لقد كان ممر النبي عليه السلام إلى السماء من المسجد الأقصى ببيت المقدس وذلك تكريم من الله تعالى لهذا الموطن الثري بعظيم عطائه الهادي إلى الرحمن وكأنه تذكير بما لهذا الموطن من الفضل والخير العميمين في تراث النبوة الأول.

إن رب السماء والأرض سبحانه وتعالى قادر على أن يُصعد محمداً صلى الله عليه وسلم إلى السماوات من مكة المكرمة لكنه سبحانه جعل طريق محمد إلى السماء يمر ببيت المقدس لتظهر مكانة بيت المقدس وليجعلها الله تعالى جزءاً من الدين ثم يصبح بعد ذلك أن نصف بيت المقدس بأنها مدينة محمد صلى الله عليه وسلم فهي المدينة التي شرّفها الله

---

١. أخرجه البخاري في صحيحه، حديث (٣٣٦٦)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب النسلان في المشي، ص١٠٣٤/٢

٢. أخرجه مسلم في صحيحه: ج(١٦٢/٢٥٩)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله، ص٣٥٨/١

تعالى بهذه الرحلة الفذة إليها بإمامة محمد للأنبياء صلى الله عليه وسلم فيها وبعروجه منها إلى السماوات ليرى من آيات ربه الكبرى.

فهو يحمي المدينة من إمكانية أن ينساها المسلمون فيدفعهم ذكرها المبثوث في الآيات والأحاديث إلى توجيه جهودهم للمحافظة عليها وصد العدوان عنها لا على اعتبارها أرض الإسلام والمسلمين فحسب، بل على اعتبار إضافي آخر فهي في الإسلام أرض موصولة بالسماء وهي فيه أرض الأنبياء وهي أرض الإسراء وهي ذات الرصيد الإيماني الكبير ولقد نالت في الإسلام خصائص شرعية وقدرية لم تنلها أرض أخرى.

إن هذا هو الحال الطبيعي لهذه الأرض في عقيدة المسلم حتى إذا أظلت المسلمين غمامة سوداء فضاعت منهم المدينة المقدسة وآواها الحال إلى أيدي شذاذ البشر وقاتلي الإنسانية حتى إذا وقعت مثل هذه الكارثة الفجيعة طلعت على المسلمين آيات القرآن وأحاديث الرسول تبين مقام المدينة وتبث في أنفسهم العزيمة كل يوم بل كل ساعة لأجل تطهيرها، فمقام هذه المدينة في الدين مقام لم تنله مدينة أبداً ولئن سبقت مكة والمدينة في مجمل الفضل فلقد سبقت بيت المقدس في بعض ألوان الفضل.

ثم إن هذا السياج يحمي النفس المسلمة من عار نسيان المدينة إذا أصابها رجس من الارجاس فيمنعه مقامها الديني الرفيع وميراث النبوات فيها من أي قرار من شأنه تضييع انتسابها إلى الإسلام والعرب وكأنها تحكم على من يفعل هذه الجريمة بأنه قطع صلة نفسه بالإسلام والعرب معاً. (١)

ثانياً: فضل الصلاة في المسجد الأقصى: وردت أحاديث متعددة تجعل للصلاة في المسجد الأقصى مقاماً عالياً، ومن هذه الأحاديث: ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاث، سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه، فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ألا يأتيه أحد، لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته

---

(1) . مكانة بيت المقدس، ص ٢٤٢-٢٥٠ بتصرف.

أمة).[1]، ومن الأحاديث صاحبة العلاقة ما ذكره الحافظ بن حجر مما رواه البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة بمسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة).[2] قال البزار: إسناده حسن ورواه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان عن جابر ورواه ابن خزيمة في صحيحة، وحديث أبي ذر الغفاري الذي رواه الحاكم في المستدرك قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلّى هو ليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً أو قال: (خير من الدنيا وما فيها). [3]

ثالثاً: فضل شد الرحال إليه: إن أول من شد الرحال إلى المسجد الأقصى هو النبي عليه السلام وذلك ليلة الإسراء حين ركب البراق متوجهاً إليه ثم كان الأمر النبوي داعياً المسلمين إلى الاقتداء به عليه السلام فيصل إلى المسجد الأقصى مركز البركة من أرض الأنبياء.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى). [4]

ويعتبر العلماء أن حديث شد الرحال يُعتبر من الأحاديث المتواترة لاجتماع عدد كبير من الصحابة على رواته فقد رواه غير أبي هريرة: أبو سعيد الخدري وأبو بصرة الغفاري وعبد الله بن علي بن أبي طالب وأبى جعد الضمري وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع والمقدام بن معدي كرب وأبا أُمامة الباهلي وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً.

1 . أخرجه النسائي في سننه، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى جـ ٢، ص٣٤.
2 . فتح الباري، العسقلاني، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة حديث (١١٨٨-١١٩٠) جـ ٣٨٨/٣
3 . أخرجه الحاكم في المستدرك، ٥٠٩/٤.
4 أخرجه البخاري في صحيحه، رقم (١١٨٩)، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣٥٣/١

يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: وفي الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء. [١]

رابعاً: فضل الإهلال بالعمرة منه: روى الإمام أحمد عن أم حكيم السلمية عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه). [٢]

وفي رواية الإمام أبي داود:(من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر). [٣]

وقد فعل ذلك عدد غير قليل من الصحابة والتابعين وكثير من علماء وأئمة المسلمين والعمل بهذه الشعيرة يواصل ما بدأته سورة الإسراء وأحاديث أخرى من الربط الوثيق بين المسجد الأقصى والكعبة المشرفة فرغم الكراهية المعروفة عند كثير من العلماء للإحرام من مكان أبعد من المواقيت المحددة شرعاً إلا أن هذه الكراهة تزول إذا كان الإحرام من المسجد الأقصى لفضيلة خاصة تربط المسجدين معاً.

ولا شك أن تفضيل الإحرام من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام يدل على فضل المسجد الأقصى، وقال بعض العلماء: إن هذا التقديم للإحرام إرغاماً ونكاية باليهود الذين يحجون إلى البيت المقدس.

فعلى قولهم يبدو أن الشرع أراد أن يجعل بيت المقدس مبدأً للحج لا نهايته مخالفة لليهود الذين يجعلون بيت المقدس نهاية الحج لا بداية له.

وهذا الحديث يُسهم مع غيره من الأحاديث في إعلاء شأن المسجد الأقصى وبيت المقدس.

خامساً: فضل الصخرة التي فيها: روى ابن ماجه عن عمرو بن سليم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **العجوة والصخرة من الجنة** ". [٤]

---

[١] . فتح الباري ٣/ ٧٨.
[٢] . أخرجه الامام أحمد في مسنده، حديث (٢٦٤٣٦) تحقيق أحمد شاكر، ٢٦٠/١٨
[٣] . أخرجه الإمام أبو داوود في سننه، رقم (١٧٤١)، كتاب المناسك، باب في المواقيت، ص١٤٨/٢
[٤] اخرجه ابن ماجة في سننه رقم (٣٤٥٦)، كتاب الطب، باب الكمأة والعجوة، ١١٤٣/٢.

قال ابن الأثير في غريب الحديث "**يريد صخرة بيت المقدس**". [1]

وللصخرة المشرفة وظيفة خاصة في آخر الزمان تأتي مزيداً على هذا الفضل فهي التي ينادي منها المنادي ليخرج الناس من قبورهم، وهذا يستأنس من الأحاديث الدالة على أن بيت المقدس أرض المحشر والمنشر وأن الناس سيأتون بيت المقدس وسيُنشرون من قبورهم إلى بيت المقدس، خلاصة الأمر أن كل ما مضى يثبت لصخرة بيت المقدس مكانة وفضلاً فهي من الجنة على ما روينا من السنة في هذا المعنى وهي التي ينادي المنادي منها للحشر فيقوم الخلائق من قبورهم وتبدأ الآخرة بقوانين العدالة الربانية والرحمة الإلهية.

المعنى الثالث: كونها أرض الأنبياء: وهذا يعني أنها ذات صلة وثقى بالسماء يتعاهدها الوحي في كل مرة، وما إن ينتهي عهد نبي حتى يُطل عهدٌ آخر وقد يتلقى الوحي الرباني فيها أنبياء عديدون في زمان واحد إلى أن جاء زمن عيسى عليه السلام. إن مسلسل النبوة هذا لا يترك الأرض المقدسة حتى يعود إليها، إلى أن يأذن الله تعالى بقيام الساعة على شرار الناس حيث لا خير ولا نبوة.

يقول الإمام الألوسي: في سبب كون البركة في الأرض المباركة ذات البؤرة المقدسة شاملة العالمين إن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا فيها وانتشرت في العالم شرائعهم التي هي مبادئ الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية. [2]

فقديماً هاجر إليها إبراهيم ولوط عليهما السلام قال تعالى: **{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأرض الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}** (سورة الأنبياء: ٧١)، فهي مقصد النبوة.

ورجا موسى ربه عز وجل أن يُدفن قريباً من بيت المقدس روى الإمام مسلم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم ناقلاً قول موسى صلى الله عليه وسلم (رب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر). [3]

وهي أشواق ملأت صدر موسى عليه السلام حتى إذا لم تتحقق في حياته بسبب تمرد قومه سأل الله تعالى إنفاذ أشواقه ساعة وفاته.

---

1 النهاية ابن الأثير حديث ٣ ص١٥.
2 الألوسي روح المعاني ٧٠/٩.
3 اخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٣٧٢)، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه السلام، ص٥١٢/٥.

رأى بعض الباحثين أن موقع هذه الأرض المتوسط بين بلاد العالم هو أحد الأسباب الرئيسية لاختيارها مبعثاً لعديد من الأنبياء ومستقراً للرسالات الإلهية ونعمة الموقع هذه لا يختارها ولا يحددها إلا الله تعالى.

وكان من نعمة الله تعالى على هذه الأرض ومن تأكيد الله تعالى لبركة الأنبياء ودعوتهم فيها ما جرى من صلاة محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء فيها ليلة الإسراء فلقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في قصة الإسراء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:(فلما دخل النبي المسجد الأقصى قام يصلي، فالتفت فإذا النبيون أجمعون يصلون معه). [١]

ويُسند معنى كونها أرض الأنبياء ما ستشهده هذه الأرض في آخر الزمان من جولة عيسى صلى الله عليه وسلم فيها وقتله الدجال في ميدانها المتخصص بتخليص البشر من أعدائهم وكأن عودة عيسى إليها جاءت فيما جاءت من أجله لتؤكد مقامها المرتبط بالسماء والذي نالت به لقب أرض الرسالات الإلهية.

وستنعقد في مسجدها إمامة أخرى تُسند إلى رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو المهدي عليه السلام ليؤم هذا الرجل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

إن رصيد النبوة في هذه الأرض المباركة المقدسة إبراهيمية ويعقوبية واسحاقية ويوسفية وموسوية وداودية وسليمانية وعيسوية ومحمدية إن هذا الرصيد بفجرة الصادق ووحيه الصحيح هو رصيد الإسلام رغم تحريفات التوراتيين.

المعنى الرابع: اختصاصها بفتحها على يد عمر بن الخطاب: لم تنل أي مدينة ولا أي بلد فضل فتحه لأهل الإسلام على يد خليفة راشدي هو الفاروق عمر رضي الله عنه غير بيت المقدس وهذا في الحقيقة تبع لبداية فتحها الروحي على يد محمد ليلة الإسراء برحلة ربانية من الأرض إلى السماء مروراً بها.

يقول الدكتور فاروق فوزي: كانت القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين موضع مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه من المدن المهمة التي استهدفها

[١] . اخرجه الامام أحمد في مسنده حديث (٢٣٢٤)، تحقيق أحمد شاكر، ٦٤/٣.

الفاتحون المسلمون وكان القائد عمرو بن العاص قد فتح العديد من المدن الفلسطينية منذ عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد قام بفتح غزة ونابلس واللد وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح

وحين قدمت عليه القوات الإسلامية بعد معركة اليرموك كان لا يزال يحاصر مدينة القدس التي رفض أهلها الاستسلام إلا إذا عقد الصلح الخليفة بنفسه وقد استجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه للطلب وتوجه إلى فلسطين وقابل الوفد في الجابية وتم عقد الصلح ثم توجه بعد ذلك إلى القدس فزارها ١٥هـ /٦٣٧م. [١]

ونحن هنا نعلن أن من أكثر الشخصيات شهرة في تاريخ الإسلام بعد عصر الخلفاء الراشدين هي تلك الشخصيات المجاهدة التي كان لجهادها علاقة ببيت المقدس فلينظر القارئ والباحث هل يرى شخصية أعظم حضوراً في نفسه من شخصية نور الدين زنكي وقطز وصلاح الدين الأيوبي إنها في نفسه تجاوزت جميع الشخصيات المجاهدة في تاريخ ما بعد العصر الراشدي من تاريخ الإسلام.

وليس عبثاً أن ترسم ريشة الفنان رسماً لبيت المقدس ممثلاً بقبة الصخرة المشرفة ثم يكتب تحت رسمه هذا: فتحها عمر وحررها صلاح الدين، فمن لها الآن؟

[١] . المدخل للقضية الفلسطينية / جواد الحمد وآخرون ص٥٥.

نص العهدة العمرية لأهل القدس

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد اللّه عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايلياء أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوت (١)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويُخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا، عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد اللّه وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان وكتب وحَضَر سنة خمس عشرة. (٢)

[1] . اللصوت معناها اللصوص.

[2] . تاريخ الطبري جـ٣ ص٦٠٩.

المعنى الخامس: اختصاصها بتخليص البشر من أعدائهم: مما تتميز به فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة عن غيرها من الأراضي والبقاع بتخليص البشر فيها من أعداء الحق، ممثلين بالأعور الدجال ومن أعداء الإنسان ممثلين بيأجوج ومأجوج، وما كان قبل ذلك من تحطيم قوى الشر العالمية ممثلة بالتتار ومن قبلهم الصليبيين فيها، وما يتبعه من اختصاصها بقتال اليهود فيها، أولئك الذين ما عرفوا في البشر أقوياًء إلا عرفوا ظالمين جبارين وما عرفوا ضعفاء إلا كانوا أذلاء مهانين.

إنه كما فُضل المجاهدون على القاعدين، فقد فُضلت بيت المقدس على ما سواها من البلدان في هذه الناحية لما لها من خصوصية في مجاهدة عتاة البشر في ميدانها الذي يتأجج شوقاً كلما طلعت شمسه وغربت إلى ساعة تحقيق المجاهدة هذه.

إن تخصيص فلسطين وبيت المقدس بتخليص البشر من العتاة والطغاة وأشرار الخلق، يشبه تماماً تخصيص المجاهدين من البشر بفضيلة تخليص البشر من القتلة على أيديهم.

روى الإمام أحمد رحمه الله عن سمرة بن جندب من خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن كسفت الشمس وفيها عن الأعور الدجال: (وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وإنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس، فيزلزلون زلزالاً شديداً ثم يهلكه الله تبارك وتعالى، حتى إن أصل الحائط لينادي يا مسلم أو قال: يا مؤمن هذا يهودي، أو قال: هذا كافر، تعال فاقتله). (١) والحديث طويل.

في الحديث دلالة على مقام بيت المقدس وقدسيتها ففيه أن صاحب الفتنة الكبرى ومدعي الألوهية الأعور الدجال سيكون عاجزاً عن دخولها وعن دخول أرض الحرمين، رغم عبثه وفجوره وانتشار ضلاله في الأرض كلها وفي الحديث ما فيه من ربط آخر بين بيت المقدس والحرمين الشريفين فارتباطها بالصلة الوثقى بالسماء من أول أيام الدنيا حماها من فتنة الدجال، وورد أن المسيح يقتل الدجال في مدينة من مدن فلسطين.

[1] مسند الإمام أحمد جـ١٥ /١٤٥ حديث ٢٠٠٥٤.

والحديث عن قتل عيسى عليه السلام للدجال طويل رواه كثير من أصحاب كتب الحديث الشريف:

روى الترمذي عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلاَبِيِّ قَالَ ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. قَالَ فَانْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَيْهِ فَعَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ "مَا شَأْنُكُمْ". قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. قَالَ "غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ لِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ قَائِمَةٌ شَبِيهٌ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ قَالَ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَشِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ اثْبُتُوا". قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لُبْثُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ "أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ". قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ الْيَوْمَ الَّذِي كَالسَّنَةِ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ قَالَ "لاَ وَلَكِنِ اقْدُرُوا لَهُ". قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا سُرْعَتُهُ فِي الأَرْضِ قَالَ " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيُكَذِّبُونَهُ وَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ فَيُصْبِحُونَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ وَيُصَدِّقُونَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ وَيَأْمُرُ الأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ كَأَطْوَلِ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَمَدِّهِ خَوَاصِرَ وَأَدَرِّهِ ضُرُوعًا قَالَ ثُمَّ يَأْتِي الْخَرِبَةَ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَيَنْصَرِفُ مِنْهَا فَتَتْبَعُهُ كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً شَابًّا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هَبَطَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِشَرْقِيِّ دِمَشْقَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ قَالَ وَلاَ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ يَعْنِي أَحَدٌ إِلاَّ مَاتَ وَرِيحُ نَفَسِهِ مُنْتَهَى بَصَرِهِ قَالَ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلَهُ قَالَ فَيَلْبَثُ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ . قَالَ ثُمَّ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ حَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ فَإِنِّي قَدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ. قَالَ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ: **{مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ}**. قَالَ فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ بِبُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ فَيَشْرَبُ مَا فِيهَا ثُمَّ يَمُرُّ بِهَا

آخِرُهُمْ فَيَقُولُ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَقُولُونَ لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ . فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مُحْمَرًّا دَمًا وَيُحَاصَرُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ يَوْمَئِذٍ خَيْرًا لأَحَدِهِمْ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ . قَالَ فَيَرْغَبُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِلَى اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ قَالَ فَيُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى مَوْتَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ قَالَ وَيَهْبِطُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلاَ يَجِدُ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ وَقَدْ مَلأَتْهُ زَهَمَتُهُمْ وَنَتَنُهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ قَالَ فَيَرْغَبُ عِيسَى إِلَى اللَّهِ وَأَصْحَابُهُ قَالَ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ قَالَ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ بِالْمَهْبِلِ وَيَسْتَوْقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ وَنُشَّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ قَالَ وَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَطَرًا لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ وَبَرٍ وَلاَ مَدَرٍ قَالَ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ فَيَتْرُكُهَا كَالزَّلَفَةِ قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَخْرِجِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ . فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ لَيَكْتَفُونَ بِاللَّقْحَةِ مِنَ الإِبِلِ وَإِنَّ الْقَبِيلَةَ لَيَكْتَفُونَ بِاللَّقْحَةِ مِنَ الْبَقَرِ وَإِنَّ الْفَخِذَ لَيَكْتَفُونَ بِاللَّقْحَةِ مِنَ الْغَنَمِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا فَقَبَضَتْ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ كَمَا تَتَهَارَجُ الْحُمُرُ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ". قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ (١).

إن هذه الفتن الهائلة لن تجد من مكان تتلاشى فيه سوى الأرض المقدسة المتخصصة بفعل تراثها المنتمي إلى السماء بتخليص البشر من هذه الفتنة الهائلة الكبرى.

المعنى السادس: اختصاصها بدوام الطائفة الظاهرة بالحق منها: إن من فضائل هذه الأرض اختصاصها بالطائفة الظاهرة بالحق القاهرة للباطل، المجتثة لجذوره وإن طال زمانه وذلك أن اختيارها من قبل الله تعالى لتكون أرض الأنبياء وأرض الإسراء والأرض التي تضم في مركز الروح

منها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، مما يقتضي تطهيرها حسب فهمنا لمكان المقدسات في الإسلام مع علم الله تعالى بطروء الظالمين عليها مُدنسين ترابها ومسممين

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم(٢٣٤١)، أبواب (الفتن)، باب (ما جاء في فتنة الدجّال)، ٣٤٦/٣.

هواءها وعلمه كذلك بضخامة قوة الكفر المغتصبة والمساندة من قبل قوى الشر العالمية، ثم مع علمه سبحانه أيضاً بثقل المنكرات التي سيقترفها فيها أعداء الله تعالى.

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك). (١)

وزاد الإمام أحمد: قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: **(ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس). (٢)**

والعلماء يعتبرون الحديث من الأحاديث المتواترة تواتر معنى.

وروى أبو يعلى في مسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خذلهم ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة).**[٣]

وروى أبو داود عن عمران بن الحصين أن رسول الله عليه وسلم قال:**(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).**[٤]

وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلي لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراءُ تكرمة الله هذه الأمة).** [٥]

إن هذه الأحاديث تضعنا أمام بشرى هائلة: فاشتداد المحنة وسيطرت أراذل البشر وخبراء غسيل المخ العالميين على الإعلام العالمي مع ما أوتي الأعداء شرقيين وغربيين من

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (٢٢٢٢٠)، تحقيق أحمد شاكر، ٢٧٠/١٦.
[2] المصدر السابق، ٢٧٠/١٦ حديث ٢٢٢٠.
[3] الهيثمي، مجمع الزوائد ٦/١٠.
[4] أخرجه أبو داود في سننه رقم (٢٤٨٤)، كتاب الجهاد، باب في دوام الجهاد ص٤/٣.
[5] أخرجه الامام أحمد في مسنده، حديث (١٤٦٥٥)، تحقيق أحمد شاكر، ٥٢٤/١١ .

قدرات هائلة في عالم المال والتسلح يحتاج إلى مقابل يقوي عزمات أهل الإيمان على الثبات على هذه الأرض حتى لا يسقطوا في الطريق الذي سقط فيه الكثيرون ممن فقدوا هذا اليقين وإن أهل الإيمان لينعمون من رب العزة بيقين لا يتزعزع، إنهم منصورون بإذن الله تعالى وإن هذا الحديث من النصوص المساهمة في هذا اليقين.

المعنى السابع: اختصاصها بكثير من الصحابة والمجاهدين والأولياء: روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ستكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مُهاجر إبراهيم ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضهم وتقزرهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير).** [١]

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة: جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق)** قال ابن حوالة: خير لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: **(عليك بالشام فإنها خيرة أرض الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غُدُركم، فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله).** [٢]

ويغلب على الظن أن المقصود بالشام هنا هو بيت المقدس تحديداً وذلك لكثرة الشواهد الدالة على ذلك.

لقد استقطبت فلسطين كثيراً من كبار الصحابة كما ذكرنا في موضع سابق:

معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عمر وشداد بن أوس بن ثابت وأم الدرداء وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان وعمر بن الخطاب وغيرهم مما لا يحصى عددهم.

ومن عظماء العلماء: الإمام ثور بن يزيد وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم والإمام الأوزاعي والليث بن سعد والإمام صدقة بن يزيد والإمام عبد الله بن شوذب البُلَخي والإمام وكيع بن جراح والإمام محمد بن ادريس الشافعي وذو النون المصري وبشر ابن الحارث

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه رقم (٢٤٨٢)، كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام، ص٤/٣

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (١٦٩٤٢) تحقيق أحمد شاكر، ص ٢٣١/١٣

والإمام عبد الله محمد الأنصاري وأحمد بن عبد العزيز الخوارزمي، والإمام النووي والإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري، والحافظ أبو سعد السمان الرازي، والإمام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم كثير.

ولقد كانت المدن الفلسطينية كالرملة وعسقلان وغزة وطبرية وقيسارية مراكز إشعاع علمي خصوصاً في العلوم التي تعلقت بالحديث الشريف وبالتالي ليس غريباً أن يأتي إلى فلسطين مشاهير المحدثين كالبخاري والترمذي وأبو داود وابن ماجه والنسائي، وأن تنجب عالماً عظيماً كالإمام سليمان بن أحمد الطبراني صاحب المعاجم في الحديث، ومن عظماء العلماء ابن العربي الأندلسي، وكما هو معلوم قام الإمام الغزالي بتأليف كتابه إحياء علوم الدين ما بين دمشق وبيت المقدس.

وكذلك الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد أنه كان يتردد ما بين صور وبيت المقدس، وصاحب أكبر كتاب في الدنيا العالم العظيم أبو الوفاء علي بن عقيل صاحب كتاب الفنون وكتابه أكثر من أربعمائة مجلد، وكذلك الشيخ أبو الحسن علي بن الحسين الغراء، وغيرهم كثير.

إننا لم نذكر كل ما هنالك ولكن هذه النماذج التي ذكرناها تنبئ عن المقصود وتتحدث عن فلسطين وبيت المقدس حديث المحب المعظم الذي تقوده أشواقه وما رسخ في فؤاده من أجلال وإعظام لبيت المقدس إلى القدوم إليه إنه حديث هذا المحب عن أولئك المحبين.

قيل للإمام بشر بن الحارث الحافي وهو أحد كبار الصوفية والزهاد المتبعين للأثر: قيل له: لِمَ يفرح الصالحون ببيت المقدس " قال "**لأنها تُذهب الهم ولا تستعلي النفس بها**".

وقال: "**ما بقي عندي من لذات الدنيا إلا أن استلقى بجنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس**". [1]

المعنى الثامن: كونها أرض المحشر: روى الإمام أحمد في مسنده عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: **(هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون ركباناً ومشاة وعلى وجوهكم توفون يوم القيامة سبعين أمة أنتم أخر الأمم**

[1] مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام – شهاب الدين المقدسي ص ٣٥٤.

وأكرمها على الله تبارك وتعالى، وتأتون يوم القيامة وعلى أفواهكم الفدام أول ما يُعرب عن أحدكم فخذه). [١] قال يحي بن أبي بكر أحد رواة الحديث: فأشار بيده إلى الشام.

وحديث ميمونة بنت سعد ليس عنا ببعيد، (أرض المنشر والمحشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فيما سواه).[٢]

والمقصود بالحشر الوارد هنا في الأحاديث هو الحشر الذي يكون في الدنيا قبل قيام الساعة ووجه اعتبار الحشر إلى بيت المقدس دليلاً على مكانتها التي تتبوأها، هو أنه ما كان الحشر إليها إلا لأنها تكون أكثر أمناً من غيرها ذلك أن النار إذا فشت في الأرض فإن الشام عموماً وفلسطين وبيت المقدس خصوصاً أبعد عن تأثير النار فتكون على ما قلنا دار أمن وجه الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته رضي الله عنهم إلى الشام فيما إذا لحقوا زمان ذلك الحشر.

ولا بد أن نبين أن الحشر المقصود هنا هو حركة بشرية اختيارية تكون مندفعة نحو الشام عامة وفلسطين وبيت المقدس خاصة من أجل تحصيل الأمن من تلك النار التي تبعث أمواجها العاتية فينساق الناس بسببها إلى بيت المقدس وهي ليست حركة لا إرادية تحرك الناس تحريكاً متجاوزاً إرادتهم.

ومن العلماء من يرى أن هذه النار التي تحشر الناس إلى محشرهم هي نار الفتنة وليست النار الحقيقية كما ذهب إلى ذلك ابن حجر في فتح الباري ٣٨٨/١١.

إن كون بيت المقدس خاصة وفلسطين أرض المحشر والمنشر هو شكل من أشكال الخير والبركة للراسخين فيها على المعنى الذي ذكرناه من كونها الأقل فتنة يوم تفشو الفتن أو أنها دار الأمن حين خروج النار ودفعها الناس على محشرهم فهي المحشر الذي يندفع إليه الناس بفعل النار الخارجة، إذ الغاية من خروج النار تسوق الناس إلى بيت

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث (١٩٨٩٦) ض ١٥/١٠٠
٣ سبق تخريجه.

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم (٢٧٤٩٨)، ص ١٨/٦٠٥. حم ٤٦٢/٦.

المقدس لا إحراق الناس بها، فلا داعي على هذا إلى دخول النار في بيت المقدس وفلسطين بعد أن ساقت النار الناس إليها، فهي الغاية التي من أجلها تخرج هذه النار.

إن تخصيص بيت المقدس وفلسطين في حديث ميمونة بأنها أرض المحشر والمنشر أي الأكثر أمناً على ما فسرنا هو في الحقيقة مكمن معنى التفضيل.

المعنى التاسع: كونها بإطارها الشامي أرض رباط دائم: حظيت فلسطين ببشرى البقاء حتى النهاية على أصول الهداية الأولى، وجُعلت منذ عصور وأزمان أرض صراع مرير بين الحق والباطل، فأهل الباطل ينظرون إليها طامعين لا في هدمها وتخريبها فقط، بل في سرقتها من أيدي أهلها ومن سياقها الحضاري والديني.

وجُعلت فلسطين وبيت المقدس على مدار التاريخ أرض انتصار الحق على الباطل وإن طال الصراع .. انتصار يوشع بن نون عليه السلام الذي كان يمثل الحق.

وانتصار داود عليه السلام على جالوت.

وفتح المسلمين لها وهم أهل دعوة حق على الرومان.

وانتصارهم على الصليبيين.

وانتصارهم على التتار.

وانتصارنا على اليهود ... ومبشراته أمام العيون ظاهرة، وما حدث لهم على أرض لبنان أمام حزب الله خير شاهد على بداية انهزامهم وأفول نجمهم. وما انهزامهم المتكرر على أرض غزة أو خروجهم مدحورين يجرون أذيال الخيبة، وفي حلوقهم مرارة الانكسار، إلا أعظم البشارات بنصر الله العظيم والقريب.

روى ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد). [١]
ورواه بنحوه أيضاً عن أرطأة بن المنذر قال (فمن نزل مدينة من المدائن فهو في رباط أو ثغراً من الثغور فهو في جهاد).

[١] تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٨٢/١ ــ ٢٨٣.

وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (سيُفتح على أمتي من بعدي الشام وشيكاً، فإذا فتحها فاحتلها، فأهل الشام مرابطون إلى منتهى الجزيرة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم، فمن احتل ساحلاً من تلك السواحل فهو في جهاد ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط). [١]

إن واقع الحال لبلاد الشام وخاصة بيت المقدس يقتضي أن تكون فعلاً أرض رباط من الناحية الشرعية، لأنها مطموع فيها من قبل الأعداء والتاريخ شاهد كبير على هذا الطمع، فكان التكافؤ الطبيعي لها في الإسلام أن يُرغب الناس بالسكنى فيها لحمايتها من الأعداء وهذا هو الرباط.

المعنى العاشر: كونها آخر أرض تشهد الخلافة الإسلامية على الأرض: وبها ورد الحديث الصحيح وفيه بشرى تتهاوى أمامها المحن المتراكمة وتزول دونها مزلزلات النفوس وتتمثل هذه البشرى لأهل فلسطين خاصة وللمسلمين عامة في أن الاحتلال الصهيوني القائم سوف يزول.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال: **(يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك)**[٢] صححه الإمام الذهبي وكتب الألباني بجواره: صحيح.

إن الأرض المقدسة في الحديث الشريف هي بيت المقدس ذاتها وإن بيت المقدس ستشهد آخر موطن من مواطن الخلافة الإسلامية في مسيرتها الطويلة، وأيام المهدي عليه السلام أيام عدل يبدد ما ملأ الدنيا من عتمة الليل الظالم، ليكسوها بثوب قشيب من العدل والرحمة كما ذكرت ذلك الأحاديث الدالة على خروجه، وستكون هذه الأيام أيام عدل وغنى ورحمة وقوة وهي ستنطلق من بيت المقدس وذلك لتنال الدنيا قسطاً من الخير العميم من منطلقه المقدسي ذلك أن المهدي عليه السلام سيكون ببيت المقدس بدليل

---

[١] المصدر السابق.
[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم (٢٢٣٨٦) تحقيق أحمد شاكر ص٣٢٢/١٦

الحديث الذي ذكرناه والذي أكد أن الخلافة التي يتحدث عنها هي خلافة المهدي.[1]، هذا ما أحببنا أن ننقله من أحاديث نبوية تبين فضيلة فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة ومكانة هذا البلد عند المسلمين ونظرتهم إليه وتقديسهم له، خلافاً لما رأينا من تدنيس من قبل اليهود لهذه المدينة واستباحة المحرمات داخل هيكلها، فرق بين من يدعي القدسية ثم يمارس المنكرات، وبين من يدعي القدسية ويمارسها تطبيقاً واقعاً ملموساً، إن فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة هي عز الإسلام ومجده في نهاية الدنيا وهي باعثة الأمل في نفوس المسلمين لما يتعلق بها من خير عميم آت بإذن الله تعالى.

[1] مكانة بيت المقدس ٢٢٧-٣٤٧ بتصرف.

الفصل الثالث

إسلامية القضية الفلسطينية

في هذا الفصل وهو الفصل الرئيس في هذا الكتاب، سأتناول الحديث عن القضية الفلسطينية من جوانبها المتعددة، إسلامية، وعربية، وفلسطينية.

وسيكون ذلك من خلال المباحث الستة الآتية:

- **المبحث الأول: موقف الجماهير الإسلامية من القضية الفلسطينية.**
- **المبحث الثاني: تيارات التغيير الإسلامي والقضية الفلسطينية.**
- **المبحث الثالث: موقف الدول الإسلامية من القضية الفلسطينية.**
- **المبحث الرابع: القوى الوطنية العلمانية الفلسطينية.**
- **المبحث الخامس: مشاريع التسوية السلمية للصراع العربي الفلسطيني.**
- **المبحث السادس: الانتفاضة وتطور القضية الفلسطينية.**

المبحث الأول

موقف الجماهير المسلمة من القضية الفلسطينية

القضية الفلسطينية قضية بلد إسلامي اغتصبه اليهود، عبر مؤامرات دُبرت بليل، وتواطأت فيها أنظمة محلية ودولية ومنظمات أممية على شرعنة اغتصاب فلسطين، هذا البلد المغتصب ليس بلداً عادياً وإنما هو الأرض التي بارك الله فيها وحولها.

أو ليست فلسطين مهبط الأديان ومبعث الرسل ؟! ومنها انطلقت دعوة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

أو لم يقل المفسرون: إن اسرافيل يقف على الصخرة المشرفة فينادي: (أيها الناس هلموا على الحساب، إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء، وهذه هي النفخة الأخيرة) **{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأرض إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ}**. (سورة الزمر: ٦٨)

أو ليس بيت المقدس أرض المحشر والمنشر كما جاء في نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن ميمونة بنت سعد قالت: يا رسول الله افتنا في بيت المقدس. قال: **(أرض المحشر وأرض المنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة)**.

أو ليس المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام. ومسجد الأقصى)**.

أو ليس المسجد الأقصى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصخرة المشرفة منطلق معراجه إلى السماء وفيه نزل قوله تعالى **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}**. (سورة الإسراء: ١)

أو لم يستخلص الجيل الإسلامي الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الديار المقدسة من ربقة الاحتلال الرومي ليدخل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بيت المقدس ويعلن إسلامية هذا البلد إلى أبد الآبدين.

أو لم يحررها بعد ذلك القائد الإسلامي صلاح الدين الأيوبي من جيوش الفرنجة في الحروب الصليبية ويسقط من جراء ذلك آلاف الشهداء الأبرار.

هذا سابقاً أما في زماننا ألم تكن ثورة البراق إسلامية، ألم تكن انتفاضة الأقصى إسلامية ؟!.

في ضوء كل هذا يتبين أن القضية الفلسطينية ليست قضية عادية، ليست قضية أرض مغتصبة ولا قضية لاجئين وإنما هي قضية مقدسات مدنسة وكرامات مدنسة لا يجوز التساهل والمساومة أو القبول بأرباع الحلول أو أنصافها.

لهذا ومن باب التناسق مع الأحداث كانت فتاوى العلماء والمجامع الدينية:

أفتى علماء نجد (إن ولاية اليهود في بلاد الإسلام باطلة ومحرمة).

وفتوى الشيخ رشيد رضا: (إن تمليك الحربي لدار الإسلام باطل ومحرمة وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام، ومطلوب من المسلمين مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم في كل شيء).

وفتوى علماء العراق: (واجب كل مسلم مقاومة إنشاء دولة يهودية في فلسطين). (١)

إن النهج الإسلامي الجهادي الذي يفرضه الشرع وما تتطلبه الكرامة والعزة حيال إسرائيل التي احتلت الأرض وشردت الشعب وانتهكت حرمات الإسلام والمسلمين، إنه النهج الذي حض عليه الإسلام واعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام فكانت حملات التأديب التي قادها رسول الله لمستعمرات اليهود في الجزيرة العربية ولتجمعاتهم في بني قينقاع وبنى النضير وفي خيبر وبني قريظة.

[١] انظر: موقف الأزهر الشريف من القضية الفلسطينية صفحة ١٣٦

إن النهج الجهادي، نهج المقاومة ونهج الانتفاضة هو اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل جيداً وترهبها جيداً كما ترهبها وتفهمها كل قوى الاستكبار في العالم.

في مثل حال فلسطين إذا اعتدى على شبر من بلاد المسلمين يُصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم.

وإلا فالحال كما قال الإمام علي (ما غُزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا).

والواجب الشرعي في هذه الحالة يقضى باعتبار السعي لتحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي مرحلة من مراحل التحضير لإعادتها إلى حظيرة الإسلام وهدفاً استراتيجياً يمنع عنها حكم الطاغوت ويحقق احتكامها لشرع الله.

وهناك اعتبارات أخرى يجب ملاحظتها وقضية هامة ينبغي إدراكها حيال اعتبار القضية الفلسطينية قضية إسلامية مركزية، وهي أن القوة المطلوبة مواجهتها في فلسطين قوة عالمية، قوة حاقدة عقائدياً، قوة متآمرة على امتداد التاريخ، إنها الصهيونية العالمية الممسكة بدفة الحكم في معظم دول العالم، المسيطرة على الثروات والقرارات والمؤسسات والمواضع الاستراتيجية في كل مكان.

إن مواجهة هذا الطاغوت وإضعافه وتدميره يُعتبر بحد ذاته فريضة شرعية وانجازاً هاماً واستراتيجياً لأن بقاء هذا الطاغوت يعني استمرار التآمر على الإسلام ودعوته ودعاته، إن تحرير فلسطين وتدمير إسرائيل يعني زوال العقبة الكؤود التي تحول دون وصول الإسلام على مواقع القرار وأجهزة الحكم ومراكز القيادة في العالم الإسلامي.

ومن هنا كان اعتبار القضية الفلسطينية قضية إسلامية مركزية موقفاً منسجماً مع دور الحركة وطبيعة العقبات التي تقف في طريقها وإبعادها المؤامرات التي يواجهها على كل صعيد، كما يعتبر موقفاً محيطاً بظروف العصر وطبيعته، فضلاُ عن كونه واعياُ لحقيقة المنهج الإسلامي وأهدافه القريبة والبعيدة.

لهذا ليس غريباً أن الجماهير المسلمة تهب كل حين لتعبر عما يحول في عقولها وقلوبها من مشاعر المؤازرة والتأييد للقضية الفلسطينية على مدى تاريخ القضية، ونحن هنا نقصد من تاريخ الاحتلال البريطاني والى زمن كتابة هذا البحث.

لم تتقاعس الشعوب، بل كانت تدفع بالغالي والنفيس.

حينما صدر وعد بلفور عام ١٩١٧م قامت الاحتجاجات في صفوف المتطوعين العرب ضمن معسكرات الشريف حسين، كما قام الفلسطينيون الذين نفاهم الأتراك من فلسطين بالاحتجاج على هذا الوعد المشئوم، كذلك قامت الجمعيات الإسلامية وحتى المسيحية بتقديم عرائض الاحتجاج وعقد المؤتمرات في فلسطين وسوريا استنكاراً على ذلك، ثم وصل الأمر إلى انتفاضة ١٩٢٠م التي انطلقت من مدينة القدس وكانت أول اضطرابات دامية تشهدها فلسطين مما أدى إلى عقد المؤتمرات الفلسطينية، المؤتمر تلو المؤتمر.

ثم قامت انتفاضة يافا ١٩٢١م ضد الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونية مما أدى إلى مقتل (٥٠) صهيونياً وجرح (١٥٠) آخرين.

ثورة البراق: إن حائط البراق والذي يسميه الصهاينة حائط المبكى هو جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف، وفي داخل غرفة يُعتقد أنها المكان الذي ربط فيه النبي البراق. اعتاد اليهود على الحضور إلى هذا الحائط للصلاة عنده، إلا أنهم في سبتمبر ١٩٢٨م حاولوا السيطرة على الجدار وسحب ملكيته من المسلمين فهبت الجموع العربية المسلمة بثورة غاضبة عمت الديار كلها قدر عدد القتلى من اليهود (١٣٥) هذا غير الإصابات.

جراء ذلك اعتقلت السلطات البريطانية أعداداً كبيرةً من الفلسطينيين، حكمت بالإعدام على عدد منهم ونُفذ الإعدام في ثلاثة منهم.

يقول كتاب فلسطين: تاريخها وقضيتها: لما وقعت حادثة البراق تنبه العرب إلى اشتداد الخطر الصهيوني وتحوله إلى هجوم استيطاني مسلح. وجاء تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم يؤكد حق المسلمين في ملكية البراق، ومن ثم فإن التصرف فيه وفيما جاوره عائد للمسلمين ومن هنا جاءت فكرة وجوب إشراك المسلمين عامة في قضية فلسطين وفي سبيل ذلك انعقد في القدس ليلة الإسراء ١٩٣١م مؤتمر إسلامي عام حضره مندوبون عن جميع الأقطار الإسلامية والعربية تقريباً، فقد كان ثمة وفود من الهند وجاوة وإيران ونيجيريا وقفقاسيا وتركستان الصينية وتركيا وسيلان ويوغسلافيا ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والحجاز وسورية واليمن والعراق والأردن وفلسطين، وكان من

الحضور السيد ضياء الدين الطباطبائي والشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد إقبال وشوكت علي ومحمد علي علوية وعبد الرحمن عزام ورياض الصلح وشكري القوتلي والسيد آل كاشف الغطاء.

وأنتخب الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين رئيساً للمؤتمر وأعلن المؤتمر قدسية البراق واستنكر أي مطمع فيه، كما قرر إنشاء جامعة إسلامية في القدس باسم جامعة المسجد الأقصى.

هذا المؤتمر هو أول مؤتمر إسلامي عقد بسبب قضية فلسطين، وكان له أثر مهم ذلك بأنه ربط بين قضية فلسطين والحركات التحريرية في الأقطار الإسلامية، ووضع القضية الفلسطينية أمام الرأي العام الإسلامي بكثير من الوضوح، ومن هنا اتسعت دائرة الاهتمام بهذه القضية كانت فلسطينية ثم أصبحت عربية والآن أصبحت إسلامية.

كان هذا المؤتمر تجديداً لروح المقاومة العربية بعامة وقضية فلسطين بخاصة. (١)

وكانت الغاية التي تحددت من المؤتمر:

١. تنمية التعاون بين المسلمين ونشر الثقافة الإسلامية.
٢. حماية مصالح المسلمين وصيانة مقدساتهم من كل عبث أو سيطرة.
٣. مقاومة الحملات التبشيرية في أواسط المسلمين.
٤. إنشاء جامعات تعمل على توحيد الثقافة الإسلامية وصيانتها وأولها في بيت المقدس تسمى " جامعة المسجد الأقصى الإسلامية ".

استمرت الهجرة الصهيونية وتمادت السياسة البريطانية في التغطية على أعمال اليهود، والعرب يعملون كل ما في جهدهم، ولكن المؤامرة كانت أكبر من قدراتهم وإمكانياتهم مما أدى إلى اندلاع تظاهرات ١٩٣٢م، فتوجهت الحركة المقاومة ضد الانكليز باعتبارهم أساس البلاء ثم إلى اليهود ، إلى أن ظهر في الساحة الفلسطينية شخصية مجاهدة وهي الشيخ عز الدين القسام، شيخ سوري الأصل درس في الأزهر الشريف اشترك في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، حكم عليه بالإعدام غيابياً، لجأ إلى حيفا ومن هناك قاد المقاومة ضد الانجليز

[1] فلسطين: ص٨١-٨٢.

واليهود حتى أستشهد في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م، كان لهذا الشيخ الجليل الأثر العظيم في إلهاب المشاعر ضد المحتلين وأتباعهم من اليهود.

الثورة الكبرى ١٩٣٦م: بعد استشهاد القسام قاد المجاهدين الشيخ فرحان السعدي أحد رفاق القسام، وقام بعدة عمليات قوية ضد القوافل العسكرية اليهودية والبريطانية مما أدى إلى فرض نظام منع التجول واعلان قانون الطوارئ، مما أدى إلى أن تداعت الجماهير إلى الإضراب العام وبالتالي انفجرت الثورة وامتد أمد الإضراب حتى استمر ستة أشهر إلا اسبوعاً وهو إضراب لم يعرف تاريخ فلسطين له مثيل، نتج عن هذا أن بريطانيا أعلنت عن تشكيل لجنة تحقيق كان أهم مقرراتها تقسيم فلسطين.

يقول الدكتور بسام العموش: لم تحظ قضية من قضايا الأمة العربية والإسلامية بالأهمية التي حظيت بها قضية فلسطين في الفكر الإسلامي المعاصر. وكان انهيار الدولة العثمانية وبداية الاستعمار للبلاد العربية ومنها فلسطين وتحالف الغرب مع الحركة الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين سبباً مباشراً لتطور الطروحات الإسلامية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وكانت اندفاعات مواجهة الاستعمار ومن ثم عصابات الحركة الصهيونية على أرض فلسطين بقيادات إسلامية الفكر والشعار تعكس صورة أساسية لدى الإسلاميين في فهم موقع القضية الفلسطينية في الفكر الإسلامي، ذلكم أن قاعدة الفكر الإسلامي السياسي المعاصر تقوم على محاربة الاستعمار والتغريب وتحرير البلاد الإسلامية من الاحتلال اليهودي، وكانت فلسطين التي تتمتع بالخاصيتين معاً نموذجاً لهذا التصور.

كما أن الأساس الديني في النظرة إلى الأرض المقدسة والمسجد الأقصى أو الحرم الإبراهيمي يلعب دوراً أساسياً في عميق واقع القضية في الفكر الإسلامي المعاصر، ناهيك عن أن التحدي الحضاري الذي يواجه الأمة حسب معطيات الفكر الإسلامي الحديث هو التحدي الاستعماري الغربي الذي يتخذ من إسرائيل جسراً للعبور في مواجهاته مع المشروع الحضاري الإسلامي بكل صوره، وتتولى إسرائيل دوراً أساسياً في تفتيت الأمة واستنزاف وتشتيت جهودها وطاقاتها وشغلها عن البناء والتقدم وحضور ساحة التنافس الحضاري العالمية.

لقد بات المصطلح القائل إن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية وللأمة العربية والإسلامية شائعاً في صفوف الإسلاميين انطلاقاً من قدسية المسجد الأقصى القبلة الأولى للمسلمين بناء الحركة الإسلامية بترابط القضية الفلسطينية مع هموم وحدة الأمة العربية والإسلامية.

إن الغرب والصهيونية ينظرون لعلاقتهم مع الأمة العربية والإسلامية من منظار الصراع، ويمارسونه على أرض الواقع، خلال القرن العشرين الذي شهد على أيديهم أبشع الممارسات الوحشية والهمجية وغير الإنسانية بحق العرب والمسلمين في شتى أنحاء العالم، وأنهم يبنون استراتيجيتهم على هذا الأساس وقد أكد هذه التوجهات قادة كبار من الغربيين والصهاينة سواءً كانوا قادة فكر أو رجال دين أو قادة سياسيين، وهم يتربعون على عرش ثروات هذه الأمة ويحتلون أرضها ويستبيحون حماها.

وقد تضافرت جهود الطرفين المعاديين لهذه الأمة (الصهيونية والامبريالية) على اقتطاع فلسطين المقدسة من جسم الوطن العربي والإسلامي وإقامة وطن لليهود على أرضه لأن فلسطين قلب العالم الإسلامي وتحتل موقعاً استراتيجياً مفصلياً بين آسيا العربية وأفريقيا العربية، وتطل على بحرين استراتيجيين، ونقطة عبور الغرب إلى مناطق النفط، كما أنها ترتبط بعقائد يهودية تلمودية وتوراتية تحقق لهم بعض أساطيرهم الدينية المزعومة، وعلى ذلك تبقى فلسطين قضية مركزية رئيسة في برنامج الفكر الإسلامي الحديث سواء على الصعيد الديني العقدي أو على الصعيد التاريخي.(١)

المؤتمر الإسلامي العالمي:

في عام ١٩٥٤م أنعقد المؤتمر الإسلامي العالمي في مدينة القدس من كبار شخصيات العالم الإسلامي ورؤساء الحركات والمنظمات الإسلامية، كان منهم سيد قطب، نواب صفوي، آية الله كاشاني، الشيخ محمد محمود الصواف، الدكتور سعيد رمضان، الأستاذ كامل الشريف، الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة، الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ عصام العطار.

[1] القضية الفلسطينية جواد الحمد ص٢٤٥-٢٤٦.

ولقد كان هذا المؤتمر الجهاز الإسلامي العالمي الممسك بالقضية الفلسطينية والمحرك الوحيد لها في وقت انعدام الحس الوطني والجهادي.

وفي ختام الجلسة أعلن سيد قطب قرارات المؤتمر وهي:

إن المؤتمر الإسلامي العام لقضية فلسطين المنعقد في مدينة القدس والذي حضره مندوبون عن مسلمي الصين واندونيسيا وباكستان والبلاد العربية مغربها ومشرقها ومندوبين عن مسلمي أميركا، وبعد أن استعرض مأساة فلسطين وأثار الاعتداء الصهيوني اليهودي وتأييد الدول الاستعمارية لهذا الاعتداء، وبحث الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هذه النكبة واستمع إلى البيانات التي قدمها أهل فلسطين عن حالة القسم المغتصب من بلادهم وإلى التوجيهات التي أدلى بها مندوبو الدول الإسلامية، اتضح له أن قضية فلسطين هي أخطر القضايا الإسلامية وأجدرها بعناية الشعوب المسلمة وتضافرها في الكفاح لاسترداد البلاد المقدسة من اليهود الغاصبين، وحماية ما تبقى منها في أيدي أصحابها الشرعيين بعد تآمر الاستعمار الغربي والصهيوني العالمية.

وقد رأى المؤتمر أن القضية الفلسطينية يجب أن تكون أمانة في أيدي الشعوب الإسلامية، فهي التي تملك بما في نفوسهم من ذخيرة الإيمان والتضحية، أن تقوم بما يفرضه عليها الإسلام ويقتضيه واجب التضامن الأخوي العام، وأنه لا بد لأداء هذا الواجب من أن يرجع المسلمون إلى ربهم ويؤدوا فرائضه عليهم وفي أولها التضامن لاستنقاذ أرض الإسلام وإعداد العدة وتعبئة القوى وطرح وسائل الاستخذاء والسلبية التي ابتلى بها المجتمع الإسلامي في عهوده الأخيرة، وقد اتجه المؤتمر في تفكيره وقراراته اتجاهاً جدياً لحمل الشعوب الإسلامية على الاضطلاع بواجب القضية الفلسطينية مراعياً في قراراته الحقائق الواقعية، فلم يقرر إلا ما يملك هو تنفيذه بوسائله الخاصة معتمداً على الله أولاً ثم على الشعوب الإسلامية فيه.

المبحث الثاني

تيارات التغيير الإسلامي والقضية الفلسطينية

نجد أنفسنا مضطرين بين الحين والآخر لتناول موضوعات قد يظن البعض أنها ليست بذات صلة بالموضوع ولكن شيئاً من التدقيق والتوفيق في ربط الأحداث نجد أن لها صلة وصلة عظيمة. إن كثيراً من التيارات الإسلامية التي ظهرت في القرن العشرين ظهر كثير منها متزامن مع القضية الفلسطينية، وحاولت بعض هذه التيارات أن يكون لها موقف، وموقف داعم، إلا أن الظروف المحيطة كانت أكبر من رغبات وطموحات هذه التيارات.

من هذه التيارات ما كان داخل المعمعة للقضية الفلسطينية، ومنها ما كان بعيداً عنها، بعداً جغرافياً مع عدم البعد في المشاعر والطموحات.

وعلى رأس هذه التيارات والحركات:

١. مدرسة الشهيد حسن البنا التي كانت تعتمد لتحقيق التغيير الإعداد الكامل والشامل في عملية التغيير بدءاً من إعداد الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم ووصولاً إلى الدولة المسلمة من خلال المجتمع الذي يعيش فيه ولقد كان لهذه الحركة دور فاعل في جهاد فلسطين سنفرد له الحديث لاحقاً.

٢. مدرسة الشهيد سيد قطب التي كانت تعتمد على الطليعة ذات النمط الخاص النوعي في وعيها وتربيتها، الطليعة الرافضة ذات النمط الخاص النوعي الرافضة للتعايش مع الجاهلية، المتوسلة بالعزلة الشعورية من أجل تكوين أفرادها وعناصرها، ولقد لعب هذا التيار دوراً كبير في تكوين الفكر الأساسي لبعض التنظيمات الإسلامية المجاهدة في فلسطين، ومن ضمنها حركة الجهاد الإسلامي.

٣. مدرسة الشيخ تقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير والذي يركز على بث الوعي السياسي في الأمة وتحقيق الصدمة الثقافية وإيجاد القيادة الفكرية للوصول إلى الحكم بالانقلاب على رأس الدولة سواء كان فرداً أو حزباً أم جهازاً، ولا

يمكن أن ننسى أنه كان لهذا التيار من دور كبير في عملية التوعية الجماهيرية وخصوصاً بين طبقة المؤهلين أكاديمياً، من معلمين وأطباء ومهندسين وبين طلبة الجامعات، مما ساعد على زيادة البعث الديني المقاوم، مع العلم أن الحزب ليس من سياسته إطلاقاً العمل المقاوم.

٤. مدرسة الأستاذ أبو الأعلى المودودي فإنها تعتمد أسلمة القاعدة الجماهيرية في كل قطاعاتها مما يجعل الانقلاب الإسلامي في النهاية أمراً واقعاً وطبيعياً.

ولقد لعبت هذه المدرسة دوراً عظيماً في استحضار التعاطف مع القضية الفلسطينية، وما نشهده في شبه القارة الهندية من مظاهرات ومؤتمرات تأييد ومناصرة هو نتاج الدور الذي لعبته مدرسة المودودي.

٥. المدرسة السودانية الدكتور حسن الترابي فإنها تعتمد على خط اسلمة القيادة والحكم من داخل القيادة والحكم وليس فقط من خارجها، وإن كان لا يلغي متطلبات الإعداد الجماهيري والتكوين الطليعي.

وكان لهذه المدرسة صلات طيبة وقوية مع التنظيمات الإسلامية الجهادية، المقاومة في داخل فلسطين، ومازال يحتضن كثيراً من كوادر هذه التنظيمات داخل السودان. كذلك لا ننسى التعاطف السوداني والمواقف الداعمة كل ذلك بتأثير من حركة الترابي.

٦. مدرسة الثورة الإسلامية الإيرانية والتي تعتمد الخط الجماهيري وتحريك القوى الشعبية العريضة بكامل قطاعاتها وأشكالها، فهي تخرج من فلك التنظيم إلى سعة التيار ومن خصوصية التوجيه والتكوين إلى عموميته وشموليته، كما أنها لا تمانع من استخدام القوة والاعتماد على الثورة بكل أشكالها.

والباحث لا يغفل ما قامت به الثورة الإسلامية من مناصرة للقضية الفلسطينية مثل إغلاق السفارة الإسرائيلية وتحويلها إلى سفارة فلسطينية، التلاحم ما بين قوى المقاومة وأصحاب العمائم في طهران، الدعم المالي- الدعم الإعلامي- التدريب.

ومازال دور الثورة الإيرانية أو الجمهورية الإسلامية ما زال دورها طليعياً قياساً لأدوار المؤسسات الحكومية عربية أو إسلامية.

مع التركيز على نقطة مهمة وهي مدى المردود والفائدة العائدة لهذا النظام أو ذاك.

إن اختلاف الأنماط والمناهج والأساليب المتبعة في العمل لتحقيق التغيير الإسلامي من شأنه أن يوسع دائرة التجارب والمحاولات ولا يجعلها قاصرة على منهج واحد وخط وحيد وبالتالي يجعل من القضية الفلسطينية طريقاً جديداً ومركباً يضاف إلى المراكب المعتمدة للوصول إلى إقامة حكم الله في الأرض، وذلك من خلال تحرير الأرض والإنسان.

تيارات العمل الإسلامي في فلسطين: تمثل على الساحة السياسية الفلسطينية توجهان سياسيان أحدهما علماني والآخر إسلامي وذلك منذ بداية الصراع بين القوى الفلسطينية والمشروع الصهيوني، إلا أن تأثير القوى الإسلامية تراوح بين النهوض والتراجع في مراحل الصراع حسب تصور القوى الإسلامية واجتهاداتها فيما يتعلق بطبيعة الصراع مع الصهيونية وإدارته من جهة وبروز قوى وطنية فلسطينية أخرى قدمت العامل الوطني الفلسطيني في الصراع على العامل الإسلامي من جهة ثانية كما تأثر موقف القوتين السابقتين الإسلامية والعلمانية بالموقف العربي منهما سواء أكان دعماً أم مواجهة.

لقد استطاعت القوى الإسلامية أن تستأثر بتأييد شعبي نتيجة اعتبار حركة التحرير الفلسطينية حركة شعبية تخوضها القوى والتيارات الفكرية والاجتماعية الفلسطينية كافة، وأن لكل منها مصلحة في خوض الصراع وحسمه سواء مع الحركة الصهيونية أو مع تجسيدها المادي – إسرائيل.

ولو نظرنا إلى تشكيل القوى الإسلامية قبل قيام إسرائيل لوجدنا أنها تتمثل بشكل رئيسي في حركة الإخوان المسلمين التي تأثرت من حيث نشأتها وأفكارها وبنيتها وعلاقتها بحركة الإخوان المسلمين في مصر، ويليها من الناحية التاريخية حزب التحرير الإسلامي الذي مثل انشقاقاً في بداية الخمسينات عن حركة الإخوان المسلمين بسبب الخلاف الفكري حول إقامة المجتمع والدولة الإسلامية، ولم يستطع هذان التنظيمان أن يقيما موازنة أو مزجاً بين العامل الإسلامي والعامل الوطني على الصعيد العملي لمواجهة الاحتلال الصهيوني،

بل كان العامل الإسلامي هو المقدم في برنامج أولوياتهم، حيث كان الاهتمام مركزاً على إصلاح الفرد من ثم المجتمع ، لخلق مجتمع صالح قادر على إقامة الدولة الإسلامية التي سيكون من مهامها القيام بعملية المواجهة.

استمرار الوجود التنظيمي لهذين التنظيمين بعد عام ١٩٦٧م، لكن دون إحداث تغيير واضح في الرؤية أو إدارة الصراع مما أدى في فترة الصراع اليومي مع الاحتلال الإسرائيلي والمعاناة الناجمة عنه، إلى بروز تيارات إسلامية سواء في أرضها أو خارجها لتعبر عن توجه ديني اهتم بالعامل الوطني.

بمعنى آخر فقد نظر إلى الدين كموجه للصراع مع إسرائيل وعليه فقد تم تقديم مجال الحركة السياسية على المجال النظري التقليدي، **وتمثل هذا التيار الجديد بشكل رئيسي في كل من الحركات التالية:**

(حماس – الجهاد الإسلامي – الدعوة – الأيدي المسلمة – حركة الإصلاح الإسلامي – جماعة التبليغ والدعوة – حزب الله – التكفير والهجرة – شباب المعركة الإسلامية).

ونستطيع أن نخلص إلى أن التيار الإسلامي الفلسطيني ابتدأ حركة فكرية تسعى إلى إصلاح الفرد ومن ثم إقامة مجتمع إسلامي صالح أهم تطور بفعل عوامل ذاتية وخارجية ليصبح جزءاً من حركة التحرير الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي، ولكن بمنطلقات وتوجهات إسلامية، مما يستدعي وقفه لمتابعة هذا التطور.

أولاً: الحركات الإسلامية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م

١. **الجمعيات الإسلامية:** ترجع جذور التيار الإسلامي في فلسطين باعتباره حركة إحياء ثقافي ديني إلى العشرينات من القرن العشرين وتمثل نشاط هذه الحركة في الدعوة إلى العودة إلى الدين وإصلاح الفرد والتصدي لمواجهة الإلحاد، وكان لجمعية الشبان المسلمين التي نشأت في مصر عام ١٩٢٧م تأثير كبير على الساحة الفلسطينية إذ تم تأسيس تنظيم مشابه في فلسطين حيث أُقيم عدد من الجمعيات في المدن الفلسطينية المختلفة ترتبط بالمقر الرئيسي للجمعية في مصر، وكان الهدف المعلن لتلك الجمعيات هو الاقتصار على نشر

القيم الإسلامية دون التدخل في الحياة العملية السياسية أو الصراعات الحزبية، إلا أن هذا الهدف المعلن لم يكن يعني من الناحية العملية الابتعاد عن القضايا العامة للمجتمع والصراع مع الوجود البريطاني والصهيوني ويمكن الإشارة هنا إلى نظير لمثل هذه الجمعيات التي أعلنت أن هدفها هو الإصلاح الديني بينما هي في الواقع تقوم بعملية تحريض سياسي ضد الاحتلال وقد تمثل هذا النظير في جمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي قادها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه هو أن مقررات المؤتمرات التي عقدتها تلك الجمعيات في فلسطين عام ١٩٢٩م هي في ذاتها دعوة للنهضة الوطنية من حيث تشجيع الإنتاج الوطني العربي وإقامة المعارض الوطنية الصناعية والزراعية تشجيعاً للعامل العربي وبذا فقد خاض دعاة هذا التيار صراعاً مع بريطانيا أدى إلى مطاردة عدد من قادته واعتقالهم.

ولقد استثارت ممارسات الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية المخاوف الدينية لدى الفلسطيني العادي، فكان سلوكه محكوماً بالعاملين: الديني والوطني وخير مثال على ذلك ثورة البراق التي تفجرت في أغسطس ١٩٢٩م والتي مثلت رداً على التحدي اليهودي للشعور الديني الإسلامي في المدن الفلسطينية كافة.

كذلك يمكن الإشارة إلى العامل الديني والجهادي المتمثل في حركة الشيخ عز الدين القسام (تحدثنا عنه سابقاً) التي كانت بمثابة الشرارة لثورة عام ١٩٣٦م كما لا بد من الإشارة إلى القيادة الدينية للحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ المتمثلة بقيادة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

٢. **الإخوان المسلمون:** وسنتحدث عنها في أكثر من موضع حسب المرحلة التاريخية.

تأسست جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨م بهدف خلق مجتمع إسلامي قائم على مبادئ الإسلام، وقد قدمت الحركة من منطلق الوحدة الإسلامية دعماً مادياً وإعلامياً للشعب الفلسطيني وحركته الوطنية، مما أوجد قدراً من الاحترام والتقدير للجماعة علاوة على ذلك فقد أنخرط عدد من الطلبة الدارسين في مصر في صفوف الجماعة

وساهموا بعد عودتهم إلى فلسطين في نشر أفكارهم، ومن ضمنهم صاحب اهداء هذا الكتاب ، فضيلة الشيخ رجب العطار، الذي انضم إلى قوافل المجاهدين من الإخوان المسلمين، وجاء معهم من مصر وقاتل حتى اصيب في احدى المعارك (في القسطل)، مما اضطره للعودة إلى مصر للعلاج واستكمال طلب العلم الشرعي في الأزهر الشريف .

ثم تشكيل أبنية تنظيمية للإخوان المسلمين في فلسطين في الأربعينيات تحت تسميات غير حزبية كجمعية المكارم وجمعية التوحيد استطاعت أن تجد لها مؤيدين بين الفلسطينيين سواء بسبب التكوين الديني للشخصية الفلسطينية أو بسبب النشاط العملي الذي قام به الإخوان المسلمين على الساحة الفلسطينية وضد الوجود الصهيوني.

ثانياً: الحركة الإسلامية في فلسطين بين عام ١٩٤٨م-١٩٦٧م:

١. **تشكيل حزب التحرير الإسلامي:** تشكل الحزب في مدينة القدس عام ١٩٥٣م بقيادة الشيخ تقي الدين النبهاني الذي انشق جزئياً عن جماعة الإخوان المسلمين، ولا يستند الحزب إلى المنظور الثوري التطوري لإقامة المجتمع الإسلامي، بل يؤمن أن قيام المجتمع الإسلامي هو نتيجة، أي أن ذلك المجتمع لن يقوم إلا بعد إقامة الخلافة الإسلامية ويعتبر الحزب أن الدولة قامت في بداية الهجرة النبوية للمدينة المنورة واستمرت حتى سقوط الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى.

ولم يستطع الحزب نتيجة موقفه النظري وتركيزه على الفكر وجوانب العقيدة دون الممارسة العملية أن يحظى بتأييد شعبي كذلك الذي حظيت به حركة الإخوان المسلمون، كما أن مواقفه من نظم الحكم القائمة لم يمكنه من الحصول على شرعية الوجود القانوني، فهو يعتبر أن نظم الحكم القائمة لا يجوز العمل في إطارها أو المشاركة فيها.

أما بالنسبة لموقفه من الوجود الصهيوني والكفاح المسلح ضده فهو يرفض هذا الوجود من منطلق إسلامي ويعتبر قتال اليهود فرض على المسلمين، لكن تحقق هذا الفرض عملياً يكون بعد إقامة الدولة الإسلامية التي من واجبها أن تواجه إسرائيل، أي أن الحزب لا يؤيد الكفاح المسلح ضد إسرائيل الذي تمارسه فصائل المقاومة المختلفة، لكنه يرفض في الوقت

نفسه التفاوض مع إسرائيل أو عقد صلح معها باعتبار ذلك خيانة لله ورسوله ولدينه وللمؤمنين.

ونتيجة للموقف النظري للحزب والابتعاد عن الجانب العملي وارتهان حل القضية الفلسطينية بقيام الدولة الإسلامية بقيادة الخليفة، فقد بقي تأثير الحزب ضيقاً ومعزولاً سواء من حيث التأييد الشعبي أو من حيث موقف حركة المقاومة الفلسطينية أو موقف نظم الحكم العربية منه.

٢. **جماعة الإخوان المسلمين:** عقب قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م بدأ تأثير التيار الديني يتصاعد بسبب عدم الثقة في الزعامات والأحزاب الوطنية الفلسطينية من جهة والتعاطف والاحترام الذي لقيه موقف الإخوان لا سيما في مصر في حرب فلسطين ١٩٤٨م وقد احتفظت جماعة الإخوان المسلمين ببنيتها ووجودها القانوني في الضفة الغربية حيث تم ربط بقايا التنظيم بالتنظيم القائم للجماعة في الأردن، أما في قطاع غزة فقد نشطت جماعة الإخوان المسلمين وكان لها تأثير ملحوظ في بداية الخمسينات، وعزي ذلك إلى الطبيعة الثقافية الفكرية المحافظة للسكان في القطاع من جهة، وضعف القوى العلمانية من جهة ثانية، وموقف حكومة الثورة في بدايتها في مصر من الإخوان المسلمين في قطاع غزة من جهة ثالثة. إذ أوكلت لهم مهمة توزيع المساعدات التي كانت تحملها قطارات الرحمة للتخفيف من تأثير الأوضاع المتردية للسكان في القطاع وربما يرد موقف قيادة الثورة في مصر من الإخوان المسلمين في فلسطين إلى الموقف من حركة الإخوان المسلمين الأم في مصر، فقد رأت قيادة الثورة فيها إمكانية للتعاون في إطار مسيرة الثورة ورداً على الرغبة في مواجهة التيارات اليسارية وبخاصة الماركسية بين الفلسطينيين في غزة.

بيد أن سياسة الدعم والتأييد تلك لم تدم بسبب تفاقم الصراع بين قيادة الثورة في مصر وجماعة الإخوان المسلمين هنالك وحل الجماعة بعد اتهام عناصرها بتنفيذ محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر وكذلك يمكن الإشارة إلى تنامي المد القومي والحركات السياسية المعبرة عنه لحركة القوميين العرب وحزب البعث وتنامي التأثير السياسي لعبد الناصر على الساحة العربية عامة والفلسطينية خاصة.

وإضافة لذلك فقد بدأت تظهر في أوساط جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة خلافات حول أشكال العمل واتجاهاته ضد الوجود الإسرائيلي، مما أدى إلى خروج عدد من كوادر الإخوان المسلمين وتشكيلهم تنظيماً سياسياً يحمل شعار تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح يكون اطاراً يجمع القوى والتيارات الوطنية كافة بغض النظر عن العقيدة الفكرية وتمثل هذا التيار في حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح.

ثالثاً: الحركة الإسلامية في فلسطين عقب هزيمة ١٩٦٧م: عقب حرب ١٩٦٧م بدأ التيار الإسلامي يعود إلى دائرة التأثير على الساحة الفلسطينية، وبذا بدأت صحوة إسلامية جديدة في الأراضي المحتلة ١٩٦٧م ويمكن أن ترد أسباب هذه الصحوة إلى هزيمة حزيران ١٩٦٧م وما أوضحته تلك الهزيمة من فشل للنظم العربية في مواجهة إسرائيل، ومن تراجع للمد القومي واليساري الذي شكل في فترة من فترات الصراع أملاً تعلقت به الجماهير الفلسطينية من أجل التحرير، علاوة على ذلك بدأت قيادات جديدة من المثقفين ممن ينتمون إلى أصول اجتماعية شعبية تمارس دوراً فعالاً في حركة الإخوان المسلمين، مبعدة بذلك تأثير القيادة التقليدية القديمة، وكان لهذا التطور في البنية الاجتماعية للقيادة أثر على طبيعة العلاقة بين الجماهير الفلسطينية وعلى أسلوب الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي وعلى أولوية العامل الديني التي اعتنقتها القيادة السابقة، إذ لم يعد الهدف الأول هو إقامة الدولة الإسلامية بل تقاطع مع هذا الهدف العامل الوطني أي أن الصدام مع الاحتلال يمكن أن يتواكب مع الدعوة إلى إقامة النظام والدولة الإسلامية.

ويمكن اعتبار النواة التنظيمية الأولى للحركة السياسية الإسلامية الفلسطينية في السبعينات ممثلة في "المجمع الإسلامي" حيث تقدم مسئولون في حركة الإخوان في قطاع غزة بطلب إلى سلطات الاحتلال لتشكيل جمعية إسلامية "المجمع الإسلامي" للقيام بنشاطات ثقافية وتربوية، وقد أدى الوجود العلني للمجمع الإسلامي ودوره الفاعل في النشاطات الثقافية والاجتماعية إلى زيادة نفوذ جماعة الإخوان المسلمين، وربما كان الهدف الذي سعت من أجله إسرائيل في موافقتها على قيام المجمع الإسلامي إضعاف النفوذ الذي تتمتع به منظمة التحرير الفلسطينية في الأراضي المحتلة، وصرف اهتمام الشباب عن

العمل الوطني المتصادم مع الاحتلال، كذلك يمكن أن يضاف إلى أسباب زيادة النفوذ الإسلامي في الأراضي المحتلة التوجه نحو العودة إلى الدين والتدين لدى الإنسان الفلسطيني كرد فعل لانتهاك المقدسات الإسلامية في فلسطين من جهة ولمواجهة السياسة الإسرائيلية الساعية إلى إفساد الشباب الفلسطيني وتغييب هويته الوطنية وتمثلت العودة إلى الدين التزايد الواضح لعدد المساجد في الأراضي المحتلة وزيادة عدد من يواظب على تأدية صلاته فيها، وكذلك أنتشار ظاهرة ارتداء الملابس المحتشمة والحجاب بالنسبة للنساء، وقد ارتبط بهذا التوجه لدى جيل الشباب بوابة اختراق المجالس الشعبية المنتخبة، كمجالس الطلبة في الجامعات ومجالس النقابات من جانب ممثلي التيار الإسلامي ليصبحوا تياراً ذا قوة تمثيلية واضحة.

رابعاً: الحركة الإسلامية في الثمانينات: تمكنت الحركة الإسلامية في فترة الثمانينات من إيجاد أرضية راسخة ومتسعة لوجودها في المناطق المحتلة، **ويمكن أن يرد ذلك إلى العوامل التالية:**

١.تكوين نواة تنظيمية لجماعة الإخوان المسلمين المتمثلة بالمجمع الإسلامي الذي استطاع أن ينشئ فروعاً في جميع مناطق قطاع غزة بشكل خاص وقيام المجمع بنشاطات خدمية اجتماعية مختلفة.

٢.سيطرة جيل الشباب المتعلم على قيادة جماعة الإخوان المسلمين في القطاع ذوي أصول اجتماعية شعبية، لم يقنعوا بالاقتصار على الدور التقليدي للإخوان المتمثل في الدعوة والتربية، بل الانتقال إلى مرحلة النشاط العملي وقد تمثل هذا التغيير بشكل واضح في المجموعة التي أسست حركة الجهاد الإسلامي منذ عام ١٩٨٠م.

٣.التوجه العام لدى الشارع الفلسطيني المتسم بالعودة إلى الدين كرد فعل على الممارسات الإسرائيلية ضد الإنسان والأماكن المقدسة.

٤.نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وحالة التحريض التي أوجدتها في المنطقة، إذ أصبحت تلك الثورة نموذجاً إسلامياً، أثر في مفاهيم التغير الإسلامي في بداياتها.

٥.تصاعد تأثير الحركة الإسلامية في البلاد العربية المجاورة.

٦.انحسار تأثير منظمة التحرير الفلسطينية بعد الضربة القاسية التي تلقتها في لبنان وإخراج الوجود العسكري الفلسطيني من هناك.

٧.تراجع الفكرة القومية بشكل عام والتشرذم العربي وبخاصة بعد زيارة السادات لإسرائيل وعقد اتفاقات كامب ديفيد.

٨.توجه الإخوان المسلمين في قطاع غزة إلى تكوين تنظيم عسكري لمقاومة الاحتلال ودخولهم في صدام عسكري مع الاحتلال الإسرائيلي، وقد اكتشف التنظيم الذي تزعمه أمين المجمع الإسلامي في غزة الشيخ أحمد ياسين وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاماً.

ناهيك عن التوجهات الفكرية المتفاعلة في إصرار الإخوان على جعل القضية الفلسطينية، القضية المركزية للحركة الإسلامية في الضفة وغزة والأردن والشتات الفلسطيني وذلك في مطلع الثمانينات لقد تفاعلت هذه العوامل على الساحة الفلسطينية فجعلت الحركة الإسلامية قادرة على أن تبرز بشكل متميز مستقل وتحظى بشعبية واسعة، مما سيمهد الطريق لاحقاً لقيادة التيار الإسلامي للانتفاضة في الأراضي المحتلة وتشكيل حركة المقاومة الإسلامية حماس. (١)

الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية: أكثر الجماعات الإسلامية تأثيراً في القضية الفلسطينية كانت جماعة الإخوان المسلمين.

يقول أحد كبار رجالات الإخوان المسلمين عن بداية العلاقة بين الإخوان والقضية الفلسطينية

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم: منذ حملتني قدماي إلى المركز العام للإخوان المسلمين في شارع الناصرية لاحظت من المرشد العام ومن هذه الفئة القليلة من الإخوان بهذا المركز توجيه اهتمام خاص إلى القضية الفلسطينية، وقرأت في مجلتهم الكثير عن فلسطين كما وجدت بالمركز مجلات واردة إليه من فلسطين ومن سورية بها من أخبار

[1] . المدخل إلى القضية الفلسطينية – جواد محمد ص٣٧٧- ٣٨٥ بتصرف.

فلسطين ما كان يعد جديداً عليَّ، فهمت مما قرأت أن الانجليز يقومون بحملة مدبرة للقضاء على الكيان الإسلامي في فلسطين وتمكين اليهود من الاستيلاء عليها، ثم رأيت مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني ومعه مساعده الشيخ صبري عابدين وحوله مجموعة من قادة فلسطين، رأيتهم يحضرون إلى المركز العام في الناصرية ذلك المكان المتواضع ويتبادلون الكلمات الملتهبة مع المرشد العام ومع الإخوان الطلبة الذين كانوا أقدم مني صلة بالإخوان... وسمعت المفتي يشرح مؤامرات الانجليز التي تلجئ الرجل الساذج إلى بيع أرضه لليهودي تمهيداً منهم لتمكين اليهود واستيلائهم على مقاليد الأمور بفلسطين بحكم ملكيتهم لأرضها.

وقد استنتجت من زيارتهم لهذا المركز العام المتواضع المجهول وسط أحشاء القاهرة أنهم لا نصير لهم في القاهرة إلا هذه العصبة التي تأوي إلى هذا المركز العام.

وقد تبين لي فيما بعد أن استنتاجاتي كانت صحيحه حين دس الإخوان صحفياً كان عضواً بالإخوان إلى رئيس الوزراء يسأله عما سيفعله إزاء تصرفات الإنجليز الظالمة في فلسطين فرد عليه رئيس الوزراء بقوله "إنني رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين" على أن هذا الرد حين نشر بالصحف وقرأه الناس لم يحظ بأي اهتمام من الشعب ولم يقابل بأي اعتراض أو استنكار أو امتعاض باعتبار أن فلسطين وما يتصل بها لا يعنيهم في قليل ولا كثير فهؤلاء فلسطينيون أما هم فمصريون.

وفهمت فيما فهمت أن السيد أمين الحسيني كون هيئتين لتنظيم العمل ضد المستعمر الإنجليزي واليهود الصهيونيين تسمى إحدى هاتين الهيئتين بالهيئة العربية العليا وتسمى الأخرى بالمجلس الإسلامي الأعلى وقد استطاعت هاتان الهيئتان أن تشنا حرباً شعواء ضد اليهود وحماتهم الانجليز.

فهمت بعد ذلك أيضاً أن الإخوان أخذوا على عاتقهم النهوض بمهمة محددة هي أن يقوموا بجمع تبرعات لمجاهدي فلسطين، وكان الإخوان أول من طرق أسماع المصريين بهذا الاسم وأول من لفت نظرهم إليه، وأول من شغلهم بمتابعة مؤامرات اليهود ومكائد الانجليز في هذا البلد المسلم وأول من أثار قضية كان المصريون خلاة البال عنها تماماً وظل

الإخوان يرفعون راية هذه القضية حتى شاء الله أن تكون الشاغل الأكبر بل الوحيد لمصر وللعرب وللمسلمين وللعالم كله.

ويقول كامل إسماعيل: " لم يكن اهتمام الإخوان المسلمين بقضية فلسطين وليد الحوادث الأخيرة التي أعقبت قرار التقسيم، لكنه سبق ذلك التاريخ بزمن طويل، فالإخوان كهيئة إسلامية عالمية كانت تضع في برنامجها مهمة الدفاع عن القضايا الإسلامية في مختلف أنحاء المعمورة، وكانت دورهم دائماً موئلاً للمجاهدين الأحرار من مختلف بلاد العروبة ومواطن الإسلام. وكان لفلسطين دائماً المقام الأوفى من عنايتهم واهتمامهم فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وهي تحتل مركزاً وسطاً في البلاد العربية وضياعها يعزل العالم الإسلامي بعضه عن بعض ولو نجح اليهود في احتلالها لأصبحت دائماً مباءة خطرة لعناصر الشر وبركاناً زاخراً بالنار يزعزع أمن البلاد العربية وسلامها، في حين وضحت نيات السياسة البريطانية في فلسطين أخذ الإخوان يعقدون المؤتمرات تباعاً ويبينون للشعوب والحكومات حقيقة هذا الخطر الذي يهدد كيانهم ومستقبلهم. حتى نجحوا في إشراك العالم الإسلامي كله في هذه القضية وباتت قضية فلسطين والعرب لا قضية أهل فلسطين وحدهم، وحين قامت القلاقل في فلسطين أخذوا يمدون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح، حتى كانت ثورة ١٩٣٦م حين نجح عدد من شبابهم بالتسلل إليها، والاشتراك مع الثوار في جهادهم وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع المجاهد العربي الكبير الشيخ عز الدين القسام، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أخذ الإخوان يعملون للقضية عملاً إيجابياً فأرسلوا وفوداً من دعاتهم وشبابهم يؤلبون العرب ويستخدمونهم للكفاح ويتولى نفر منهم تدريب الشباب الفلسطيني تدريباً سرياً، ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد حتى أصبحت شُعبهم ودورهم هي مراكز القيادة وساحات التدريب.

ولقد أدرك اليهود ما ينطوي عليه هذا التدخل من خطر شديد على أهدافهم وخططهم، فقاموا ينشرون المقالات الطوال في صحف أوروبا وأمريكا ويشحنونها بالتهم الخطيرة عن الإخوان المسلمين وحقيقة خطرهم على مصالح الولايات المتحدة وبريطانيا، وكانوا يحاولون

بذلك استعداء الحكومة الأمريكية لتقوم بعمل حاسم سريع وتستأصل هذا الخطر الإسلامي الذي يهدد مصالحها بالزوال. (١)

يقول الدكتور فتحي الشقاقي: كان من الطبيعي أن تتصدي الحركة الإسلامية لقيادة المرحلة التالية، إلا أن ظروف نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعنف التدخل الغربي في الوطن الإسلامي لم تسمح لها بذلك، وليس هنا مجال دراسة تلك الأسباب بالتفصيل وقد انتهت النكبة الأولى بتوجيه ضربات قوية إلى آمال الجماهير وإلى إسلامها وأرضها، وتقدمت إلى السلطة العناصر العسكرية في انقلابات متواصلة لتقدم أطروحاتها القومية الجديدة وتوثق علاقتها بالغرب سواء الرأسمالي أم الشيوعي وتدعي أنها جاءت لتعيد للأمة وحدة أرضها وتبني مستقبلها ولتحقق لها العدل الاجتماعي والرفاهية والتقدم.. ولكن انتماءها القومي العلماني في الخمسينات وانتماءها الاشتراكي العلماني في الستينيات كانا يحددان موقعها تماماً من قضية الصراع على أرض الوطن الإسلامي، لقد كانوا أطروحة جديدة فقط للهجمة الغربية ضد الإسلام، ومع الغرب دائماً سواء الشيوعي أم الرأسمالي ضد استقلال أمتهم وكانوا مع القهر والاعتقال والاغتيال ضد إسلام الأمة وحرية مفكريها ورجالها وكانوا مع رفاهيتهم وأرصدتهم ضد طموحات الأمة في النمو والتقدم والرفاهية.. كان هذا هو إطار المرحلة التالية من النكبة الأولى في ٤٨ إلى النكبة الثانية ٦٧، وحتى على النطاق الفلسطيني البحث فقد نمت الاتجاهات الممثلة للأنظمة العسكرية العربية، وفي ممر الغياب الكامل للوعي في تلك المرحلة، غاب مرة أخرى الوعي الجوهري والتاريخي الصحيح للقضية الفلسطينية، بل إن مختلف الاتجاهات الموجودة الآن على الساحة الفلسطينية ضمن إطار منظمات المقاومة تعود بأصولها إلى تلك المرحلة وما قبلها بقليل.

وكانت النكبة الثانية في صيف ذلك العام الصعب ١٩٦٧م انهياراً شاملاً للثوريين الاشتراكيين من العسكر ولأنظمتهم ومناهجهم ولتضليلهم، لقد سقطوا أولاً حين ضاعت

[1] . الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، ص ٨٨.

وعودهم في ظل ممارساتهم وسقطوا ثانياً حين قدموا بقية الأرض والتاريخ فداء لوجودهم وبقاء تسلطهم على روح أمتنا.

وكان لابد عقب النكبة الثانية أن تعود الأمة إلى أصالتها وإلى حسها الإسلامي ووعيها التاريخي، تتحسسه وتتلمس به طريقاً بعد سنوات الضياع والسقوط... كان لابد أن تدرك أي منحدر خطر قد وصلت إليه بعد أن ضيعوا هويتها الإسلامية وبعد أسلمت قيادها لأعدائها وتلاميذهم الشرعيين.. ومع مطلع السبعينيات كان المد الإسلامي الشامل في الوطن الإسلامي هو الرد الطبيعي والعملي على المراحل السابقة التي أودت بأمتنا إلى نكبتين مروعتين في أقل من عشرين عاماً، وتكشفت ساحة الصراع عن تيار إسلامي متصاعد يتقدم لحسم هذا الصراع لصالح أصالة الأمة واستقلالها وتقدمها الحقيقي وعلى الجانب الآخر كانت تقف قوى الغرب الاستعمارية وامتدادها من أنظمة وأحزاب قومية واشتراكية ووطنية بجانب إسرائيل كتجسيد للهجمة ضد الإسلام. (١)

وهكذا نجد أن مجموعات الشباب الفلسطينية الإخوانيين العائدون من مصر كانوا يمثلون أقوى التيارات والأصوات الفكرية في الميدان بداية من مطلع السبعينات، إلا أن الإحساس بالأزمة كان شاملاً، ليس داخل التنظيم الإخواني الفلسطيني في مصر فحسب، بل أيضاً وبأشكال مختلفة في صفوف الإسلاميين الفلسطينيين وإخوانهم الآخرين في الكويت وفي بريطانيا وفي الولايات المتحدة وفي الأراضي المحتلة وحيثما وجدت الكتل الطلابية الجامعية الإسلامية أو قامت النشاطات الطلابية الإسلامية عبر الاتحادات والروابط الطلابية.

وفي كل الحالات لم يكن الميراث النضالي لحركة الإخوان المسلمين محل نقاش ولا كان الحوار متعلقاً بدور الجماعة التاريخي أو مبررات وجودها واستمرارها.

إن التوجه نحو تبني القضية الفلسطينية لم يكن مقصوراً على الوضع الإخواني الفلسطيني في مصر، بل كان ظاهرة داخل صفوف الإخوان المسلمين والإسلاميين الفلسطينيين، كما كانت العودة إلى الإسلام قد أصبحت ظاهرة في أوساط الحركة الوطنية

---

[1] . فتحي الشقاقي ـ المختار الإسلامي العدد ١٣ ١٩٨٠.

الفلسطينية، ففي الكويت اتسعت نشاطات الطلاب الفلسطينيين الإسلاميين في جامعة الكويت منذ أواسط السبعينيات حتى برزوا كمنافس هام لكتلة الطلاب المؤيدة لسياسة منظمة التحرير وقد أسس هؤلاء الطلبة كياناً طلابياً إسلامياً مستقلاً عام ١٩٨٠م وفي كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وبريطانيا والولايات المتحدة ولبنان وألمانيا، أقام الطلاب الفلسطينيون الإسلاميون اتحادات طلابية إسلامية فلسطينية.

يقول الدكتور بسام العموش: كانت الساحة الفلسطينية في مطلع الثمانينات تزدحم بمخاضات إسلامية مختلفة في مواقعها وخلفياتها الفلسطينية. وقد سارت بعض هذه المجموعات معاً في بعض الأوقات أو اختلفت في أحيان أخرى ولكنها في النهاية أنجزت مع البرامج الأخرى المتناثرة في العالم والذي يُعد بحق واحداً من أهم وأكبر مشاريع النهوض الإسلامي المعاصر، مشروع تفعيل القضية الفلسطينية كواحدة من أهم أولويات الحركة الإسلامية المعاصرة. [١]

ممارسات الحركة الإسلامية في التعامل مع قضية فلسطين: نود تحت هذا العنوان أن نعرف بالدور الإسلامي في مختلف المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية (الصراع العربي- الصهيوني) وملاحظة المواقف الثابتة والمبدئية للحركة الإسلامية، إذا ما قورنت بسياسة التنازلات والمساومات التي كانت عليها الحركات والتنظيمات غير الإسلامية، والتي كانت عليها معظم الأنظمة والدول العربية والإسلامية على امتداد تاريخ القضية الفلسطينية.

ونود أن نخلص من كل ذلك للتأكيد على أن الحركة الإسلامية بتعدد راياتها عبر امتداداتها الأفقية الواسعة هي الوحيدة من بين الحركات التي بقيت على ثوابتها وعهدها ومعتقداتها بالنسبة للقضية الفلسطينية، في حين انكشفت سوءات الكثيرين وتعرت مواقفهم وبان زيفهم وانكشف أمرهم لكل ذي عينين.

ومواقف الإسلاميين المشرفة هذه من القضية الإسلامية ضاربة في القدم، لم يسبقهم إليها يسار أو يمين، ولم يتقدمهم نحوها حركات وطنية أو قومية، بل كانوا الأسبق لرفع راية الجهاد وإعلاء صرخة التحرير، كل ذلك من الموقع العقائدي الذي يتناقض بالكلية مع ما

[١] . المدخل على القضية الفلسطينية ص٢٤٨.

ذهب إليه اليهود وما ذهبت إليه الصهيونية من معتقدات فاسدة وما انطوت عليه من خطر على الأديان والقيم والأخلاق وعلى عموم الجنس البشري.

ونحن في كل ذلك سنعرض بشكل سريع وموجز لأهم المحطات وأبرز الحركات الإسلامية التي كان لها شرف الاهتمام بالقضية على أكثر من صعيد، علماً بأن المؤامرة المستمرة على القضية الفلسطينية كانت تقضي بأبعادها عن الإسلام ونزع فتيلها المتفجر من الشعب الفلسطيني والمتمثل بهذا الدين القيم لتبقى سلعة مساومة وابتزاز بأيدي الحركات والتنظيمات التي شهدت الساحة العربية نشأتها المصطنعة وتكاثرها غير الطبيعي على عمر القضية حتى أنها بلغت في لحظة قرابة الأربعين تنظيماً.

يقول الدكتور بسام العموش: " يمكن القول بشيء من الدقة أن ممارسة الحركة الإسلامية العمل السياسي والإعلامي للقضية الفلسطينية لم تتوقف منذ صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م بينما تفاوت الأداء العسكري والمواجهة مع الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني والدولة اليهودية في مراحل مختلفة.

فقد حظيت قضية فلسطين بجوانبها السياسية والدينية باهتمام ملحوظ في المنشورات والمطبوعات والخطابات العامة والدينية لدى حركة الإخوان المسلمين في مصر وفلسطين والأردن وبقية الدول العربية، إضافة إلى الحركة الإسلامية في باكستان والهند واندونيسيا وتركيا وإيران، وتولت الصحف الإسلامية في مصر المواجهة المباشرة مع المشروع الصهيوني وبرامج الحركة الصهيونية وكذلك تصدت للبرنامج الاستعماري القاضي بإقامة دولة يهودية في فلسطين، ودعمت على الصعيد السياسي والإعلامي جهود القادة الفلسطينيين، ودعم المقاومة والثورات المتعددة. وإخراج الإخوان في مصر أكثر من نصف مليون متظاهر إلى شوارع القاهرة في اليوم الثاني لصدور قرار تقسيم فلسطين في ١٩٤٧/١١/٢٩م وأعلنوا رفضهم للقرار مؤكدين عروبة وإسلامية فلسطين في شعارات هذه المظاهرات، حيث عمدت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في مصر إلى تحويل ساحات الجامعات المصرية إلى معسكرات لتدريب الشباب على حمل السلاح وإعدادهم للمشاركة في مواجهة العصابات الصهيونية وقوات الاحتلال البريطاني في فلسطين في محاولة لمنع

تطبيق قرار التقسيم وحماية الشعب الفلسطيني، وقد سطر متطوعو الإخوان ملاحم تغّنى بها الفلسطينيون واكسب الجماعة الاحترام والتأييد خصوصاً في ظل الموقف الداعم لقرار التقسيم من قبل الحزب الشيوعي الفلسطيني النقيض الايديولوجي لجماعة الإخوان المسلمين ومنافسهم الشعبي آنذاك، وفي ظل الضعف والعجز العربي الرسمي. وشارك في هذه المواجهات المسلحة متطوعون من إخوان الأردن والعراق وسوريا ولبنان والسودان واليمن ومسلمون من الباكستان ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها. وتحمل الإخوان في مصر بشكل خاص ضربة أمنية شاملة وجهت لهم في عهد الحكم الملكي بسبب دورهم في الحرب، بلغت قمتها في اغتيال المرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا الذي يسميه أبناء جيله من الإخوان "شهيد فلسطين" والذي كان قد خاطب الإخوان خلال محنتهم قائلاً: أيها الإخوان لاَ يضركم ما يجري لكم في مصر فإن معركتكم الحقيقية هناك على أرض فلسطين، وأنه ما دام هناك عرق ينبض بدم الإخوان فلن يتوقف الجهاد، وتعكس هذه الكلمات قناعة راسخة لدى مؤسس الإخوان بمركزية القضية والمعركة في فلسطين في مواجهة المشروع الصهيوني الاستعماري المناهض للمشروع الحضاري الإسلامي.

وبرغم الهزيمة العربية وإقامة الدولة اليهودية فقد استمر الموقف السياسي الإعلامي للإخوان مناهضاً للمشروع الصهيوني وداعماً للحق الفلسطيني حتى يومنا هذا. وخلاله اندفعت مجموعات فدائية من الإخوان المسلمين لشن عمليات ضد اليهود من قطاع غزة، غير أن هزيمة عام ١٩٦٧م حركت مشاعر الأمة كلها تجاه فلسطين من جديد، وجاء حريق المسجد الأقصى في أغسطس ١٩٦٩م ليزيد هذه المشاعر التهاباً، فالتحق الإخوان المسلمون في الأردن ودول عربية أخرى بصفوف الثورة الفلسطينية في معسكرات مستقلة عرفت باسم معسكرات الشيوخ في أحراش جرش والأغوار في الأردن ومن خلال هذه المعسكرات نفذ مقاتلو الإخوان عمليات عسكرية عدة كان أبرزها عملية الحزام الأخضر.

وفي أواسط السبعينات بدأت الساحة الإسلامية والعربية والفلسطينية تشهد تحولات رئيسة في توجهات الحركة الإسلامية للتعاطي مع القضية الفلسطينية حيث كانت حرب أكتوبر وتوقيع اتفاقيات كام ديفيَد بعد ذلك والانفراج الإعلامي والأمني العام تجاه الحركة

الإسلامية في مصر والعالم العربي بشكل عام، ونضوج الفكر السياسي لدى جيل النكبة من الإخوان خاصة ، والإسلاميين عامة، وفي ظل تراجع برامج الثورة الفلسطينية ضد إسرائيل بعد خروجها من الأردن، والهجمة التي تعرض لها الفلسطينيون في لبنان من جانب حزب الكتائب وحلفائه وتصاعد الصحوة الإسلامية العالمية .. وفي ظل هذه الأجواء برزت هذه التحولات بأشكال متعددة حيث انطلقت التوجهات السياسية والإعلامية والفكرية لاعتماد القضية الفلسطينية كقضية مركزية للحركة الإسلامية والتعامل معها على هذا الأساس من الإسلاميين الفلسطينيين في الكويت وبدعم كامل من الإسلاميين الكويتيين ومن قيادات في مكتب الإرشاد الإخواني في مصر أيضاً، وبرغم العقبات التي واجهت هذه التحولات فقد شقت طريقها **بمنهجين رئيسيين:**

تمثل الأول بتكوين نواة العمل الأول لإنشاء حركة الجهاد الإسلامي خارج إطار الإخوان لحركة مقاتلة ضد المشروع الصهيوني داخل الأرض المحتلة.

وتمثل الثاني بتشكيل نواة العمل الثقافي والفكري والمؤسسات الطلابية والنقابية الإسلامية في صفوف الإخوان المسلمين، واعتماد القضية كقضية مركزية في برنامج ومنهاج وقرارات وتوجيهات الإخوان المسلمين على الصعيدين الدولي والمحلي الفلسطيني الأردني المشترك.

وفي ظل تصاعد حجم الوعي السياسي والنجاح في استقطاب الجماهير والتوسع المؤسسي وتكاثر العدد التنظيمي المتفاعل مع القضية وتقدم برنامج الثورة في إيران ونجاحات الجهاد الأفغاني وتنفيذ الجهاد الإسلامي لعمليات نوعية داخل فلسطين، جاء قرار الإخوان المسلمين الفلسطينيين بالمشاركة في المواجهات الشعبية ضد الاحتلال. وهكذا قاد الإسلاميون الشعب الفلسطيني في الداخل لمواجهات لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلاً فيما أطلق عليه الانتفاضة ولم تمض عليها سنوات قلائل حتى تم تشكيل الجهاز العسكري للحركة تحت اسم كتائب الشهيد عز الدين القسام عام ١٩٩٢م وبرغم ما داهم الأمة الإسلامية من فتنة تمثلت في حرب الخليج الثانية.

ويمكن القول أن الإعداد الإسلامي لهذه المواجهة التي يشهدها العالم اليوم كان يستلزم إعداداً حميماً، وأن الإسلاميين الذين شغلهم جدال فكري حول الدولة والتحرير كانوا سباقين في عطائهم العملي الذي سبق الإنضاج الفكري لتصوراتهم واستراتيجياتهم لمواجهة المشروع الصهيوني وهم يشكلون اليوم رافعة مهمة لإنجاح المشروع النهضوي العربي والإسلامي والذي يستلزم بالضرورة إنهاء الاحتلال الصهيوني لفلسطين. (١)

أهم التنظيمات الإسلامية في الأراضي المحتلة:

أولاً: حماس–حركة المقاومة الإسلامية: تعد حركة المقاومة الإسلامية حماس الوجه السياسي المقاتل للحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة وجاء قيامها انعكاساً للتطور الذي وقع داخل جماعة الإخوان المسلمين، والذي تم فيه المزج بين المحتوى الديني والقضية الوطنية، إذ أضاف الإخوان المسلمون الجانب العملي إلى الجانب التربوي فأصبح العمل لإقامة الدولة الإسلامية لا يتعارض مع الصراع ضد الاحتلال الصهيوني، بل هذا الصراع أضحى هو السبيل إلى إقامة مثل هذه الدولة في فلسطين.

ومنذ ذلك التاريخ وحتى تأسيس حركة المقاومة الإسلامية حماس عام ١٩٨٧م، لم تنتهج جماعة الإخوان المسلمين الكفاح المسلح ومقاومة الاحتلال في الأرض المحتلة، بل تبنت العمل السياسي والاجتماعي الإصلاحي لإعداد بنية تنظيمية واسعة، كما تبنت شبكة واسعة من المؤسسات شكلت أرضية صلبة لعمل سياسي متماسك مستقبلاً، أوصلها إلى دخول الانتخابات عام ٢٠٠٦م والفوز بالأغلبية البرلمانية، مما جعلها تشكل الوزارة العاشرة.

تعد حماس أحد أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين، وامتداداً من امتداداتها، لذا تعتبر حركة الإخوان المسلمين أن حركة حماس هي حركة قديمة وجديدة في الوقت نفسه، قديمة من حيث كونها امتداداً للإخوان المسلمين وجديدة من حيث الاسم الذي تحمله والذي استقر عليه الرأي من بين مجموعة أسماء كان الإخوان المسلمون في فلسطين يستخدمونها في منشوراتهم ومن بينها المرابطون على أرض الإسراء والاتجاه الإسلامي في أرض الرباط.

---

[1] المدخل إلى القضية الفلسطينية – ص ٢٥١-٢٥٦ بتصرف.

جاء تشكيل حماس على خلفية البحث عن الأسلوب النضالي في التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين والمشاركة في قيادة الانتفاضة الأولى١٩٨٧ وتوجيهها لدى الاتجاه الإسلامي الفلسطيني، فعقب حادثة الدهس لأربعة من عمال قطاع غزة فجر يوم ١٤-١٩٨٧/١٢/١٥م والتي قام بها سائق شاحنة إسرائيلي وقعت مواجهات بين قوات الاحتلال وجماهير المواطنين في غزة، فقررت حركة الإخوان استثمار هذا الوضع الجماهيري واجتمعت بزعامة الشيخ أحمد ياسين وقررت تصعيد الانتفاضة وتشكيل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأصدرت بياناً يدعو إلى تصعيد الأحداث وزع في ١٤-١٩٨٧/١٥م باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) واعتبر هذا البيان فيما بعد النداء الأول الصادر عن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وأول بيان يصدر عن الانتفاضة.

واستطاعت حماس من خلال مشاركتها الواضحة في فعاليات الانتفاضة أن تفرض نفسها على الساحة الفلسطينية وأن تستحوذ على قدر كبير من التأييد بين الأوساط الطلابية والنقابية بحيث عُدت الفصيل الثاني بعد فتح في الأرض المحتلة.

البناء التنظيمي: البناء التنظيمي لحركة حماس مر بمرحلتين، بدأت الأولى منذ اندلاع الانتفاضة وحتى انطلاق العمل العسكري لحركة حماس عام ١٩٩٢م وكانت تضم بنية حماس في المرحلة الأولى ثلاثة أجهزة وبعد هذا التاريخ بدأت المرحلة الثانية للتطور البنيوي لحماس.

المرحلة الأولى:

١. الجناح الجماهيري المختص بإصدار البيانات والنشرات وتنفيذ الإضرابات والمواجهات والمظاهرات وتسيير الحياة اليومية للمواطنين خصوصاً خلال الانتفاضة.

٢. الجناح الأمني "مجد" وتأسس عام ١٩٨٣م ومهمته جمع المعلومات الأمنية عن العدو والعملاء.

٣. الجناح العسكري "مجاهدو فلسطين" أو "المجاهدون" تأسس عام ١٩٨٣م ومهمته القيام بالتدريب والنشاطات العسكرية.

المرحلة الثانية: عملت الحركة على تطوير بنائها التنظيمي، فتبلورت المرحلة الثانية من التطور التنظيمي عبر استقرار عمل حماس **ضمن ثلاثة أجهزة معروفة هي:**

١. المكتب السياسي.

٢. المكتب الإعلامي.

٣. الجناح العسكري، والذي يسمى كتائب عز الدين القسام.

وتتمتع حركة حماس بدعم جماهيري ينافس في قوته ما تحظى به حركة فتح حسب التقديرات المختلفة لنتائج الانتخابات النقابية التي يتم أجراؤها في مؤسسات الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة منذ اندلاع الانتفاضة وحتى اليوم، وقد استطاعت الحركة أن تحقق حضوراً سياسياً ملحوظاً لم يقتصر على الساحة الفلسطينية، وإنما أمتد إلى الساحة العربية والإسلامية، خصوصاً خلال أزمة الخليج وما بعدها، كما أنها نجحت في تحقيق حضور سياسي دولي في أجواء عملية الإبعاد الشهيرة التي قامت بها سلطات الاحتلال لأربعمائة فلسطيني مؤيد لحركة حماس إلى مرج الزهور جنوب لبنان في ١٧ ديسمبر ١٩٩٢م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح التحرك السياسي في المنطقة تجاه القضية الفلسطينية مضطراً للتعاطي مع هذه الحركة برغم أطروحاتها الإسلامية تجاه الصراع مع إسرائيل في المنطقة.

ويُلاحظ أن العديد من البلاد العربية وغيرها استقبلت قياديين في الحركة وعلى مستويات مختلفة كما أن العديد من الدول الأجنبية بما فيها الولايات المتحدة والدول الخمس الكبرى قامت بإجراء اتصالات معها، الأمر الذي دفع الحركة لتكون على أجندة الدول التي تتعاطى الحل السياسي في الشرق الأوسط سواءً كانت عربية أو أجنبية واعتبرت في التحليلات والدراسات السياسية المختلفة عاملاً مهماً في حسابات مستقبل السلام في الشرق الأوسط.

وتعتمد حماس في تمويلها على مساهمات أعضائها والمتعاطفون معها داخل فلسطين وخارجها، وعلى العائد من المشاريع الاستثمارية التي تقوم بها الحركة وعلى دعم الحركات الإسلامية المنتشرة في أرجاء العالم كافة بدافع الإخوة الإسلامية.

البناء الفكري للحركة: أصدرت الحركة ميثاقها في ١٩٨٨/٨/١٨م وأوضحت فيه مواقفها تجاه القضية الفلسطينية وحددت هدفها الاستراتيجي لتحرير كامل فلسطين من البحر إلى النهر، لذا فهي ترفض الحلول السلمية والمبادرات الدولية التي تتعارض والحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني، وتعارض الحركة البرنامج السياسي الذي تتبناه المنظمة بالصلح مع إسرائيل، كما ترفض قرارات الأمم المتحدة التي تعطي شرعية لوجود هذه الدولة وتعتبر أن تحرير الضفة والقطاع وأسلمة المجتمع أهداف مرحلية، ولا تعارض انسحاباً إسرائيلياً من الضفة والقطاع بهدنة مؤقتة ما لم يتضمن ذلك تنازلاً عن أي حق من حقوق الشعب الفلسطيني حسب تعبيرها.

تستقى حماس كحركة إسلامية مبادئها وتصوراتها وسلوكها فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل من المنظور الإسلامي، فهي ترى أن الصراع يدور بين قوتين : أولاهما قوة الحق الممثلة بالشعب الفلسطيني والثانية قوى الباطل الممثلة بإسرائيل والحركة الصهيونية وحلفائها الذين يسعون إلى بقاء ضعف العالمين العربي والإسلامي وتمزقها ونهب خيراتها وتهديد أمنها والحيلولة دون نهضة الأمة الإسلامية وانطلاقا من هذا الموقف ترى الحركة أن فلسطين هي أرض وقف إسلامي لأجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية ولا يملك ذلك ملك أو رئيس أو كل الملوك والرؤساء ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواءً كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين وقف إسلامي لكل أجيال المسلمين إلى يوم القيامة.

ولذلك تعتبر الحركة أن جبهة التصدي لإسرائيل وحلفاؤها إضافة إلى الفلسطينيين تتمثل في العالمين العربي والإسلامي وهي ترى أن قضية التحرير والصراع مع الصهيونية **مرتبط بدوائر ثلاث لكل دائرة حقوقها وعليها واجباتها:**

١. الدائرة الفلسطينية.

٢. الدائرة العربية.

٣. الدائرة الإسلامية.

ومع هذا هي مستعدة للتعاون مع أي جهة حكومية أو غير حكومية تقف إلى جانب الحق والعدل، شريطة ألا يكون في برنامج تلك الجهة ما يناقض أو يعادي العقيدة الإسلامية أو يساند الاحتلال الصهيوني وهم يؤمنون بتحرير فلسطين كاملة كاستراتيجية إلا أن هذا لا يتعارض مع تحرير أي جزء منها بالقوة أو بأي شكل شريطة ألا يؤدي إلى الاعتراف بشرعية الوجود الإسرائيلي أو بانتقاص حق الفلسطينيين العرب المسلمين في التحرير الكامل لفلسطين.

علاقتها مع الآخر: الأخر إما أن يكون شرائح تنظيمية أو اجتماعية أو اثنية:
التنظيمات بالنسبة لحماس هي:

١. **الحركات الإسلامية:** وهي تعتبر الخلاف معها هو اختلاف في الاجتهاد، هم كما تقول القاعدة "نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"

٢. **الحركات العلمانية:** والتي من ضمنها منظمة التحرير الفلسطينية التي العلاقة معها على تقدير ظرفها ودعمها ما دامت لا تقدم ولاءها للغرب أو الشرق، أما عن نظرة حماس للمنظمة فهي نظرة الابن لأبيه، فعندما تستبدل المنظمة المنهج العلماني وتتبنى المنهج الإسلامي تكون حماس جنداً للمنظمة ووقود نارها، فحماس لن تستبدل إسلاميتها وإسلامية فلسطين وتتبنى العلمانية هذا بالإضافة إلى وجود علاقات حول القواسم المشتركة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وتطوراتها السياسية.

أما بالنسبة لموقفها من غير المسلمين فهي تنطلق من التسامح الإسلامي مع أتباع الديانات الأخرى والذي يمكن أن يتعايش في ظله أتباع **الديانات الثلاث:** الإسلام والمسيحية واليهودية في أمن وأمان، ونظرتهم إلى اليهود تفرق بين اليهودية كدين سماوي يقوم على التوحيد مع تحريف اليهود له، وبين الصهيونية التي هي كيان مغتصب ظالم، فهم يفرقون بين اليهودي الصهيوني واليهودي غير الصهيوني، فاليهودي غير الصهيوني هو من أنتسب

إلى الديانة اليهودية المحرفة دون أن يكون مطبقاً لفكرها على أرض الواقع، أما اليهودي الصهيوني فهو المنفعل مع الفكر اليهودي المنحرف والمحرف والساعي إلى تطبيقه على أرض الواقع " فلسطين " فكل يهودي خارج فلسطين هو يهودي غير صهيوني ما لم يقم الدليل على أنه دعم أو ساند المشروع الصهيوني وكل يهودي في فلسطين هو يهودي صهيوني. إذن حماس تحكم على المواقف لا على العقائد فقط.

أما علاقتها مع المسيحيين والذين تسميهم في أدبياتها "النصارى" هم من أهل فلسطين، فهم جزء من الشعب الفلسطيني والأمة العربية وجزء من حضارتها، كما أن لهم ما لغيرهم من المواطنين من حقوق وعليهم ما على الآخرين من واجبات، وأن ارتباطهم بفلسطين هو ارتباط ديني ووطني في الوقت نفسه وهم شركاء في الوطن وجيران في السكن، وأن جهاد حماس للعدو الصهيوني هو لتخليص المسلمين والنصارى على السواء من أسر الاحتلال، وهي تعمل على التأكيد على أهمية اشتراكهم في الحياة السياسية والكفاحية للشعب الفلسطيني وإدماجهم بالمؤسسات والعمل الوطني، كما أنها تعمل على فتح علاقات متينة مع قياداتهم الدينية والسياسية وكسبها في المواقف الوطنية والعامة ومشاورة زعمائهم في شؤون البلاد العامة.

لهذا كان التعاون في الانتخابات التشريعية يناير ٢٠٠٦م واضحاً بين المسيحيين وحماس حتى أن كوادر حماس دعمت بعض المرشحين المسيحيين في بعض الدوائر، وكانت النتيجة أن شارك مجموعة من المسحيين في حكومة حماس.

العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية:

١. هي أقرب المقربين إلى حركة المقاومة الإسلامية.
٢. أنها حققت للشعب الفلسطيني **انجازات عظيمة منها:**

- الحفاظ على الكيان الفلسطيني دون ذوبانه في الكيانات الإقليمية العربية.
- حولت الشعب الفلسطيني من شعب لاجئ إلى شعب مقاوم.
- أزاحت الغبار عن القضية الفلسطينية في كل المحافل الدولية.

أما عن أهم نقاط عدم الالتقاء فهي:

١. اعتماد العلمانية فكراً وتطبيقاً رغم أنها تمثل شعباً أغلبيته العظمى من المسلمين.

٢. استعدادها للتنازل عن الجزء الأكبر من فلسطين مقابل إقامة دولة فلسطينية على جزء من الضفة الغربية وقطاع غزة.

لهذا وبناءً وانسجاماً مع البنية الفكرية لحماس ولعقيدتها لا تستطيع أن تنخرط في إطار المنظمة طالما بقيت المنظمة غير ملتزمة بالإسلام منهجاً وسلوكاً وأسلوب عمل، وما دام خطها السياسي التنازل عن جزء من فلسطين لصالح المشروع الصهيوني.

كذلك ترى حماس أن منظمة التحرير الفلسطينية من حيث تشكيلها ومؤسساتها وقراراتها لا تمثل الشعب الفلسطيني بأكمله، ومع هذا هي لا تسعى لأن تكون بديلاً يحل مكان المنظمة، بل أعربت عن استعدادها للانضمام للمنظمة والمشاركة في مؤسساتها، فالعلاقة التي تحكمها هي التعاون لا التصادم.

وكانت أهم النقاط التي حددتها حماس للمشاركة هي:

١. الانتخاب وليس التعيين هو الوسيلة الأساسية المعتمدة لاختيار الأعضاء.

٢. إذا تعذر الانتخاب أن يكون التشكيل يراعي أوزان القوى السياسية المشاركة.

٣. تخفيض عدد أعضاء المجلس مراعاة لظروف متعددة أمنية ومالية وإدارية وسياسية.

٤. تعديل الميثاق بحيث ينسجم مع عقيدة الشعب الفلسطيني.

هذا على الصعيد التنظيمي السياسي أما على أرض الواقع في الساحة الفلسطينية فقد كان ظهور حماس بكل هذا الزخم والتأثير والتفاعل سبب قلق للقوى العلمانية الفلسطينية وخاصة فتح كبرى تلك القوى وشعورها بخطورة تأثير حماس على الشارع الفلسطيني وإمكانية صعودها إلى موقع يوازي موقع فتح لا سيما وأن حماس ترى أنها هي التي فجرت الانتفاضة عام ١٩٨٧م وأن دورها في فعاليات الانتفاضة أكثر وضوحاً من دور غيرها من القوى، لهذا

تعرضت حماس لحملات التشكيك في وطنيتها وشرعية وجودها علاوة على افتعال بعض الصدامات مع أعضائها هنا وهناك.

إن موقف حماس وكذلك الجهاد الإسلامي المتمثل في عدم المشاركة في مؤسسات منظمة التحرير وعدم اشتراكها في القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة التي تضم معظم القوى العلمانية على الساحة الفلسطينية (فتح – الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين – الحزب الشيوعي الفلسطيني) لم يعني الوقوف في موقف منعزل، بل جاء تعبيراً عن التزام عقيدي سياسي برؤية معينة للصراع وأساليب إدارته، ومن ثم فهي في إطار الممارسة وتبعاً لطبيعة كل ظرف عملت على التنسيق مع القوى السياسية الفلسطينية العلمانية كفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ودليل ذلك العمليات المشتركة التي كانت تقوم بها الفصائل المقاومة.

أي أن موقف حماس كان يميل إلى الحفاظ على الثوابت الايدولوجية إلى إيجاد هامش من الحرية على أرض الواقع.

كذلك موقف حماس من انتخابات الحكم الذاتي الأولى وهو المقاطعة انسجم مع قوى علمانية أخرى على الساحة كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، إن هذا الموقف على أرض الواقع يعني أن حماس تلتزم بثوابتها النظرية، لكنها تتبع هامشاً لواقعية لا تكفي تلك الثوابت ويمكن أن يشار إلى أن هذا الموقف شبيه بموقف جماعة الإخوان المسلمين في الدول العربية الأخرى التي تسعى للمشاركة في الحياة السياسية في مصر والأردن على سبيل المثال ضمن الأطر القانونية الشرعية.

ثانياً: حركة الجهاد الإسلامي: أما على الجانب الآخر من الحركات الإسلامية العاملة على الساحة الفلسطينية، والتي لعبت دوراً عظيماً ومازالت تقوم بهذا الدور بفاعلية كبيرة فهي حركة الجهاد الإسلامي، نجزم نحن أنها ببذورها الأولى في السبعينات كانت إخوانية، مع أن كثيراً من قادتها لا يقبلون بهذا القول...

يقول الدكتور فتحي الشقاقي: حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حركة إسلامية فلسطينية مقاتلة، تبلورت تنظيمياً في مطلع الثمانينات داخل فلسطين المحتلة، بعد أن كانت حواراً فكرياً وسياسياً امتد منذ منتصف السبعينات في أواسط بعض الطلبة الفلسطينيين الدارسين وقتها في مصر، وقد شمل هذا الحوار مسائل منهجية تتعلق بفهم الإسلام والعالم والواقع وكيفية رؤية وفهم التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.

وقد مرت حركة الجهاد الإسلامي منذ انطلاقتها حتى الآن بثلاث مراحل أساسية شملت:

الأولى: العمل الجماهيري والسياسي والإعلامي والتعبوي كما شهدت.

الثانية: الجهاد والقتال المسلح ضد العدو ومن ١٩٨٧/١٠/٦م دخلت الحركة مرحلتها.

الثالثة: بانطلاقة الانتفاضة الشعبية في فلسطين.

المرحلة الأولى: وهي التي تلت عودة واستقرار النواة الأولى التي تم تشكيلها أثناء الدراسة في مصر أي عودتها واستقرارها في داخل فلسطين، وقد شهدت هذه المرحلة عملاً جماهيرياً وسياسياً واعلامياً وتعبوياً كانت الأرض الفلسطينية متعطشة إليه، فها هي تشهد خطاباً اسلامياً ثورياً وجهادياً يمهد الطريق لتحقيق الفريضة الغائبة وطالما اشتاقت إليه الجماهير الفلسطينية المؤمنة، وهكذا تعاظم دور الحركة في تلك المرحلة على الجانب التعبوي والدعوي والسياسي عبر دورها في الجامعات والمساجد في كافة المدن والقرى والمخيمات.

المرحلة الثانية: منذ البداية كان الجهاد المسلح ضد العدو الصهيوني هو المبرر الأساسي لنهوض حركة الجهاد الإسلامي ورغم أهمية الإسهامات الفكرية التي قدمتها الحركة والخط السياسي الإسلامي المتميز إلا أن هذا الأمر أي الجهاد المسلح بقي الأهم بالنسبة لحركة إسلامية فلسطينية نهضت لتشكل إضافة حقيقية جديدة لتحل الإشكالية التي كانت قائمة بين وطنيين بلا إسلام وإسلاميين بلا فلسطين.

بدأ العمل المسلح تدريجياً وبطيئاً وفي سرية تامة رغم حملات العدو لاعتقال عناصر التنظيم إلا أن هذه العمليات الجريئة كان لها وقع كبير على العدو وبين أفراد الشعب الفلسطيني.

المرحلة الثالثة: الانتفاضة المجيدة كانت خيبة الأمل الفلسطينية في الواقع العربي الرسمي تلك الأيام تأخذ مداها وكان الإسلام يرتفع عنواناً للمرحلة ويتجذر عميقاً في وجدان الشعب ويعود ليقود مسيرة الجهاد من جديد، إن حركة الجهاد الإسلامي لم تصنع الانتفاضة ، لأن الانتفاضة أكبر من كل الهيئات والأحزاب والمنظمات والفصائل وهي أيضاً لم تحدد ساعة الصفر في انطلاقها، لأنه لا يمكن لأحد أن يحدد ساعة انطلاق المعجزة ولكننا نؤكد أن الخروج الجماهيري الحاشد إلى الشوارع كان حلمنا منذ اليوم الأول، وعندما نادت الحركة لتفعيل الشعائر الدينية ودعت إلى صلاة العيد في العراء، واحتفالات ليلة القدر في المسجد الأقصى، كانت تحلم بأن ترى الجماهير تخرج إلى الشوارع حاشدة لتبدأ مسيرة الجهاد.

ولقد تحملت حركة الجهاد الإسلامي مع الجماهير عبء التصدي للاحتلال خلال الأسابيع الأولى من الانتفاضة، حتى نهضت بقية القوى الإسلامية والوطنية لتشمل الانتفاضة كافة القوى والفئات والطبقات. استمرت مشاركة الجهاد الإسلامي بفعالية خلال خمس سنوات تقريباً ومازالت مصممة إن شاء الله على تصعيد الانتفاضة والسير على طريق الجهاد مادام الاحتلال قائماً، إن مشاركة الجهاد الإسلامي في الانتفاضة لم تكن على حساب العمل على صعيد التحرك السياسي والتعبئة الجماهيرية أو الجهاد المسلح الذي استمر رغم كل الدعوات لوقف الجهاد المسلح ضد العدو. (١)

وكما سبق أن بينا فالحركة تتبنى النظرية الثورية للإسلام وقد نهلت الحركة فكراً وتجربة من الثورة الإيرانية وربما بحكم وقت النشأة وطبيعتها واعتبرتها مثالاً ثورياً إسلامياً يُحتذى وتدعو الحركة لاعتبار القضية الفلسطينية القضية المركزية للحركة الإسلامية المعاصرة، شعاراً واستراتيجية في الوقت نفسه، كما تدعو إلى الانتقال مباشرة للكفاح المسلح كما أشرنا سابقاً.

[1] رحلة الدم الذي هزم السيف. د . رفعت سيد أحمد ج١ ص٣٤٦-٣٥٢ بتصرف.

ومما يؤخذ على الحركة أنها لا تُعد حركة جماهيرية شعبية واسعة، وذلك بسبب الانقسامات التي تعرضت لها، **فقد تفرعت إلى:**

١. حركة الجهاد الإسلامي _ فلسطين.
٢. حركة الجهاد الإسلامي _ بيت المقدس.
٣. حركة الجهاد الإسلامي _ كتائب الأقصى.
٤. سرايا الجهاد الإسلامي.

ثم بسبب إبعاد مؤسسي الحركة للخارج والضربات القاسية التي تعرضت لها على يد سلطات الاحتلال الإسرائيلي وتبنيها الدفاع عن برنامج الثورة الخمينية داخل فلسطين، وتركيز عملها في قطاع غزة بشكل أساسي حيث يوجد عدد من قيادييها على حساب امتدادها في الضفة الغربية، فعضويتها نخبوية، ونشاطها يتركز في مجال العمليات العسكرية النوعية، رغم أنها تشارك في الانتخابات النقابية والقطاعية داخل الأراضي المحتلة، إلا أنها تعارض مفاوضات السلام بين المنظمة وإسرائيل والحركة لم تدخل مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، كما لم تشترك في عضوية القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة الفلسطينية المشكلة من فصائل التيار الوطني وهي في خطها الفكري تناقض برنامج منظمة التحرير الفلسطينية السياسي، وتتخذ مواقفها السياسية مستقلة عن أي فصيل آخر وهي عضو في تحالف القوى الفلسطينية المعارض لخط التسوية الحالية وتعتبر الأقرب في الساحة الفلسطينية لحركة حماس.

أما بالنسبة لعلاقة الحركة بمنظمة التحرير الفلسطينية فهي بسبب منطلقاتها الإسلامية ترفض فكرة إقامة الدولة الفلسطينية العلمانية، كما ترفض التفاوض مع إسرائيل والمشاركة في مدريد وقد شاركت الحركة في جبهة الفصائل الوطنية والإسلامية "جبهة الفصائل العشرة" الرافضة للاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي.

موقف حركة الجهاد الإسلامي من منظمة التحرير الفلسطينية: لا يوجد في أدبيات حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ما يشير إلى أنها طرحت نفسها بديلاً عن منظمة التحرير الفلسطينية، ولا يوجد في أدبياتها معارضة واضحة لإمكانية اعتبار المنظمة إطاراً

جامعاً لقوى شعبنا السياسية، ولكن الحركة كانت تعتبر أنه من حقها وواجبها طرح أيديولوجيا باعثه مقاتله مقابل فوضى الايدولوجيا وتخريبها ثم انسحابها، ورأت حركة الجهاد أن هذه الايدولوجيا الحية الباعثة هي الإسلام عقيدة الأمة ومحور تاريخها وتراثها، الإسلام الذي استثنته فصائل المنظمة بعمومها، ومنها من حاربه بلا هوادة في مرحلة ما إن لم يكن في كل وقت.

كما اعتبرت حركة الجهاد الإسلامي أن فلسطين كل فلسطين قاسم مشترك يجمع كافة القوى السياسية المناضلة لأجل تحريرها وأكدت على إمكانية التعاون بين هذه القوى بغض النظر عن مسألة الايدولوجيا ورغم هذه المسألة إن أهمية وخطورة وقداسة القضية الفلسطينية في حد ذاتها، وإن وحدة الجامع الحضاري لكافة القوى السياسية الفلسطينية بغض النظر عن تفصيلات واجتهادات أيديولوجية، إن هذا يسمح بل يستدعي ويؤكد على ضرورة لقاء كافة القوى الفلسطينية في مواجهة العدو الصهيوني ولأجل تحرير كامل فلسطين بالجهاد المسلح.

ومن هنا لم ينصب خلاف الجهاد الإسلامي مع المنظمة على كونها إطاراً جامعاً لقوى الشعب الفلسطيني السياسي أم لا، ولكنه انصب على المحتوى والمضمون، فقوة ومصداقية وشرعية منظمة التحرير الفلسطينية كإطار سياسي أو تنظيمي جامع لا يتأتى من عدد سفاراتها أو تواجدها في المحافل الدبلوماسية بل يمكن أن يأتي فقط من تصعيد الكفاح المسلح واستنفار الأمة وتجسيد وحدتها وتعبئة طاقاتها وقواها المجاهدة.

إن وحدة الخط النضالي وصلابته أسبق من وحدة الإطار فما فائدة أن نطلب من جميع القوى السياسية الفلسطينية الالتزام في إطار منظمة التحرير إذا كان برنامج منظمة التحرير يعلن ويكرس التفريط بحق شعبنا في وطنه وبحقه في الجهاد والكفاح المسلح لأجل تحريره.

ومن هنا ترفض حركة الجهاد الإسلامي المساومة على عدد من المقاعد في المجلس الوطني الفلسطيني أو على ضمانات تنظيمية أو إدارية لأن المسألة الأهم والأولى تكمن في صلابة الخط الجهادي وبرنامج النضال.

إن رفض الاعتراف بشرعية العدو الصهيوني على أي شبر في فلسطين واعتبار الكفاح المسلح طريقاً لتحرير فلسطين وعد التنازل عن الميثاق الوطني الذي أكد على حق الشعب الفلسطيني في كامل وطنه وإعادة الاعتبار للإسلام كإطار لصراعنا الحضاري ضد الهجمة الصهيونية هي الشروط التي تراها حركة الجهاد الإسلامي ضرورية للتعاون مع كافة القوى الفلسطينية ضمن إطار جامع كمنظمة التحرير.

ولكننا نود أن نؤكد أن خلافنا الإيديولوجي والسياسي مع أي طرف أو جزء من أجزاء شعبنا الفلسطيني لا يمكن حسمه إلا بالحوار الفكري والسياسي بعيداً عن العنف فالعنف فقط ضد العدو الصهيوني. (١)

الحركة الإسلامية داخل فلسطين ٤٨م: تعود الجذور الأولى للحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة عام ٤٨م إلى أوائل السبعينيات، حيث تضافرت عدة عوامل أدت إلى تصاعد التيار الإسلامي لدى فلسطيني ٤٨م **من أهمها:**

١. الهزيمة العربية في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧م وهو ما أفقد فلسطيني ٤٨ الثقة بالأنظمة السياسية العربية القائمة.

٢. الاتصال المباشر بالفلسطينيين وعلماء الدين في الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل أوجد حوافز منشطة للعودة إلى الدين، وساعد على هذا النشاط الحركات الإسلامية في أرض ٦٧ مثل حركات: الإخوان المسلمين وحزب التحرير الإسلامي والجهاد.

٣. توجه عدد كبير من الشباب العربي إلى الدراسة في الكليات الإسلامية في الضفة، مثل كلية الشريعة في الخليل، المعهد الديني في نابلس الذي تخرج منه الشيخ عبد الله نمر درويش أحد أقطاب الحركة الإسلامية في أوائل عهدها.

٤. الثورة الإسلامية في إيران وتحقيقها لفكرة إقامة الدولة الإسلامية.

٥. تراجع الفكر اليساري في الدول العربية لحساب الاتجاه الإسلامي وتعاظم دور الحركات الإسلامية في العالم العربي.

---

[1] نشرة المجاهد – فتحي الشقاقي، العدد ١٤٦ حزيران ١٩٩٢م.

وقد ظهرت النواة الأساسية للحركة الإسلامية في فلسطين ٤٨ في منطقة المثلث عام ١٩٧١م ثم امتدت بعد ذلك إلى منطقتي الجليل والنقب وكان الشيخ عبد الله نمر درويش من أوائل المبادرين إلى تأسيس الحركة الإسلامية.

أقام عبد الله نمر درويش أول نواة للحركة في مدينة كفر قاسم ثم امتدت إلى القرى والمدن المجاورة إلا أن السلطات الإسرائيلية اعتقلت معظم أعضاء التنظيم في يناير ١٩٨٠م وحكمت عليهم أحكاماً متعددة.

البنية الفكرية للحركة:

نشأت الحركة الإسلامية وتبنت فكراً مشابها بل ومنبثقاً من فكر الإخوان المسلمين فاهتمت بإنشاء البنية التحتية المتمثلة في المعاهد الدينية والمؤسسات والنوادي والعيادات الطبية هذه المنشآت أصبحت مراكز دعوة إلى الدين وغرس تعاليمه في نفوس الشبيبة العربية منذ نعومة أظافرهم، فنشأ جيل من الشباب الملتزم تجاه الحركة الإسلامية الذي يرى أن حل القضية يرتبط بمبدأ الحركة: الإسلام هو الحل.

وتؤمن الحركة الإسلامية لفلسطينيي ٤٨م بأن الإسلام هو الحل لمشكلات الجماعات البشرية والأفراد وهي تؤمن بأفضلية الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية عن طريق حكومة إسلامية على أرض فلسطين ينعم تحت حكمها المرتكز على شريعة الله اليهود والنصارى والمسلمين ولأن هذا الحل يبدو غير واقعي ويدرك قادة الحركة الإسلامية ذلك جيداً لهذا فهم لا يمانعون حلاً وسطاً مع منظمة التحرير الفلسطينية يجرى من خلاله تحرير أي بقعة من فلسطين وإقامة السيادة عليها.

وقد انقسمت الحركة الإسلامية إلى ثلاثة تيارات قوية مرتبطة **بثلاث شخصيات:**

التيار الأول: عبد الله نمر درويش وهو تيار برجماتي يعايش الواقع ويمتنع عن الاحتكاك بالسلطات ويميل إلى الاندماج بالواقع الإسرائيلي لهذا لا يمانع بدخول الانتخابات ويدعم عملية السلام واتفاق أوسلو وهو ذو علاقة قوية بالسلطة الوطنية الفلسطينية.

التيار الثاني: ويقوده الشيخ رائد صلاح وهو يقيم علاقات قوية بالحركات الإسلامية في الضفة والقطاع وكان موقفة من الانتخابات العامة وسطاً بين رفض المشاركة فيها كحركة مع السماح لأنصار الحركة بالتصويت فيها لبناء قوة تصويت عربية.

التيار الثالث: يقوده كمال الخطيب وهو ذو مواقف علنية متشددة ضد المشاركة في الانتخابات الإسرائيلية وقد أنضم التياران الثاني والثالث في حركة واحده أطلق عليها الحركة الإسلامية الفرع الشمالي، أما التيار الأول فأصبح يحمل أسم الحركة الإسلامية الفرع الجنوبي.

لقد تحولت السياسة الإسرائيلية تجاه فلسطينيي ٤٨ بشكل عام والحركة الإسلامية بشكل خاص من التكيف والملائمة وكذا الموازنة بين سياسة التمييز تارة والدمج تارة أخرى، إلى الكبح والمواجهة وبشكل متسارع ويعود ذلك إلى أسباب أعمق من الاتهامات والإشاعات المروجة، منها: اعتبار الفلسطينيين قنبلة ديمغرافية تتنامى بشكل مطرد وستؤدي خلال العشرين عاماً القادمة إلى تساوي ما بين العرب والإسرائيليين مما يعنى أن وجود إسرائيل كدولة يهودية سيكون مشكوكاً فيه.

إن إسرائيل لا يمكن أن تنتصر في هذا الصراع نظراً لكون الحركة تجاوزت الطابع النخبوي إلى التفاعل الجماهيري كما أن الاعتقالات التي جرت من خلال الاستعراض البوليسي والإعلامي كان واضحاً منها أنها تحذير ورسالة لكل فلسطينيي ٤٨ وتذكيرهم أن هناك عصاً إسرائيلية غليظة لمن يتجاوز الخطوط الحمراء ويحرض أو يفكر في تهديد أو يساعد مهددي الأمن الفلسطيني.

المبحث الثالث

موقف الدول الإسلامية من القضية الفلسطينية

تتابعت أحداث القضية الفلسطينية حتى احتلت إسرائيل باقي أرض فلسطين التاريخية قطاع غزة والضفة الغربية وبذلك تكون قد أحكمت حلقات السيطرة الكاملة على فلسطين، يضاف إلى ذلك أجزاء من الأراضي المصرية والأراضي السورية وجزء من أراضي لبنان.

ثم استمر العدوان الإسرائيلي على الأراضي الفلسطينية وخصوصاً المقدسات فيها، إلى أن تم حريق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩م هنا تحركت الدول الإسلامية رسمياً ودعت إلى مدارسة الوضع العام للقدس وفلسطين فأجتمع الملوك والرؤساء في الرباط وأسفر هذا الاجتماع عن تأسيس وإنشاء المنظمة.

بلغت عدد الدول المنظمة لمنظمة المؤتمر الإسلامي حتى تاريخ كتابة هذا البحث (أغسطس ٢٠٠٦م) ٥٧ دولة عقدت هذه الدول عدة مؤتمرات بلغت عشرة مؤتمرات.

تاريخ ومكان انعقاد هذه المؤتمرات:

المؤتمر الأول: المملكة المغربية – الرباط سبتمبر ١٩٦٩م.

المؤتمر الثاني: الباكستان – لاهور فبراير ١٩٧٤م.

المؤتمر الثالث: المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة يناير ١٩٨١م.

المؤتمر الرابع: المملكة المغربية – الدار البيضاء يناير ١٩٨٤م.

المؤتمر الخامس: الكويت – الكويت يناير ١٩٨٧م.

المؤتمر السادس: السنغال – داكار ديسمبر ١٩٩١م.

المؤتمر السابع: المملكة المغربية – الدار البيضاء ديسمبر ١٩٩٤م.

المؤتمر الثامن: الجمهورية الإسلامية الإيرانية – طهران ديسمبر ١٩٩٧م.

المؤتمر التاسع: دولة قطر – الدوحة نوفمبر ٢٠٠٠م.

المؤتمر العاشر: ماليزيا – مارس ٢٠٠٣م.

وبلغت مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الإسلامية ثلاثين مؤتمراً أولها كان في المملكة العربية السعودية – جدة ١٩٧٠م آخرها كان في طهران – الجمهورية الإسلامية وكان في مايو ٢٠٠٣م وبلغت الدورات غير العادية لوزراء الخارجية اثنا عشر مؤتمراً أولها في إسلام أباد – الباكستان وآخرها انعقد في مقر الأمم المتحدة– نيويورك سبتمبر ٢٠٠٢م.

وخرجت مقررات هذه المؤتمرات جميعها من أولها إلى آخرها حول إطار معين لم تخرج عنه:

١. ضرورة العمل على ....
٢. أكد المؤتمر على ....
٣. دعا المؤتمر إلى ....
٤. استنكر المؤتمر ....
٥. حث المؤتمر ....
٦. طالب المؤتمر ....
٧. أشاد المؤتمر ....
٨. أدان المؤتمر ....

وهكذا جاءت مقررات مؤتمرات القمة كلها مواد مكتوبة على ورق دون فاعلية ودون تأثير على أرض الواقع، لأننا نشاهد أن القضية الفلسطينية في تراجع مضطرِد منذ بدأت الدول العربية من ناحية والدول الإسلامية تتبني إدارة الصراع.

البيان الختامي لمؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامي الاستثنائي المنعقد في الدوحة ٥ مارس ٢٠٠٣م عقد ملوك ورؤساء وأمراء الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي اجتماعاً... " **انظر الملحق رقم ١** "

المبحث الرابع

القوى الوطنية العلمانية الفلسطينية

أدت الهزيمة العربية في فلسطين وقيام إسرائيل عام ١٩٤٨م إلى تشتيت المجتمع الفلسطيني، وإحداث حالة من البؤس والضياع لأبنائه والى عزل العامل الفلسطيني عن قيادة الصراع ضد الوجود الإسرائيلي وتولي النظم العربية بديلاً عن الفلسطينيين قيادة هذا الصراع من أجل تحرير فلسطين دون أن يكون لتلك النظم استراتيجية شاملة، جماعية أو فردية واضحة التحرير، وقد تأكد للفلسطينيين عقب عدوان السويس ١٩٥٦م وانسحاب الجيش المصري من غزة أنهم سيُتركون باستمرار عزلاً من السلاح في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.

وقد بدأ هذا التيار المنادي بالفلسطينية طليعةً للمواجهة يتفاعل على الساحات العربية التي لجأ إليها الفلسطينيون معبراً عن ذاته في حركات سياسية فلسطينية.

وعقب هزيمة حزيران ١٩٦٧م دار جدال في إطار منظمة التحرير الفلسطينية وفي إطار المنظمات الفدائية حول أسلوب قيادة أحمد الشقيري للمنظمة وارتباطها بالنظم العربية، وقد اضطر الشقيري للتخلي عن رئاسة المنظمة وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور منظمة التحرير الفلسطينية بدخول المنظمات الفدائية إليها.

بهذه الخطوة بدأ فكر المنظمات الفدائية وأسلوبها في إدارة الصراع يسيطر على منظمة التحرير ومؤسساتها، أما السيطرة الحقيقية للمنظمات الفدائية على المنظمة فقد تكرست في الاجتماع الخامس للمجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في شباط ١٩٦٩م والذي حضرته المنظمات الفلسطينية كافة وثم انتخاب ياسر عرفات الناطق الرسمي باسم فتح رئيساً للجنة التنفيذية.

ورغم انضواء المنظمات الفلسطينية القائمة كافة تحت لواء المنظمة إلا أنها بقيت تنظيمات لها استقلاليتها، أي أنها مثلت بشكل جمعوي دون أن تذوب في الإطار الفلسطيني العام.

من خلال الصفحات التالية سنقوم بدراسة هذه المنظمات الفلسطينية الفدائية مع التركيز على البُعد الأيديولوجي لكل منها:

أولاً: حركة التحرير الوطني الفلسطيني – فتح:

١. **النشأة:** تُعد حركة فتح أول حركة فدائية فلسطينية منظمة تظهر وتستمر عقب هزيمة عام ١٩٤٨م وقد ظهرت على المسرح السياسي في أواخر الخمسينات وضمت في خليتها الأولى عدداً من طلاب الجامعات في مصر وقد جمعتهم المعاناة والشعور الوطني الواحد الساعي للتحرير بالاعتماد على النفس والعمل المستقل وقد بدأ النشاط السياسي لهؤلاء الطلبة بالعمل في إطار اتحاد طلبة فلسطين في القاهرة في بداية الخمسينيات وبعد انتهاء الدراسة والتخرج تفرقوا في البلاد العربية للعمل، وفي شهر أكتوبر عام ١٩٥٩م اجتمع عدة أشخاص سراً في الكويت حيث جرى التأسيس الأول لفتح وصدور البلاغ العسكري الأول لفتح في بداية عام ١٩٦٥م حاملاً أسم العاصفة الجناح العسكري ومعلناً انطلاق الثورة الفلسطينية المسلحة.

٢. **موقف فتح من منظمة التحرير ومن النظم العربية:** وجدت فتح في قيام منظمة التحرير بقرار عربي قفزاً على تصاعد الحركة الشعبية الفلسطينية، لهذا تم الاتصال بين فتح ورئيس المنظمة أحمد الشقيري لتحقيق تعاون ورغم الاتفاق بين الطرفين إلا أن الشقيري لم يتمكن من الوفاء ببنود الاتفاق لأسباب عربية مما اضطر فتح أن تبدأ نضالها المسلح كي لا يتم إجهاض الحركة الشعبية الفلسطينية من خلال الشرعية العربية المسيطرة على منظمة التحرير.

أما فيما يتعلق بالموقف من النظم العربية فقد رأت فتح أن فلسطين باعتبارها القضية المركزية العربية هي فوق الخلافات العربية وعليه فإن فتح لا تتدخل في الشؤون المحلية للدول العربية ولا تسمح لها في الوقت نفسه بالتدخل في شؤونها مع التأكيد على حرية العمل الفدائي وأن المطلوب من النظم العربية أن تكون قادرة على حماية حدودها وأن تسمح وتدعم انطلاق العمليات العسكرية داخل الأراضي المحتلة.

٣. **المنطلقات الإيديولوجية لحركة فتح:** تتسم برامج فتح وأفكارها السياسية بعدم الاهتمام بالتفاصيل وهي تميل إلى التركيز على الممارسات فالممارسة العملية لأية حركة هي الأهم وليس العمل والتنظيم الإيديولوجي، لهذا بقيت فتح تنظيماً لا فكر له أو عقيدة سياسية محددة سوى الإطار العلماني العام الذي ينظم التفكير الفتحاوي مما دفعها باتجاه الواقعية التنازلية زمنياً.

أما عن الكفاح المسلح: اعتبرت فتح أن المبرر لوجودها يكمن في الكفاح المسلح باعتباره الأسلوب الوحيد لتحرير فلسطين واعتبرت فتح أن حرب التحرير الشعبية التي يخوضها الفلسطينيون عامل تحريض للنظم العربية للاقتداء بالفلسطينيين من أجل تحرير فلسطين، اعتنقت الحركة الثورية والعنف الثوري إطاراً عاماً لبرنامجها كما اعتبرت فتح الكفاح المسلح الحل الوحيد لتحقيق الوحدة العربية.

كذلك ركزت فتح على الهوية الفلسطينية والكيانية الفلسطينية واستقلال القرار الفلسطيني، مؤكدة أن الهوية ليست تكريساً للإقليمية المسيطرة على الوطن العربي وأن استقلال القرار الفلسطيني يعني ألا يكون هذا القرار بيد قطر عربي مهما كانت درجة قوميته وهي لا تعني الانفصال عن جسد الأمة.

٤. **بنية فتح:** أخذت البنية التنظيمية لحركة فتح شكل البنية التنظيمية للأحزاب الأحادية في الدول الاشتراكية وجاءت على النحو التالي:

- المؤتمر العام: وهو السلطة العليا.
- اللجنة المركزية: وهي القيادة المركزية للحركة في غياب المؤتمر العام.
- المجلس الثوري: ويتمتع في حال انعقاده بسلطة أعلى من سلطة اللجنة المركزية ويتشكل من مسئولي الأجهزة والأقاليم والقوات وقادتها.

٥. **قوة فتح:** برزت بحلول عام ١٩٦٧م بوصفها أقوى المنظمات الفدائية الفلسطينية واكسبتها معركة الكرامة ومواجهتها للقوات الإسرائيلية قوة دفع كبيرة أدت إلى نموها بشكل سريع وحظيت بتأييد واسع على النطاق الفلسطيني والعربي واستطاعت أن تشكل قوة عسكرية كبيرة مثلت على الأقل ٨٠% من القوة الإجمالية لحركة المقاومة كما

استطاعت أن تسيطر على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى القرار السياسي الفلسطيني، لكن قوة فتح وأسلوب قيادتها مكناها من إدارة المنظمة واستمالة العديد من قادة المنظمات الأخرى.

ومما يجدر ذكره أن الدول العربية عمدت بعد عام ١٩٦٧م إلى دعم المنظمات الفدائية وعلى الأخص حركة فتح في محاولة منها لتنفيس غضب وسخط الجماهير العربية جراء هزيمة العرب.

وعلى أثر التراجع في الموقف العربي والدولي تجاه القضية وفي ظل المبادرة الأمريكية لعقد مؤتمر للسلام في الشرق الأوسط بعد حرب الخليج الثانية وخروج العراق منها مثخناً بالجراح وبدء القطيعة بين منظمة التحرير والدول الخليجية استجابت قيادة فتح للضغوط الدولية والعربية للمشاركة في مؤتمر مدريد لشروط غير فلسطينية ولما تعثرت المفاوضات الثنائية مع إسرائيل قامت قيادة فتح بالتفاوض سراً مع إسرائيل حيث توصلت إلى اتفاق أوسلو على قاعدة الاعتراف المتبادل وإنشاء الحكم الذاتي الفلسطيني في الضفة وغزة وذلك في ١٩٩٣/٩/٣١م وتحولت فتح بعد قيام السلطة في يوليو ١٩٩٤م إلى حزب السلطة وتبنت برنامج للدفاع عنها في مواجهة القوى الفلسطينية المعارضة.

ثانياً: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: إن التنظيمات الفلسطينية اليسارية كافة والجبهتين الشعبية والديمقراطية بشكل خاص أبدتا اهتماماً كبيراً بالفكر السياسي والتصورات النظرية التزاماً بمقولة " لا ثورة دون نظرية ثورية " ومن هنا فقد ربطت الجبهة الشعبية وغيرها من المنظمات اليسارية وبخاصة الجبهة الديمقراطية بنيتها التنظيمية ومواقفها النظرية بهذه النظرية التي ترى أنها تتمثل في الاشتراكية العلمية وقد عملت الجبهة على الربط بين المضمون القومي الطبقي للصراع، فالصراع ليس مع إسرائيل فقط بل مع الاستعمار والرجعية، أي أنه صراع قومي بمضمون طبقي إذ ترى الجبهة أن أزمة حركة التحرر الوطني الفلسطيني العربي هي أزمة الطبقة البرجوازية الصغيرة التي احتلت مواقع القيادة في

حركة التحرير العربي عقب الحرب العالمية الثانية ولذلك احتلت الجبهة مسار حركة التحرير الوطني العربية.

وترى الجبهة أن إسرائيل هي رأس جسر وقاعدة للاستعمار القديم والحديث في المنطقة العربية وأن هناك ارتباطاً عضوياً بين إسرائيل والامبريالية، فإسرائيل وليدة المشروع الامبريالي وقد تم زرعها للوقوف في وجه حركة التحرير العربي التي يشكل انتصارها تهديداً للمصالح الامبريالية في المنطقة وليست وليدة لقضية إنسانية تتعلق باضطهاد اليهود على هذا الأساس فالمعركة يجب أن توجه ضد إسرائيل والمعسكر الامبريالي الذي تستند إليه.

البنية التنظيمية: أوضح النظام الداخلي للجبهة البنية التنظيمية وأهم أركانها:

١. المؤتمر الوطني.
٢. اللجنة المركزية.
٣. المكتب السياسي.

واعتمد المبادئ الأساسية للتنظيم بالمركزية الديمقراطية والقيادة الجماعية وجماهيرية الحزب والثورة.

موقف الجبهة من منظمة التحرير وحركات المقاومة: انطلاقاً من الموقف الأيديولوجي للجبهة فهي ترى أن حركة فتح تمثل مجموعة من الفلسطينيين البرجوازيين الذين يرتبطون بجماعة الإخوان المسلمين وبالدول الرجعية العربية ومن هنا شكلت الجبهة تحدياً حقيقياً لسيطرة فتح على منظمة التحرير الفلسطينية وقد تفجرت العلاقات بين الجبهة والمنظمة حينما سارت فتح في طريق الحلول السلمية أدى إلى تعليق عضويتها في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.

الانشقاق في صفوف الجبهة: عانت الجبهة من عدد من الانشقاقات بسبب طبيعة تكوينها الجبهوي الذي ضم عدداً من المنظمات الفلسطينية وقد جاء الانشقاق الأول تعبيراً عن رفض الالتزام الأيديولوجي والتحول نحو الماركسية اللينينية حيث انسحب أحمد جبريل ومجموعته من الجبهة عام ١٩٦٨م وشكل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة كما انسحب أحمد زعرور ومجموعته من الجبهة وشكل لاحقاً منظمة فلسطين العربية أما

الانشقاق الأكثر خطورة في الجبهة فقد وقع لأسباب أيديولوجية حيث اتهم الفريق المنشق قيادة الجبهة بالانتماء إلى البرجوازية الصغيرة وتصوراتها وقاد الانشقاق نايف حواتمه الذي شكل ١٩٦٩م الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين.

أثناء حرب لبنان تحسنت العلاقة مع فتح ومنظمة التحرير، إلا أن مسيرة الحلول السلمية وما تلاه جعل الجبهة تقف معارضة لفتح وسياساتها في التسوية وأصبحت الجبهة عضواً في جبهة الفصائل المعارضة لاتفاقات أوسلو والتي تتزعمها حماس.

تأثرت الجبهة في بنائها الداخلي سلبياً بإقامة السلطة في غزة والضفة لدرجة التهديد بالانشقاق غير أن اقتراب الجبهة من السلطة أنقذها من انشقاق وتصفيات كانت محتمة.

موقف الجبهة من العمليات الخارجية: اشتهرت الجبهة الشعبية بنوع من العمليات العسكرية يسمى العمليات الخارجية التي تمتد لتشمل جبهات خارج فلسطين مثل عملية خطف الطائرات الإسرائيلية والغربية في نهاية الستينات وبداية السبعينات إضافة إلى ممارستها لبعض العمليات المسلحة ضد إسرائيل في الأراضي المحتلة وجاء تبرير هذه العمليات لتجاهل العالم للقضية الفلسطينية إضافة إلى عدم قدرة الفلسطينيين على القيام بحرب التحرير الشعبية ومن ثم فهذه العمليات تجعل القضية الفلسطينية حية أمام الرأي العام العالمي.

غير أن الجبهة بدأت تتراجع عن أسلوب العمليات الخارجية بسبب انعكاساته السلبية الكثيرة على الحركة الوطنية الفلسطينية وعلى صورة الثورة الفلسطينية في أعين العالم.

ثالثاً: الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: نشأة الجبهة الديمقراطية نتيجة الصراع الذي دار في صفوف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذي يرجع جذوره إلى الصراع داخل حركة القوميين العرب بين الجناح اليميني الذي يتزعمه الجيل المؤسس للحركة والجناح اليساري الذي يمثل جيل الشباب ويتزعمه نايف حواتمه حيث أصر جيل الشباب على الانتقال بالحركة إلى الالتزام بالأطروحات الماركسية.

انضمت الجبهة الديمقراطية عملياً إلى منظمة التحرير الفلسطينية عقب تأسيسها عام ١٩٦٩م، وهي تتشابه في أطروحاتها النظرية مع أطروحات الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وهي تسعى إلى تشكيل حزب بروليتاري ثوري، ثم استقرت سياستها منذ العام ١٩٧١م على بناء منظمة ديمقراطية ثورية تسترشد بالماركسية اللينينية والأممية والبلوريتارية.

ترى الجبهة الديمقراطية أن النظم التقدمية العربية لم تنجح في بلوغ الأهداف القومية والاجتماعية لذلك فهي تقف في صف واحد مع النظم الرجعية العربية ولا بد من محاربتها عن طريق إقامة روابط مع الحركات الثورية المحلية لإسقاط تلك النظم. وهي تقف في مواقفها مؤيدة لمواقف فتح كما أيدت المقررات الخاصة بإقامة السلطة الوطنية.

رابعاً: الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين "القيادة العامة": وهي تعود في أصولها إلى جبهة التحرير الفلسطينية التي أنشأها أحمد جبريل ١٩٦٩م دعت إلى تسليم الفلسطينيين زمام قضيتهم وعدم خضوعهم لأي نظام عربي.

قامت بتكوين عدد من الكوادر العسكرية والقيام بشن حرب عصابات ضد إسرائيل، وهي ترى أن نضالها هو نضال وطني ديمقراطي يهدف إلى إزالة الكيان الصهيوني الامبريالي بكل مؤسساته المادية والفكرية بوصفه كياناً عنصرياً عدوانياً وعودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه وتحرير كامل ترابه الوطني وإنشاء الدولة الديمقراطية التي يتعايش فيها الجميع بحق المواطنة بغض النظر عن معتقداتهم الدينية وأن الدولة الفلسطينية هي جزء من الوجود الديمقراطي التقدمي العربي المتعايش بسلام مع قوى التقدم والتحرير في العالم.

هذه هي أهم التنظيمات العلمانية الوطنية التي ظهرت على الساحة الفلسطينية والعربية فيما بعد قيام دولة إسرائيل، منها من انطلق من منطلقات عربية وإقليمية كاملة ومنها ما أمليت عليه املاءات قومية أو أممية. منها من تلاشي فلم يبق منه إلا الاسم والذكرى، ومنها من لا يزال يصارع للبقاء ولو على حساب الثوابت.

المبحث الخامس

مشاريع التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي

خلال مسيرة الصراع العربي الإسرائيلي مرت القضية بمجموعة من مشاريع التسوية، منها ما كان محلياً ومنها ما كان عربياً ومنها ما كان إقليمياً ومنها ما كان دولياً ومنها ما كان أممياً فقد طرحت عدة مشاريع سلام دولية وإسرائيلية وعربية منذ صدور قرار التقسيم وحتى حرب حزيران ١٩٦٧م غير أن هذه المشاريع لم تنجح في جمع الدول العربية وإسرائيل على طاولة المفاوضات المباشرة ولا حتى المفاوضات غير المباشرة باستثناء مفاوضات الهدنة في عام ١٩٤٩م، رفضت الدول العربية معظم هذه المشاريع لأنها كانت تنطلق من الواقع الذي خلفته المسلكية الإسرائيلية السياسية والعسكرية، وقد ركزت في معظمها على قضية اللاجئين ورسم الحدود بين الدول العربية وإسرائيل أكثر من تركيزها على تفاصيل تحقيق السلام بين الأطراف المتنازعة وإعادة الحقوق العربية المغتصبة، فيما أصرت إسرائيل خلال هذه الفترة على إجراء مفاوضات مباشرة وثنائية مع الدول العربية من أجل التفاوض على القضايا المتنازع عليها غير أن الدول العربية كانت ترفض ذلك وتصر على أن تكون المفاوضات عن طريق وسيط دولي حتى لا تكون مدخلاً للاعتراف بالاغتصاب الإسرائيلي للحقوق العربية، ومما يجدر ذكره أن المشاريع الدولية والإسرائيلية لم تتناول مسألة إشراك الشعب الفلسطيني في أي تسوية، مما أضعف من إمكانية اتخاذ هذه المشاريع مدخلاً لحل الصراع في المنطقة بشكل شامل.

وهذه نظرة سريعة لمشاريع التسوية:

١. **المشروع النرويجي:** تقدم المندوب النرويجي بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة ١٩٥٢/١١م من أجل تسوية للخلافات العربية الإسرائيلية أهم بنوده ...

- مناشدة الطرفين العربي والإسرائيلي الامتناع عن القيام بأية أعمال عدوانية.

- التأكيد على أن المسئولية الرئيسية في الوصول إلى تسوية الخلافات تقع على عاتق الحكومات المعنية.
- حث تلك الحكومات على الدخول في المفاوضات المباشرة.
- دعوة لجنة التوفيق لتقديم خدماتها من أجل تحقيق التسوية.

٢. **مشروع جاما الأمريكي:** طرح هذا المشروع في ٩ / ١٩٥٥م وينص على أن يقوم الرئيس الأمريكي روزفلت بسلسلة محادثات مع الرئيس عبد الناصر للوساطة بينه وبين بن غوريون من أجل تضييق شق الخلاف بينهما.

٣. **مشروع جونستون:** عام ١٩٥٥م طرح المبعوث الأمريكي الخاص آريك جونستون مشروعاً يعالج من خلاله قضية اللاجئين وإيجاد حل لقضية فلسطين عن طريق تعاون الدول العربية وينفذ هذا المشروع على خمس مراحل تستغرق كل مرحلة سنتين أو ثلاث.

٤. **مشروع إسرائيلي ١٩٥٦م أهم بنوده:**

- تعديل خطوط الهدنة.
- رفض التفاوض على أساس قرار التقسيم لعام ١٩٤٧م.
- منح الدول العربية حقوق الترانزيت عبر إسرائيل مقابل منح إسرائيل حقوق داخل الدول العربية.
- الدعوة لجمع المال لتعويض اللاجئين الفلسطينيين.

٥. **مشروع تونس ١٩٦٥م:** أعلن الحبيب بورقيبة مشروعه لتسوية النزاع العربي – الإسرائيلي على أساس قرار التقسيم وكان **أهم بنوده :**

- إعادة إسرائيل الأراضي التي استولت عليها بعد قرار التقسيم.
- عودة اللاجئين.
- إقامة دولة عربية فلسطينية.
- إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل.

مشاريع السلام بعد حرب ١٩٦٧م: قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢.

كان هذا القرار من أهم مشاريع السلام التي طرحت بعد حرب ١٩٦٧ والذي كان وما يزال القاعدة الأساسية لجميع مشاريع ومفاوضات السلام في الشرق الأوسط.

أهم بنود هذا القرار:

- انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها.
- إنهاء جميع ادعاءات الحرب أو حالاته واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة.
- ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية.
- تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.
- ضمان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة.

١. **مشروع إسرائيلي أيلول ١٩٦٨م:** حدد أبا إيبان مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة النقاط التي تقبل بها إسرائيل للسلام مع العرب:

- استبدال حدود وقف إطلاق النار عام ٦٧ بحدود آمنه ومعترف بها بين إسرائيل وكل دولة عربية من جيرانها.
- حرية التحرك على الحدود وخصوصاً الإسرائيلية الأردنية.
- ضمان حرية الملاحة بشكل متساوٍ في الحقوق والواجبات.
- دمج اللاجئين الفلسطينيين في المجتمعات التي يقيمون فيها.
- إعطاء القدس طابع دولي.
- حفظ حق الحياة القومية وسيادتها وسلامتها لإسرائيل والحكومات العربية.

٢. **مشروع روجرز ١٩٧٠م:** طرح وزير الخارجية الأمريكي وليم روجرز مشروعه لتسوية الصراع على محورين: "مصري – إسرائيلي" و"أردني – إسرائيلي" وكان أهم ما ورد من **بنود المشروع:**

أولاً. المصري _ الإسرائيلي:

- انسحاب إسرائيل إلى الحدود الدولية.
- اتفاق الطرفين على ضمانات الأمن المتعلقة بمنطقة شرم الشيخ.
- إيجاد مناطق منزوعة السلاح.
- ترتيبات نهائية لقطاع غزة.

ثانياً. تسوية أردنية _ إسرائيلية:

- يحدد الطرفان إجراءات انسحاب للقوات الإسرائيلية من الضفة الغربية.
- يتفق الطرفان على حدود آمنة ومعترف بها بينهما.
- الاتفاق على مناطق منزوعة السلاح وترتيبات أمن عملية.

٣. **مشاريع عربية: أهمها:**

- مشروع الملك حسين ابريل ١٩٦٩م.
- مشروع الملك حسين يناير ١٩٧١م.
- فكرة الرئيس أنور السادات يناير ١٩٧١م.

تمحورت هذه المشاريع وغيرها حول إنهاء حالة العداء وانسحاب القوات الإسرائيلية إلى حدود ١٩٦٧م وتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين مع الاعتراف بإسرائيل وإعطائها حقوق الملاحة في الممرات المائية وهي نقاط تتطابق مع قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢.

كانت نهاية هذه المشاريع جميعها الفشل إما من قبل إسرائيل أو من قبل الفلسطينيين أو من قبل الدول العربية.

٤. **قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٣٣٨:** على أثر حرب عام ١٩٧٣م صدر قرار مجلس الأمن الدولي ونص على:

١. يدعو جميع الأطراف إلى وقف النار بصورة كاملة وإنهاء جميع الأعمال العسكرية.

٢. البدء بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه.

٣. تبدأ فور انتهاء إطلاق النار مفاوضات الأطراف المعنية بهدف إقامة سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

٥. **مشروع كارتر للسلام:** بعد انتهاء حرب (أكتوبر)، عام ١٩٧٣م دعا الرئيس الأمريكي في مشروعه الصادر ١٩٧٧/٣/١٨م إلى:

١. الاعتراف بإسرائيل وحقها في الوجود.

٢. إقامة حدود دائمة لإسرائيل.

٣. إنهاء حالة الحرب بين الدول العربية وإسرائيل.

٤. إقامة مناطق منزوعة السلاح.

٦. **المشروع الأمريكي- السوفيتي:** طرح هذا المشروع في أكتوبر من عام ١٩٧٧م، وتضمن هذا المشروع النقاط الآتية :

١. ضرورة التوصل إلى تسوية عادلة ودائمة وشاملة للصراع.

٢. حل جميع المشاكل الخاصة بالشرق الأوسط.

٣. انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضي عربية محتلة.

٤. إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل.

٥. إنشاء علاقات عربية إسرائيلية طبيعية.

٦. ضمان آمن للحدود بين إسرائيل والدول العربية.

٧. البدء في مفاوضات في إطار مؤتمر جنيف للسلام.

٧. **اتفاقيات كامب ديفيد ١٩٧٨م-١٩٧٩م:** بعد زيارة السادات للقدس المحتلة ١٩٧٧/١١/٩م بدأت لأول مرة مفاوضات عربية مباشرة مع إسرائيل تمخض عنها التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد في ١٩٧٨/٩/١٧م على إثر المبادرة الأمريكية برعاية الرئيس جيمي كارتر وتوقيع المعاهدة المصرية-الإسرائيلية في ١٩٧٩/٣/٢٦م حيث استرجعت مصر بموجبها الأراضي المصرية التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧م.

٨. **مشروع قمة فاس١٩٨٢م:** طرح الأمير فهد بن عبد العزيز ولي عهد السعودية في حينها مشروع سلام أطلق عليه مشروع قمة فاس **وقد تضمن:**

انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس.

١. إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية.
٢. ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.
٣. حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وتعويض من لا يرغب في العودة.
٤. إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفترة انتقالية تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة أشهر.
٥. قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.
٦. وضع ضمانات سلام بين جميع دول المنطقة بما فيها دولة فلسطين.
٧. يتولى مجلس الأمن تنفيذ هذه المبادئ.

٩. **مشروع بريجنيف للسلام ١٩٨٢/٩:** في خطاب لرئيس مجلس السوفيات الأعلى أمام الرئيس اليمني على ناصر محمد ١٩٨٢/٩/١٥م أعلن الرئيس السوفيتي المبادئ الستة للسلام الراسخ في الشرق الأوسط:

١. تطبيق مبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضي الغير عن طريق العدوان.
٢. تأمين الحق الثابت للشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة.
٣. إعادة الجزء الشرقي من القدس للعرب.
٤. تأمين حق جميع الدول في المنطقة في الوجود والتطور.
٥. إنهاء حالة الحرب وإحلال السلم بين الدول العربية وإسرائيل.
٦. إعداد ضمانات دولية لتسوية يقرها مجلس الأمن.

١٠. مبادرة السلام الفلسطينية ١٩٨٨م: في الذكرى الثانية للانتفاضة انعقد المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر في الجزائر أطلق مبادرته للسلام والتي **تنص على:**

١. ضرورة انعقاد المؤتمر الدولي الخاص بقضية الشرق الأوسط وجوهرها القضية الفلسطينية.

٢. انسحاب إسرائيل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية بما فيها القدس.

٣. إلغاء جميع قرارات الإلحاق والضم وإزالة المستعمرات.

٤. حل قضية اللاجئين وفق قرارات الأمم المتحدة.

٥. السعي لوضع الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس تحت إشراف الأمم المتحدة لفترة محدودة.

١١. مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١م: كان مؤتمر مدريد هو آخر الصيغ التي خرجت لحل الصراع العربي- الإسرائيلي وذلك بمبادرة الرئيس الأمريكي جورج بوش في ٦ مارس ١٩٩١م وقد استجابت جميع الأطراف للمشاركة في هذا المشروع وكان نتيجة هذا المؤتمر أن انبثق عنه مساران للتفاوض:

١. ثنائي.

٢. متعدد الأطراف.

حيث جرت في هذا المؤتمر مفاوضات مباشرة بين كل الأطراف العربية المعنية بالصراع وإسرائيل.

المفاوضات الثنائية: من خلال المفاوضات الثنائية (نوفمبر ٩١م – أكتوبر ٩٤م) تم التوصل إلى اتفاقين رئيسيين بين كل من إسرائيل والفلسطينيين والأردنيين عرف باسم اتفاق أوسلو في ١٣/٩/١٩٩٣م ومعاهدة وادي عربة ٢٦/١٠/١٩٩٤م.

أسباب انطلاق عملية السلام وعواملها:

١. التراجع الاستراتيجي العربي.

٢. حرب الخليج الثانية.

٣. الظروف الدولية.

٤. الضغوط الأميركية.

٥. التوجه نحو توفير الاستقرار في المنطقة.

١٢. **مشروع المبادرة العربية للإصلاح:** اجتمع ملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية في بيروت في مارس ٢٠٠٢م وخلال المؤتمر أطلق مندوب المملكة العربية السعودية مشروعه للسلام في الشرق الأوسط وكانت **بنوده هي:**

١. الانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة.

٢. التوصل إلى حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين يتفق عليه وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤.

٣. قبول قيام دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ حزيران ١٩٦٧م وتكون عاصمتها القدس.

٤. اعتبار النزاع العربي الإسرائيلي منتهياً والدخول في اتفاقية سلام بينها وبين إسرائيل.

٥. إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل في إطار هذا السلام الشامل.

٦. يدعو المجلس حكومة إسرائيل والإسرائيليين جميعاً إلى قبول هذه المبادرة.

وكان رد رئيس الوزراء الإسرائيلي في حينها أن هذه المبادرة لا تساوي الحبر الذي كتبت به، ثم قام باجتياح الضفة الغربية وحصار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وارتكاب مجازر كبيرة أخطرها مجزرة جنين.

مستقبل عملية السلام في الشرق الأوسط: هدفت عملية السلام منذ انطلاقتها إلى محاولة نزع فتيل التوتر في المنطقة ومحاولة تثبيت ركائز ودعائم جديدة تنشئ قدراً من الاستقرار غير أن القواعد والأسس التي قامت عليها تحمل في طياتها بذور التفجير للصراع وتشيع عدم الاستقرار على الصعيد الداخلي للأقطار المعنية.

وبالطبع فإن تفاعل عوامل التفجير والاستقرار سوف ينعكس على العملية السلمية ونتائجها ومستقبلها.

إن أبرز ما يمكن أن يتسبب في تفجير العملية وإعادة المنطقة إلى الحرب على الصعيد المباشر أو على صعيد الاستنزاف يكمن في عدم توفير حل عادل وشامل لقضية الشعب الفلسطيني القائمة على العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وبقاء قضية اللاجئين والنازحين الفلسطينيين عامل توتر في المنطقة يهدد الاستقرار فيها باستمرار.

كما يشار هنا إلى التباين والتناقض الكامل بين الفلسفة الصهيونية التي تقوم على التوسع والسيطرة والعدوان واغتصاب حقوق الآخرين واحتقارهم من جهة وبين الفلسفة والبرنامج الفلسطيني الذي يسعى إلى الاستقلال والتحرير والسيادة على أرضه من جهة ثانية، حيث أن هذا التباين في فلسفة المجتمعين سوف تُبقي عامل التوتر والصراع محتدم لم تتمكن الاتفاقيات الموقعة من وضع بذور إنهائه حتى الآن.

إن الاعتماد على حسن نوايا مجتمع يُربي أبناءه على العدوان والتوسع ويتصاعد فيه التطرف بأعتى صوره داخل إسرائيل لا يمكن أن يحقق الاستقرار والسلام بما يستوجب توفير عوامل أخرى تملك قوة الردع الكافية لكف يد هذا المجتمع عن التطاول على من حوله لا أن يُمد بكل عناصر التفوق العسكري والتقني التي تجعل مغامراته العدوانية ممكنة في ظل أي قرار سياسي أو عسكري تتخذه قيادة متطرفة تتولى قيادة هذا المجتمع في لحظة تاريخية معينة.

ويلعب وجود المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة عامل تفجير وقنابل موقوتة ضد عملية السلام ذاتها.

كما تسهم في المخاطر المحدقة بعملية السلام التغيرات والتفاعلات المتواصلة في المنطقة باتجاه عدم الثقة المتصاعد في هذه الاتفاقيات بسبب سوء التزام الجانب الإسرائيلي والأمريكي بالوعود والأسس التي قامت عليها بالرغم من هشاشتها، إضافة إلى تغيير التركيبة السياسية في المنطقة والتحول الممكن في ظل ذلك نحو التخفف من عبء هذه الاتفاقيات وإتاحة المجال لخيارات أخرى لتأخذ دورها في دفع الإسرائيليين إلى التسليم بالحقوق العربية كاملة.

المبحث السادس

الانتفاضة وتطور القضية الفلسطينية

بعد نصف قرن من التيه تحت رايات الوطنية والقومية والاشتراكية التي غررت بالجماهير المسلمة في طول العالم الإسلامي وعرضه.

بعد نصف قرن من المتاجرة بالقضية الفلسطينية من قبل الأنظمة والتنظيمات العربية المختلفة.

بعد نصف قرن من اللهث وراء سراب الحلول في أروقة الأمم المتحدة ومختلف المحافل الدولية.

بعد نصف قرن من التسكع والانتظار أمام الكونجرس الأمريكي والكرملين الشيوعي وسائر العواصم وأجهزة الحكم في العالم.

بعد نصف قرن من الخطط المرتجلة والمواقف المصطنعة والمشاريع الخيانية والأفكار الانهزامية والطروحات الإستسلامية.

بعد نصف قرن من تشرد الشعب الفلسطيني في الخارج ومحاصرته وإبادته في الداخل.

بعد نصف قرن من الزمن تقفز ظاهرة الانتفاضة إلى مقدمة الركب لتضع القضية الفلسطينية في إطارها الصحيح وعلى الطريق السوي.

بعد نصف قرن من الزمن تبرز الانتفاضة إلى الوجود لتكشف الزيف والانحراف، زيف الرايات التي رفعت باسم التحرير، وانحراف النهج المعتمد في المواجهة، مواجهة الدولة العبرية والحركة الصهيونية التي تقف وراءها.

أولاً: الانتفاضة الأولى المباركة

يقصد بالانتفاضة الأولى تلك المواجهات الجماهيرية الفلسطينية التي اندلعت ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة في ديسمبر من عام ١٩٨٧م

واستمرت حتى مايو ١٩٩٤م، التي أخذت طابع الحرب الشعبية المدنية ضد القوات العسكرية المسلحة وقد أخذت صفة انتفاضة الحجارة وأطفال الحجارة، لأن الحجر والطفل كانا رمز المواجهات للآلة العسكرية الصهيونية حيث كان عشرات الأطفال يواجهون بالحجارة والمقاليع الدبابات والمدافع الرشاشة والدوريات العسكرية الإسرائيلية المدججة بالسلاح الأمر الذي مثل حقيقة الاحتلال العسكري القهري لهذا الشعب، ويمكن القول أن الانتفاضة الجماهيرية الفلسطينية عام ١٩٨٧م كانت مفاجئة للاحتلال الإسرائيلي والقوى الدولية والإقليمية من حيث الحجم والتوقيت والنتائج المترتبة عليها والمدى الزمني لاستمرارها.

وقد تضافرت جملة من العوامل أدت لاندلاعها بهذا الشكل، كان من أهمها ما تعرض له الشعب الفلسطيني من ممارسات قمعية وعدوان مستمر ومحاولات لطمس وجوده ومصادرة أرضه ومحاصرته اقتصادياً وسياسياً من جانب الاحتلال الإسرائيلي وكذلك يأس الشعب الفلسطيني في الداخل من أي حل سياسي أو اهتمام حقيقي من جانب الدول العربية في أعقاب خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت عام ١٩٨٢م والمحاولات المستمرة لتصفية القضية الفلسطينية دولياً، إضافة إلى نمو الصحوة الإسلامية في الضفة الغربية والقطاع التي أعادت جذوة قيم الكفاح والجهاد ضد الاحتلال الإسرائيلي إلى القاموس الثقافي للنضال السياسي والمقاومة الفلسطينية.

فقد انطلقت الانتفاضة في ظروف كانت الأسوأ منذ الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧م فالأشقاء والأصدقاء تخلوا عن القضية ومنظمة التحرير الفلسطينية ضربت قواتها العسكرية وتراجع نفوذها السياسي وتعاني من حصار وتجاهل كانت تشير كثير من ملامحه إلى شطبها من المعادلة السياسية في المنطقة وعلى الجانب الأخر يعتبر الإسرائيليون الطرف الأقوى في المنطقة وهم يوجهون التحدي لكل العرب والمسلمين حتى قال إسحاق شامير قبل اندلاع الانتفاضة بقليل "إننا لا نخشى أي دولة عربية فنحن قادرون على هزيمتهم في أي معركة" إضافة إلى أن الانتفاضة قامت في ظروف التحول العالمي وبداية تفكك المعسكر الشرقي وتراجع الاتحاد السوفيتي كقطب رئيسي في العالم.

وقد شهد العام الذي سبق الانتفاضة سلسلة من الاشتباكات والاضطرابات داخل الأراضي المحتلة، مهدت لاشتعال الانتفاضة الفلسطينية الشعبية الشاملة، ومما يجدر ذكره أن الانتفاضة انطلقت شرارتها يوم ١٩٨٧/١٢/٨م، إثر حادث تصادم شاحنة إسرائيلية كبيرة عمداً لشاحنتين صغيرتين كانتا تقلان عمالاً من مخيم جباليا في قطاع غزة مما نتج عنه مقتل أربعة منهم وقد أعقب ذلك حدوث اضطرابات في مخيم جباليا، حيث تحولت إلى اضطرابات عنيفة في كل قطاع غزة خلال الأيام التالية ولتمتد أيضاً إلى مخيمات الضفة الغربية ومدنها. وقد عمت الأراضي المحتلة، طوال كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٨٧م موجة لا سابق لها من التظاهرات الشعبية والإضرابات التجارية على نطاق لم ير نظيره منذ عشرات الأعوام، فالتحرك الجديد الذي سرعان ما صار يُعرف بالانتفاضة قد توصل إلى استقطاب جميع فئات المجتمع الفلسطيني على اختلاف أنواعها، من الطلاب والعمال والنقابيين وأصحاب المهن والتجار ورجال الأعمال، ووحدتها في إعلان واضح لمعارضة الاحتلال الإسرائيلي واستعدادها لمواجهته حتى يخرج من الضفة والقطاع.

مواجهة الاحتلال للانتفاضة: اعتمد الاحتلال الإسرائيلي في مواجهة الانتفاضة التي استمرت أكثر من ٧٩ شهراً "ديسمبر٨٧م – مايو ٩٤م"، على أساليب عدة، تُعد امتداداً لسياسته التنكيلية بالشعب الفلسطيني منذ احتلاله للضفة الغربية والقطاع عام ١٩٦٧م، ومن هذه الأساليب اعتماد سياسة القبضة الحديدية على نطاق واسع، وتطبيق مبدأ رابين في تكسير العظام الذي جاء بناء على نصيحة من الحكومة الأمريكية للحكومة الإسرائيلية بإتباع أسلوب آخر غير الذخيرة الحية ضد المتظاهرين الفلسطينيين العزل، مما كان سبباً لرفع نسبة الشهداء والجرحى، الأمر الذي أثار المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان، وقد صرح وزير الحرب الإسرائيلي إسحاق رابين في النصف الثاني من شهر يناير عام ١٩٨٨م وبعد خمسة أيام من إصداره التعليمات إلى الجنود بضرب الفلسطينيين وتكسير أطرافهم "إن هذا الأسلوب أكثر فعالية من الاعتقالات، حيث أن المعتقل في سجن (الفارعة) مثلاً يمكث هناك ١٨ يوماً يعود بعدها إلى الشوارع للتظاهر وقذف الحجارة أما إذا قام الجنود بكسر يديه فإنه لن يتمكن من العودة إلى الشارع قبل شهر ونصف على الأقل".

كذلك مارس الاحتلال سلسلة من العقوبات الجماعية مثل تعذيب سكان القرى والمخيمات ومنع السفر وقطع المواصلات والاتصالات الهاتفية ومصادرة الهويات ودفن الأحياء وإقامة الحواجز العسكرية الدائمة والمتحركة في معظم الطرق الرئيسية بين المدن والقرى والمخيمات، وكذلك هدم المنازل ونسفها والاعتقالات العشوائية ومصادرة الأراضي إذ بلغت الأراضي المصادرة خلال سنوات الانتفاضة (٤٥٧٨٣٤)، دونماً بمعدل (٥٧٩٥) دونماً شهرياً.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد شملت إجراءات الاحتلال الحصار التمويني وتخفيض السيولة النقدية لدى الفلسطينيين وإغلاق الأسواق وإتلاف المحاصيل الزراعية ومحاولة كسر الإضراب التجاري الذي كان يُعتبر أحد أبرز مظاهر وفعاليات الانتفاضة، وتعرضت المؤسسات الفلسطينية لحملات منظمة من الإغلاق والمداهمة وبالأخص المؤسسات التعليمية والصحية. إلى جانب انتهاك حرمة المقدسات وبخاصة المساجد وقد شارك المستوطنون الجيش الإسرائيلي في كل فعاليات مواجهة الانتفاضة.

إلا أن استمرار الانتفاضة وتصاعدها برغم هذه الإجراءات أثبت فشل هذه السياسة التنكيلية في تحقيق هدف القضاء عليها ووقفها وتلقين الفلسطينيين درساً بأن العنف لا يحقق شيئاً وأن بديله الجلوس إلى طاولة المفاوضات حسب قول إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل أثناء الانتفاضة.

فقد بلغ عدد الشهداء خلال الانتفاضة (١٣٩١) شهيداً منهم (٣٥٣)، طفلاُ.

وعلى صعيد الاعتقالات فقد قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بحملات اعتقال يومية منتظمة لأبناء الشعب الفلسطيني بمختلف أعمارهم وفئاتهم ولمختلف الأسباب، وقد بلغ حجم الاعتقالات الكلية أكثر من (١٦٠) ألف معتقل (حسب إحصائيات الصليب الأحمر) تراوحت مدة اعتقالهم بين أسبوع وألف سنة وبمعدل (٢٠٢٥) معتقلاً شهرياً و (٦٧) معتقلاً يومياً، وكان من بينهم (١٨٢١١) معتقلاً إدارياً تم حجزهم لمدة ستة أشهر أو لعام قابل للتجديد دون محاكمات أو إبداء أسباب محددة وذلك بمعدل (٨) معتقلين إدارياً يومياً.

أهداف الانتفاضة ووسائلها: تميزت هذه الانتفاضة عن غيرها مما سبقها أن أهدافها كانت محددة على رأسها:

١. حمل القوات الإسرائيلية على الانسحاب من الأراضي المحتلة.
٢. إطلاق سراح المعتقلين.
٣. رفض الاستيطان وسياسة الإبعاد والاعتقال الإداري.
٤. وقف الممارسات القمعية ضد السكان المدنيين والمعتقلين.
٥. إلغاء سياسة المنع من السفر والمضايقات.
٦. التوقف عن نشر الرذيلة والفساد والإسقاط في شباك المخابرات.
٧. التوقف عن حل المجالس المحلية والبلدية والقروية ولجان المخيمات.

لم تعتمد الانتفاضة أسلحة تقليدية لمواجهة الاحتلال العسكري بل عمدت إلى استخدام وسائل وأدوات المقاومة المدنية التي تتصف عادة (باللاعنفية) وقد كانت أصعب المعادلات في مسيرة الانتفاضة أن تحتفظ بوحدتها وأن تحقق خطواتها التصعيدية في المجابهة وفي العصيان المدني دون التحول إلى عسكرتها مبكراً.

وقد لجأت الجماهير في تصديها للآلة العسكرية إلى استعمال أدوات متعددة أهمها الحجارة والمقاليع والزجاجات الحارقة والإطارات المشتعلة والعصي والقضبان الحديدية والمسامير والسكاكين.

وقد أجبرت الانتفاضة الإسرائيليين على الاعتراف بحقائق معينة عن المناطق المحتلة حيث اتضح أمامهم الآن وجود خط أخضر يفصل بينهم، كما أشارت الانتفاضة إلى أن الفلسطينيين غير راغبين في العيش تحت الاحتلال المستمر وأنهم يطالبون بحقهم في الاعتراف وتقرير المصير.

مراحل الانتفاضة:

المرحلة الأولى: كانت مرحلة المواجهة الجماهيرية الشاملة حيث الإضرابات العامة والتظاهرات العارمة المنظمة وخرق منع التجول، مع مقاطعة للسلع الإسرائيلية وعدم دفع الضرائب وخفض المشتريات من السوق الإسرائيلي.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة المواجهة الجماهيرية مع تنامي التكتيكات الموازية من جانب الكوادر التنظيمية للفصائل الفلسطينية العاملة في الانتفاضة.

ركزت على الاعتماد على الذات وبناء المؤسسات الوطنية واستقالة الموظفين العرب العاملين في الإدارات المدنية.

المرحلة الثالثة: اتسمت هذه المرحلة بتراجع الأنشطة الجماهيرية وتنامي العمليات العسكرية من قبل التنظيمات الفلسطينية حيث بدأت هذه المرحلة مع بداية عام ١٩٩٢م.

مزايا الانتفاضة: أهمها:

١. شعبية المشاركة.
٢. وجود قيادة ميدانية.
٣. ارتباط الانتفاضة ارتباطاً وثيقاً بالداخل فلم تكن وليدة قرار خارجي.

القوى الفلسطينية والانتفاضة:

مع قيام الانتفاضة تشكلت قوتان رئيسيتان لقيادتها:

١. حركة المقاومة الإسلامية حماس، وقد صدر بيانها الأول في ١٩٨٧/١٢/١٤م
٢. القيادة الوطنية الموحدة "قاوم" التي كانت تتألف من أربعة فصائل أعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية **هي:**

- حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح.
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.
- الحزب الشيوعي الفلسطيني.

وقد صدر بيانها الأول ١٩٨٨/٤/١م.

موقف الأطراف الإقليمية والدولية من الانتفاضة: بعيداً عن المفاجأة التي أحدثتها الانتفاضة عند انطلاقها لدى مختلف الأطراف الفلسطينية والإقليمية والدولية، فإن هذه

الأطراف الإقليمية والدولية ما لبثت أن اتفقت على ضرورة وقف الانتفاضة، ففي الجانب العربي الرسمي سببت الانتفاضة إحراجاً كبيراً للكثير من الحكومات العربية أمام شعوبها المتعاطفة مع الانتفاضة والراغبة في تصعيدها ودعمها، وسببت الانتفاضة للجانب الإسرائيلي مأزقاً حقيقياً لاسيما بعد أن فشلت القيادات الإسرائيلية في تنفيذ وعودها بسحق الانتفاضة خلال أسابيع أو أيام.

لقد نشطت الدبلوماسية الدولية ذات المصالح المرتبطة مع إسرائيل وأطراف إسرائيلية في طرح مبادرات لتسوية القضية الفلسطينية بهدف إنقاذ إسرائيل من مأزق الانتفاضة وخطر تمددها إلى الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م أو إلى الدول المجاورة لفلسطين، كما انطلقت مبادرات تسوية أخرى من أطراف غربية وكان أبرزها مبادرة وزير الخارجية الأمريكي جورج شولتز ١٩٨٨م وخطة رئيس وزراء إسرائيل إسحاق شامير ١٩٨٩م المتعلقة بإجراء انتخابات في الضفة والقطاع، والمبادرة الفلسطينية بقبول قراري ٢٤٢ و ٣٣٨ والاعتراف بإسرائيل في ١٥/١١/١٩٨٨م في الجزائر، وبالتالي فقد كان البرنامج الدولي والإقليمي وبعض الجهات الفلسطينية يتجه نحو إنهاء الانتفاضة ومحاصرة انعكاساتها السياسية والجماهيرية والنضالية والعمل على استثمار وجودها لسرعة قبول أطراف الصراع وعلى الأخص الفلسطينيين منهم، بحل سياسي يقوم على تسوية للصراع مع الجانب الإسرائيلي.

إنجازات الانتفاضة: حققت الانتفاضة انجازات كبيرة مقارنة مع إمكاناتها وقدراتها الذاتية في ظل تراجع الدور العربي الرسمي.

وهذا مجمل لهذه الانجازات:

١.تبدد الاعتقاد الإسرائيلي بشأن إمكان استمرار الوضع الراهن وضرورة إيجاد حل للقضية الفلسطينية في الضفة والقطاع.

٢.ازدياد تعاطف الرأي العام العالمي مع القضية الفلسطينية وضرورة الاعتراف بتطلعاتهم السياسية وإيجاد حل عادل لقضيتهم.

٣.كشفت الانتفاضة زيف دعاوى الديمقراطية الإسرائيلية وأظهرت الدولة العبرية على حقيقتها العنصرية العدوانية الاستيطانية.

٤.استطاعت الانتفاضة بلورة الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني وانتمائه الحضاري للأمة العربية والإسلامية.

٥.تعززت مكانة منظمة التحرير الفلسطينية الدولية وأعادت الانتفاضة القضية الفلسطينية إلى أولويات السياسة الدولية.

٦.ظهرت على ساحة القضية أطراف سياسية وعسكرية تمثل توجهات موجودة داخل الشعب الفلسطيني مثل حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

٧.وجهت الانتفاضة ضربة قوية لمظاهر الاحتلال ومؤسساته وبخاصة الجواسيس والمتعاونين مع جهاز المخابرات حيث تم تصفية عدد منهم.

٨.صنعت الانتفاضة جيلاً جديداً يمتاز بالشجاعة والثقة بالنفس كما كرست في الشعب مفاهيم التكافل والتضامن الاجتماعي في فترات الأزمات والمحن.

ويمكن القول بشيء من الدقة أن الانتفاضة الفلسطينية قد أحدثت تغيرات مهمة وأساسية على صعيد الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية، فقد حولت الشعب إلى شعب مقاتل شعب مقاوم معتمد على الذات، كما كرست الانتفاضة نمطاً من الوحدة الوطنية أمام الاحتلال، كذلك فرضت فلسفة رفض التعايش مع الاحتلال، كما أفسحت المجال ولأول مرة لخوض التيار الإسلامي ممثلاً في حماس والجهاد الإسلامي للمواجهة المباشرة مع الاحتلال إلى جانب القوى الوطنية الأخرى، وعلى الصعيد الإسرائيلي فقد خلخلت الانتفاضة الكثير من نظريات الأمن الصهيونية، بل وكثيراً من المفاهيم السياسية الخاصة بإمكانية شطب القضية الفلسطينية وشعبها من خارطة المنطقة. فهي أعادت الشعب الفلسطيني إلى الخارطة السياسية وهي كذلك جاءت لتؤكد رفض الشعب الفلسطيني للذوبان في دولة الكيان الإسرائيلي، وهي بدأت في غياب دور مهم وفاعل لمنظمة التحرير الفلسطينية سياسياً وعسكرياً بعد ضربة ١٩٨٢م وفي مؤتمر القمة السابع عشر ١٩٨٧ الذي أهمل القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير وتجاهلها لأول مرة، انتهت الانتفاضة بقيام سلطة الحكم الذاتي على ٦٠% من أراضي القطاع و٣٥% من أراضي الضفة بقيادة منظمة التحرير من خلال توقيعها اتفاق أوسلو.

الشهداء الفلسطينيون حسب طريقة القتل والطرف المتسبب، ونسبة الأطفال منهم

(٩ ديسمبر ١٩٨٧م _ ٣١ يونيو ١٩٩٤م)

الحالة	مجموع الشهداء	الأطفال منهم
١. الوفاة بسبب إطلاق النار:		
▪ من جانب قوات الأمن الصهيونية	١١٠٩	٢٨٣
▪ من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين.	٩٥	١٦
▪ من جانب المتعاونين مع الاحتلال.	١٨	٦
▪ من جانب الآخرين.	٣	٢
المجموع	١٢٢٥	٣٠٧
٢. الوفاة بسبب الضرب وأسباب أخرى غير الرصاص:		
▪ من جانب قوات الأمن الصهيونية	٥٦	٨
▪ من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين	١٥	٢
▪ من جانب المتعاونين مع الاحتلال.	٢	٠
المجموع	٧٣	١٠
٣. الوفاة بسبب استنشاق الغازات المسيلة للدموع:		
▪ من جانب قوات الأمن.	٩٣	٣٦
▪ من جانب المستوطنين / مدنيين إسرائيليين	٠	٠
▪ من جانب المتعاونين مع الاحتلال.	١	٠
المجموع	٤٩	٣٦
مجموع شهداء الانتفاضة بسبب المسؤولية المباشرة لسلطات الاحتلال الإسرائيلي	**١٣٩٢**	**٣٥٣**

الانتفاضة الثانية:

انتفاضة الأقصى: في يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨م أقدم الوزير الإسرائيلي السابق آرئيل شارون على انتهاك حرمة المسجد الأقصى بزيارته غير المشروعة دينياً وقانونياً وسياسياً، ليكلل مسيرة المماطلة والتعنت الإسرائيلي في مفاوضات السلام (المزعوم) وليفجر الإحباط الفلسطيني المتراكم منذ سبع سنوات (سنوات المسيرة السلمية) إزاء رفض إسرائيل الالتزام بأي من الاتفاقات، فكانت هذه الزيارة المشؤمة هي الشرارة التي فجرت انتفاضة الأقصى.

اندلعت انتفاضة الأقصى يوم الجمعة ٢٠٠٠/٩/٢٩م عقب اعتراض أفراد الوحدة الخاصة في الشرطة الإسرائيلية المواطنين أثناء خروجهم من باحات الحرم القدسي الشريف بعد أداء صلاة الجمعة، بعد أن حولت باحات الحرم إلى ساحة حرب وثكنة عسكرية.

الدوافع والأسباب التي أدت إلى نشوب انتفاضة الأقصى: يرى المحللون السياسيون أن دوافع وأسباب انتفاضة الأقصى هي نفسها دوافع وأسباب الانتفاضة الأولى ١٩٨٧م ويضاف إليها بعض الدوافع للمتغيرات التي طرأت على لعبة الصراع **ومن أهمها:**

١. فشل عملية السلام في جلبها الأمن والاستقرار للفلسطينيين.
٢. ازدياد غطرسة دولة إسرائيل وتعاملها مع السلطة الفلسطينية بنظرة رديئة.
٣. تراجع سلم التنمية الاجتماعية وازدياد الفقر والبطالة.
٤. سيطرت إسرائيل على كل مقدرات الفلسطينيين والتحكم في كل شؤونهم.
٥. زيادة رقعة الاستيطان عما كانت عليه قبل مجيء السلطة الوطنية.
٦. تجاهل المشاعر الدينية للفلسطينيين وتهديد مقدساتهم.
٧. التنصل من الاتفاقيات التي أُبرمت مع السلطة الوطنية.
٨. سوء إدارة السلطة الوطنية لشؤون المواطنين الفلسطينيين.
٩. ازدياد ظاهرة الفساد بكل أشكاله.
١٠. الاعتقالات والحواجز والاغتيالات بشكل سافر.

وغير هذه الأسباب على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتنظيمي لهذا كان الشعب الفلسطيني ينتظر الشرارة التي تشكل برميل البارود، فما أن قام شارون بدخول المسجد

الأقصى حتى أنتفض الشعب ولم يخمد، فقد شاركت جميع القوى الفلسطينية في هذه الانتفاضة بما في ذلك القوى المؤيدة لعملية التسوية في مؤشر واضح على إحباط هذه القوى وعلى رأسها حزب السلطة (فتح) وشعورها بخيبة الأمل من عملية التسوية، ولا تزال فعاليات هذه الانتفاضة تحظى بإجماع شعبي ضمن برنامج تقوده الفعاليات الوطنية والإسلامية، وترى حركة فتح أن الانتفاضة ستؤدي إلى تقوية الموقف الفلسطيني التفاوضي بما في ذلك إعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على الأراضي المحتلة ١٩٦٧م في الوقت الذي تتمسك فيه حركة حماس بموقفها الداعي إلى استمرار الانتفاضة إلى حين دحر الاحتلال عن الأراضي الفلسطينية دون أن تعول على عملية التسوية التي فشلت في تحقيق أية انجازات للشعب الفلسطيني.

ولا شك أن موقف حركة حماس يحظى بدعم عربي وإسلامي شعبي كبير، لأنه لا يراهن على عملية التسوية ويدعو إلى إسناد الانتفاضة الشعبية بالمقاومة المسلحة ويدعو إلى دعم الدول العربية لإسناد هذه المقاومة بكل الوسائل الممكنة.

وفي هذا السياق يأتي الموقف العربي الشعبي الذي فرض نفسه بقوة من خلال المظاهرات والاحتجاجات التي عمت الدول العربية من المحيط إلى الخليج إضافة إلى الدول الإسلامية وهو الموقف الذي دعا إلى إسناد الانتفاضة بالنار العربية وبسلاح النفط وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني، إلا أن هذا الموقف الشعبي لم يكن له صدى رسمي يتناسب معه، فكانت قرارات القمة العربية أقل من الحد الأدنى المتوقع وهو قطع العلاقات مع العدو الصهيوني ووقف التطبيع معه وسحب السفراء العرب من تل أبيب.

لقد أبرزت انتفاضة الأقصى عمق الفجوة التي تفصل بين المواقف الشعبية والرسمية العربية، بما في ذلك الفجوة بين موقف الشعب الفلسطيني مع السلطة الفلسطينية التي حاولت تقليصها بإبداء مواقف أكثر تشدداً تجاه العدو اليهودي ومشاركة تنظيمها بفاعلية في الانتفاضة، وإذا كانت قمة شرم الشيخ التي شاركت فيها السلطة الفلسطينية ومصر قد توصلت إلى قرارات على الصعيد الأمني بهدف تهدئة الانتفاضة تمهيداً لوقفها واستعادة المفاوضات، إلا أن غضبة الشارعين الفلسطيني والعربي، واستمرار شلال الدم الفلسطيني

ومسيرات الغضب الفلسطيني أجهضت قرارات هذه القمة قبل أن تنجح هي في إجهاضها ووقفها.

إن أبرز ما تميزت به انتفاضة عام ٢٠٠٠م عما سبقها من انتفاضات وخصوصاً انتفاضة ١٩٨٧م أنها جاءت بعد استنفاد عملية التسوية أغراضها، واتضاح صورة العدو الصهيوني الذي لا يفهم السلام إلا بصورة الهيمنة والسيطرة الأمر الذي يكسب هذه الانتفاضة بعداً واضحاً وناضجاً ويجدها عصية على محاولات استثمارها سياسياً لصالح التسوية الهزيلة، فقد أعادت انتفاضة الأقصى الاعتبار لخيار المقاومة الشعبية للاحتلال ونفضت الغبار عنه بعد أن استبعدته عملية التسوية وعملت على إنهائه من خلال تبني الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحصيل حقوق الشعب الفلسطيني المستباحة من قبل الاحتلال، وهي بذلك تؤشر إلى بداية مرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني وليست مجرد احتجاج أو ردت فعل على الإرهاب الصهيوني، وهذه المرحلة هي مرحلة المقاومة الشعبية الفلسطينية الشاملة للاحتلال مدعومة بقوة بتأييد إسلامي وعربي وشعبي لم يسبق له مثيل تمثل المظاهرات والمسيرات الحاشدة التي عمت العالم العربي وبإجماع شعبي عربي وإسلامي لتأييد برنامج المقاومة واعتباره الاستراتيجية الفلسطينية والعربية والإسلامية الوحيدة والقادرة على إنهاء الاحتلال ومنعه من التمدد إلى المنطقة العربية والإسلامية.

إحصائيات انتفاضة الأقصى ٢٠٠٠/٠٩/٢٩م – ٢٠٠٦/٠٨/٠١م

الشهداء المدنيون الفلسطينيون الذين سقطوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة (٣٢٥٠) هذا الرقم لا يشمل القتلى من الفلسطينيين في اشتباكات مسلحة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

الشهداء الفلسطينيون الذين سقطوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة في اشتباكات مسلحة (٥٠٠)

المنطقة	النسبة المئوية من مجموع الشهداء	عدد الشهداء من المدنيين
الضفة الغربية	٤٨%	١٥٨٠
قطاع غزة	٥٢%	١٦٧٠

الشهداء المدنيون على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة حسب مجموعات خاصة:

المجموعة	عدد الشهداء	النسبة المئوية من مجموع الشهداء المدنيين
أطفال	٧١٨	٢٢%
الشهداء من النساء	١٢١	٣,٦%
أطقم طبية	١٩	٠,٧%
صحافيين	٨	٠,٣٠%
أجانب	٦	---

الأطفال الفلسطينيون الذين قتلوا خلال الانتفاضة:

العدد	الاسم	العدد	النسبة من مجموع الشهداء
	أطفال قتلوا في الضفة الغربية	٢٩٧	١٩% من شهداء الضفة
	أطفال قتلوا في قطاع غزة	٤٢١	٢٦% من شهداء غزة
	أطفال قتلوا في عمليات اغتيال	٦٣	١٠% من مجموع شهداء الاغتيال
	نسبة الأطفال من المجموع العام للشهداء	٢٢%	

الاغتيالات:

الفئة	**المجموع**
مستهدفون	٣٩٠
غير مستهدفين	٢٠٢
المجموع العام لشهداء الاغتيال	**٥٩٢**

مجموع المصابين في قطاع غزة من بداية الانتفاضة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي (٩٠٠٠) مصاب.

مجموع المصابين في الضفة الغربية من بداية الانتفاضة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي (١٤٢٠٠) مصاب.

هدم منازل في قطاع غزة:

المحا فظة	**هدم بشكل كلي**	**هدم بشكل جزئي**
الشمال	٢٥٨	٣٣٠
غزة	١٧٨	٢٩٥
الوسطى	١٥٧	١٥٠
خان يونس	٦٤٧	٣٢٧
رفح	١٤٦٧	١٠٨٧
المجموع	**٢٧٠٧**	**٢١٨٩**

١. عدد السكان الذي هُدّمت منازلهم بشكل كلي **(٢٤٧٦٨)** .
٢. عدد السكان الذي هُدّمت منازلهم بشكل جزئي **(٢٥٢١١)** .
٣. عدد السكان الذي هُدّمت منازلهم بشكل كلي في محافظة رفح **(١٥٤٢٧)**.
٤. عدد السكان الذي هُدّمت منازلهم بشكل جزئي في محافظة رفح **(١٣٤٥٧)**.

الهدم على خلفية البناء بدون ترخيص في الضفة الغربية بما فيها القدس:

التاريخ	القدس	الضفة الغربية	المجموع
٩/٢٨- ٢٠٠٠/١٢/٣١	١	٢	٣
عام ٢٠٠١	٤٩	٥٤	٤٠٣
عام ٢٠٠٢	٤٢	٣٥٠	٣٩٢
عام ٢٠٠٣	٥٤	٨٣	١٣٧
المجموع	١٤٦	٤٨٩	٦٣٥

تجريف أراضي في قطاع غزة:

المحافظة	عدد الدونمات المجرفة
الشمال	١٤٢٠٤
غزة	٣٢٩٥
الوسطي	٣٦٩٤
خان يونس	٧١٥٢
رفح	٣٥٤٦
المجموع	**٣١٨١٩ دونم**

كيف نعيد فلسطين عربية إسلامية [1]

١. يجب علينا أن نقول أن حرباً فاصلة ستقع بين المسلمين واليهود، وأن النصر فيها سيكون للمسلمين، ما داموا معتصمين بدينهم ومنفذين لتعاليم القرآن الكريم ، وعاملين بسنة نبيهم ، فقد أخرج البخاري، ومسلم ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبدالله هذا يهودي ورائي فاقتله**" (٢) وفي حديث آخر للشيخين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**"(٣).

فهذان الحديثان الصحيحان فيهما إخبار للمسلمين بأن قتالاً عظيماً سيقع بين المسلمين واليهود قبل قيام الساعة، وأن النصر سيكون للمسلمين، متى استجابوا للأوامر، التي أمرهم الله بها، وأن الله تعالى سيكرمهم بأن يخبر الحجر أو الشجر المسلم بأن يهودياً وراءهما فعليه أن يقتله.

٢ . يجب علينا أن نوقن بأن الأيام دول، وأن ما أصابنا بفلسطين من الممكن تداركه، متى تحلينا بالإيمان الصادق، وبالعزم القوي، وبالتصميم على استعادة أرضنا المقدسة، وباتخاذ الوسائل الكفيلة بذلك .

لقد سقطت بلادنا المقدسة في أيدي المعتدين أكثر من مرة ثم استطعنا بفضل الله ومعونته أن نستردها منهم، بل إن عشرات الأمم كانت رازحة تحت سلطان الاستعمار عقب انتهاء الحرب العالمية الأخيرة، ثم استطاعت بعد ذلك أن تنال حريتها وكرامتها .

---

[1] طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن الكريم ص ٧٤٥.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٢٩٢٥، كتاب الجهاد والسير، باب: قتال اليهود، ٩٠١/٢

[3] أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ٢٩٢٢، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: علامات قيام الساعة، ٣٦٢/٦ .

إن نكبة فلسطين قد نبهت المسلمين إلى الأخطار المحيطة بهم، وعلمتهم دروساً كانوا غافلين عنها، وأطلعتهم على ما أضمرته الصهيونية العالمية، ودول الكفر من أحقاد وشرور، ودفعتهم إلى العمل المثمر من أجل المحافظة على كيانهم وكراماتهم بعد أن ظلوا سنين طويلة يعيشون عيشة الذل والهوان.

٣ . يجب على الأمتين: العربية و الإسلامية، أن توحدا قيادة المعركة وأن تسلماها لأيد أمينة مخلصة، وأن تحوطاها بالتأييد إذا أحسنت واستقامت، وبالتوجيه والإصلاح والتقويم إذا أخطأت وضلت، وأن تنأى بها عن الخلافات والمنازعات التي قد تحدث بين الزعماء والملوك والرؤساء، أريد أن أقول: إن إنقاذ فلسطين من السرطان الصهيوني يحتاج إلى جيش موحد القيادة، محدد الهدف، معد إعداداً كاملاً قوياً من جميع النواحي، مؤمناً بقدسية المعركة التي يخوضها، بعيداً عن التأثر بخلافات السياسيين، الذين بيدهم مقاليد الحكم في البلاد العربية.

وإن لنا فيما حدث في معركة اليرموك وغيرها من المعارك الإسلامية لعبراً وعظات، ففي هذه المعركة وجد خالد بن الوليد _رضي الله عنه_ قوادها يقاتلون الروم متساندين كل أمير على جيش، فجمع خالد هؤلاء القادة وقال لهم:

"إن هذا اليوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، فأخلصوا لله جهادكم وتوجهوا إلى الله تعالى بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده فلا تقاتلوا قوماً على نظم وتعبئة، وأنتم على تساند وانتشار، فإن هذا وذلك لا يحل ولا ينبغي، قالوا: فما الرأي، قال: إن الذي أنتم عليه أشد على المسلمين مما غشيهم، وأنفع للمشركين من أموالهم، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم، فهلموا فلتعاودوا الإمارة فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غدا والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم ودعوني اليوم عليكم، فقالوا : نعم فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم _أي كغزواتهم الأولى_ فكان الفتح على يد خالد يومئذ".

٤ . يجب أن تبذل الأمتان العربية والإسلامية قصارى جهدهما في التذكير بقضية فلسطين، وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة في كل دولة بالدعاية الواسعة لها، وأن يدرس

تاريخها في المدارس والمعاهد والجامعات، وأن توزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة في كل مكان، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية في القلوب والمشاعر.

إن هذا الجيل الذي عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض، وستأتي بعده أجيال أخرى إذا لم نذكرها بهذه المأساة، ونربطها بقلوبهم دينياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، فإنها ستصبح نسياً منسياً، ولن يمر وقت طويل حتى تختفي مأساة فلسطين من قلوبهم، كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام، وتعاقب السنين.

إن فلسطين هي من بلاد المسلمين المقدسة، ففيها المسجد الأقصى، الذي كان الإسراء إليه، والذي هو أولى القبلتين، والذي هو أحد المساجد الثلاثة، التي لا تشد الرحال إلا إليها، ففي الحديث الشريف: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى"(١)

وفي فلسطين، كثير من المعابد والمقدسات، ففيها قبور بعض الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود _عليهم الصلاة والسلام _ وفيها قبور عدد كبير من الصحابة: كأبي عبيدة بن الجراح، وعبادة بن الصامت، والفضل بن العباس، وشداد بن أوس، وغيرهم من الصحابة والتابعين، ولا شك أن بقعة من أرض المسلمين، فيها كل هذه المقدسات جديرة بأن تكرر مأساتها على الأسماع، في كل زمان ومكان.

٥ . يجب أن تقف الأمتان العربية والإسلامية من الدول التي ناصرت الصهيونية موقفاً قوياً حاسماً، وأن تستعملا أسلحتهما المتنوعة في صرف هذه الدول عن مناصرتها الباطلة لليهود، ومن أقوى الأسلحة، سلاح البترول الذي يوجد في بلادنا بكميات هائلة، والذي لو أحسنا استغلاله واستعماله، لكفت دول الكفر عن تأييدها للصهيونية الباغية، ولن يأتي هذا السلاح وغيره بالثمار المرجوة إلا إذا وحد العرب كلمتهم، ووقفوا صفاً واحداً أمام مؤامرات الاستعمار واليهودية العالمية.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ١١٨٩، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مكة والمدينة، ٣٥٣/١.

٦ . يجب أن تعمل الدول العربية والإسلامية على تقوية (الفدائيين الفلسطينيين) من كل النواحي، وأن تختارهم من العناصر المأمونة والمؤمنة بربها وبدينها وبوطنها، وأن تعطيهم من الإمكانات ما يجعلهم يستطيعون أن يزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات) لأن هذه الحرب من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل، واستقرارها واقتصادها، وجميع مرافقها.

وتكون هذه الحرب كمقدمة للمعركة الفاصلة التي يجب على الأمة الإسلامية والعربية أن تخوضها ضد إسرائيل، حتى تطهر الأرض المقدسة من اليهود.

ولقد اتبعت عدة دول طريقة (حرب العصابات) ضد المستعمرين فانتصرت عليهم في النهاية، واستطاعت أن تنال

حريتها رغم أنوفهم، وخير مثال لذلك (الجزائر) دولة المليون شهيد، فإنها قامت بهذه الحرب ضد فرنسا حتى أجبرتها على الرحيل عن بلادها.

٧ . يجب أن نخوض معركة فلسطين المقبلة على أساس من الجهاد الديني، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامي مقدس كما قلنا سابقاً، وهي ملك لجميع المسلمين، وواجب الذود عنها فرض على كل مسلم على وجه الأرض.

واليهود قد استغلوا الناحية الدينية على أوسع نطاق، لتثبيت باطلهم في فلسطين بحيث أفهموا دول لغرب_ وخصوصاً انجلترا_ أن فلسطين هي أرض معادهم، وأن أرضها لهم وحدهم بنص التوراة، بينما العرب المسلمون أسقطوا الجانب الديني المهم من حسابهم، فخاضوا معركة فلسطين باسم النعرات الوطنية والقومية، وسخر بعض كتابهم بالنواحي الدينية، فكان مصيرهم الفشل، ونحن لا ننكر أثر القومية المادية في النجاح، ولكن الذي ننكره أشد الإنكار هو الاعتماد عليها وحدها دون أن يقام للجانب الروحي أو الخلقي أي حساب.

إن الذين لا يهتمون بالناحيتين : الدينية والخلقية، لن تكون العاقبة لهم، ولو ملكوا أقوى قوة في الأرض، ولقد اعترف (الميثاق) بأهمية الطاقات الروحية والدينية، ومما جاء فيه بهذا الشأن: "على أنه يتعين علينا دائماً أن نذكر أن الطاقات الروحية، التي تستمدها الشعوب من مثلها العليا، النابعة من أديانها السماوية أو من تراثها الحضاري، قادرة على صنع المعجزات، إن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوة الدافعة، كما أنها

تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بهما جميع الاحتمالات، وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات، وإذا كانت الأسس المادية لتنظم التقدم ضرورية ولازمة، فإن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم أنبل المثل العليا، وأشرف الغايات والمقاصد"

٨ . يجب على الأمة العربية والإسلامية (قبيل وبعد ذلك)، إذا أرادت أن تعيد فلسطين، أن تعود هي إلى تعاليم الإسلام فتطبقها على نفسها تطبيقاً كاملاً وأن تحارب الرذائل فيها، وأن تقيم حياتها وسلوكها ونظمها، ومعاملاتها على وفق تعاليم الدين الحنيف، وأن تعد العدة الكاملة لقتال عدو الله وعدوها، إذا فعلت ذلك فإن النصر سيكون

حليفها، والآيات الكريمة التي تشهد بذلك أكثر من أن تحصى منها قوله تعالى: **{إنْ تنصُرُوا الله ينْصُرْكُم ويثبِّت أَقْدَامَكُمْ}**(سورة محمد: الآية ٧)، ومنها قوله تعالى: **{ولَيَنْصُرَنَّ الله من يَنْصُره إنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}**(سورة الحج: الآية ٤٠) **ومنها قوله تعالى :{إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنْيا ويَوم يَقومُ الأشْهادْ}** (سورة غافر: الآية ٥١) ، ومن وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته في شخص ابن عباس _رضي الله عنهما_ قوله :"**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك .....**"([١])

وقد وصى عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_ سعد بن أبي وقاص، فقال له: "**أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوفينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة** "

واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب

[١] أخرجه الترمذي في سننه رقم (٢٦٣٥)، أبواب صفة القيامة، ٧٦/٤ .

قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بسخط الله كفرة المجوس: **{فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيارِ}**، واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم "

موقف الأزهر الشريف من القضية الفلسطينية

لقد كان الأزهر يوماً قلب الأمة النابض معقل أبطالها منه تنطلق الشرارة الأولى التي يتحرك في محورها المارد الجبار الذي لا يبقي ولا يذر عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت تتزعزع الجبال ولا يهتز، ملتقى طالبي العلم المستنير والفكر الواضح، منارة الإسلام من أول يوم بُني فيه مع كل محاولات طمس دوره على مدار السنيين، إلا أنه وإن كبل ساعة قام ونهض مسرعاً يقود الركب، فيه ومنه ظهر العلماء الذين قالوا كلمة الحق فجلجلت في أرجاء المعمورة، وذاك سر ما أقدم عليه نابليون حين أدرك هذه الحقيقة فإذ به يضرب الأزهر بالمدافع ويحيله إلى إسطبل لخيوله وبهائمه، وما أخمد النار قتل من نالته أيديهم من شبابه يومياً ينال الشهادة بضع رجال من شباب الإسلام في عرينه الأول الأزهر الشريف وما يئس الفرنسيون من وجودهم في مصر إلا من خلال الرسالة التي أرسلها لهم الأزهر على يد ابنه الشهيد البطل : سليمان الحلبي حينما نجح في تمزيق جسد القائد الفرنسي الغاشم كليبر فدق في نعشهم مسمار اليأس وإخماد نار الثورة والثأر لشرف الإسلام، حتى طهر الله الديار الإسلامية من رجسهم ودنسهم.

هذا الأزهر العظيم الذي يحاول العالم أن يطمس دوره فلا يكون مؤثراً وقائداً مرة بسحب الصلاحيات ومرة بالتشويه ومرة بالتجاهل والإهمال ومرة بالتشكيك هذا الأزهر لا يُفاجؤنا موقفه من القضية الفلسطينية ... لقد كان موقف الأزهر الشريف موقفاً عظيماً خلال الخمسين عاماً التي انقضت من تاريخ القضية الفلسطينية وأنا سأحصر حديثي فقط عن الفترة الزمنية من ١٩٤٨م _ ١٩٩٨م، وللأزهر قبلها موقف ومواقف وللأزهر بعدها موقف ومواقف.

ولقد نهض الأزهر بكل هيئاته (مشيخة _ دار الإفتاء _ مجمع البحوث الإسلامية) فلم يقصر بحق فلسطين ونحن نطلب منه المزيد، لأن دوره عظيم وتأثيره كبير.

خلال هذه السنوات (نصف قرن) أصدر الأزهر فتاوى متعددة تدعوا إلى الجهاد ووجوب مقاطعة اليهود وإسرائيل من خلال ندوات علماء الأزهر للمسلمين في العالم كله، وفتاوى تحث على الاستشهاد وحماية ديار المسلمين ومقدساتهم، وفتاوى اعتبرت أن إنقاذ فلسطين واجب ديني على المسلمين جميعاً وهناك فتاوى حرمت بيع الأرض واعتبرت من يفعل ذلك مرتداً عن دينه، وفتاوى اعتبرت أن التقصير في المقاومة هو عصيان لله تعالى، كما حثت الحكومات على الأخذ بالأسباب ليحققوا لأمتهم أمالها وطموحاتها.

ونحن هنا نلحق بهذا الحديث عدة فتاوى لعلماء الأزهر حول هذا الموضوع:

في سنة ١٩٤٨م فتوى لشيخ الأزهر وعلمائه، في هذه الفتوى يدعو شيخ الأزهر والعلماء إلى الجهاد لإنقاذ فلسطين والبلاد المقدسة من خطر الصهيونيين.

وفي هذه الفتوى نداء إلى المسلمين عامة والعرب كافة في مشارق الأرض ومغاربها، يدعوهم إلى جهاد البغاة العتاة من اليهود، ويطالبهم بأن يردوا هذا البغي وأن يقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم وأن يعدوا كتائب الجهاد ويقوموا بما فرضه الله عليهم.

وهذا نص الفتوى

إلى أبناء العروبة والإسلام من علماء الجامع الأزهر الشريف

(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين ... قُضي الأمر وتألبت عوامل البغي والطغيان على فلسطين، وفيها المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومنتهى إسراء خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

قُضي الأمر، وتبين لكم أن الباطل ما زال في غلوائه، وأن الهوى ما فتئ على العقول مسيطراً، وأن الميثاق الذي زعموه سبيلاً للعدل والإنصاف ما هو إلا تنظيم للظلم والإجحاف، ولم يبق بعد اليوم صبر على تلكم الهضمية التي يريدون أن يرهقونا بها في بلادنا ويجثموا بها على صدورنا، وأن يمزقوا بها أوصال شعوب وحد الله بينها في الدين واللغة والشعور.

إن قرار هيئة الأمم المتحدة قرار من هيئة لا تملكه، وهو بعد قرار باطل جائر ليس له نصيب من الحق ولا العدالة، ففلسطين ملك العرب والمسلمين، بذلوا فيها النفوس الغالية والدماء الزكية، وستبقى إن شاء الله رغم تحالف المبطلين ملك العرب والمسلمين، وليس لأحد كائناً من كان أن ينازعهم فيها أو يمزقها.

فإذا كان البغاة العتاة قصدوا بالسوء من قبل هذه الأماكن المقدسة فوجدوا من أبناء العروبة والإسلام قساورة ضراغم ذادوا عن الحمى، وردوا البغي على أعقابه مقلم الأظفار محطم الأسنة، فإن في السويداء اليوم رجالاً وفى الثرى آساداً، وأن التاريخ لعائد بهم سيرته الأولى، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

يا أبناء العروبة والإسلام:

لقد أعذرتم من قبل، وناضلتم عن حقكم بالحجة والبرهان ما شاء الله أن تناضلوا حتى تبين للناس وجه الحق سافراً، ولكن دسائس الصهيونية وفتنتها وأموالها قد استطاعت أن تجلب على هذا الحق المقدس بخيلها ورجلها، فعميت عنه العيون، وصمت الآذان، والتوت الأعناق، فإذا بكم تقفون في هيئة الأمم وحدكم، ومدّعو نصر العدالة يتسللون عنكم لواذاً، بين مستهين بكم، وممالئ لأعدائكم، ومتستر بالصمت متصنع للحياد، فإذا كنتم قد استنفذتم بذلك جهاد الحجة والبيان، فإن وراء الجهاد لإنقاذ الحق وحمايته جهاداً سبيله مشروعة، وكلمته مسموعة تدفعون به كيانكم ومستقبل أبنائكم وأحفادكم، فذودوا عن الحمى، وادفعوا الذئاب عن العرين، وجاهدوا في الله حق جهاده.

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (سورة النساء: ٧٤)

{الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}. (سورة النساء: ٧٦)

يا أبناء العروبة والإسلام:

خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً، وإياكم أن يكتب التاريخ أن العرب الأباة الاماجد قد خروا أمام الظلم ساجدين، وقبلوا الذل صاغرين.

إن الخطب جلل، وإن هذا اليوم الفصل وما هو بالهزل، فليبذل كل عربي وكل مسلم في أقصى الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يرد عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين.

سدوا عليهم السبل، واقعدوا لهم كل مرصد، وقاطعوهم في تجارتهم ومعاملاتهم، واعدوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم واعلموا أن الجهاد الآن قد أصبح فرض عين على كل قادر بنفسه أو ماله، وأن من يتخلف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثم عظيم.

{إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالقرآن وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (سورة التوبة: ١١١)

فإذا كنتم بإيمانكم قد بعتم الله أنفسكم وأموالكم فها هو ذا وقت البذل والتسليم، وأوفوا الله يوف بعهدكم، وليشهد العالم غضبتكم للكرامة، وذودكم عن الحق ولتكن غضبتكم هذه على أعداء الحق وأعدائكم لا على المحتمين بكم ممن لهم حق المواطن عليكم وحق الاحتماء بكم، فاحذروا أن تعتدوا على أحد منهم إن الله لا يحب المعتدين وتتجاوب بعد الأصداء في كل مشرق ومغرب بالكلمة المحببة إلى المؤمنين:

الجهاد، الجهاد، الجهاد، والله معكم.

التواقيع:

- ✓ **الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر.**
- ✓ **الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية.**
- ✓ **الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل شيخ الجامع الأزهر.**

- ✓ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية السابق.
- ✓ الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الجامع الأزهر والمعاهد الدينية.
- ✓ الشيخ محمود أبو العيون السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية.
- ✓ الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر.
- ✓ الشيخ الحسيني سلطان شيخ كلية أصول الدين.
- ✓ الشيخ عيسى منون شيخ كلية الشريعة.
- ✓ الشيخ محمد الجهنى شيخ معهد القاهرة.
- ✓ الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ القسم العام.
- ✓ الشيخ محمود الغمراوي المفتش بالأزهر.
- ✓ الشيخ إبراهيم حمروش.
- ✓ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر.
- ✓ الشيخ إبراهيم الجبالي.
- ✓ الشيخ محمد الشربيني.
- ✓ الشيخ محمد غرابة .
- ✓ الشيخ حامد محيسن.
- ✓ الشيخ عبد الفتاح العناني.
- ✓ الشيخ محمد عرفة.
- ✓ الشيخ فرغلي الريدى.
- ✓ الشيخ أحمد حميده.
- ✓ الشيخ محمد أبو شوشه.
- ✓ الشيخ علي المعداوي.
- ✓ الشيخ عبد الرحمن عليش عضو جماعة كبار العلماء.

وكثير غير هؤلاء من العلماء والمدرسين في الكليات والمعاهد الأزهرية في القاهرة والأقاليم المصرية.

وفي سنة ١٩٨٦م فتوى للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود:

هل الحرب القائمة بين العرب والإسرائيليين حرب جهاد أوهي دفاع عن النفس؟

وقد أجاب فضيلته بأن تلك الحرب جهاد ودفاع عن المقدسات في ذات الوقت وهذا نص الفتوى:

إن الحرب بين العرب والإسرائيليين هي جهاد، وهى في الوقت نفسه دفاع عن النفس، ومن مات فيها فهو شهيد، ولا نجد في التاريخ جهاداً يشبه تماماً الجهاد الإسلامي الأول أكثر من هذه الحرب القائمة، وإذا تدبرنا الأسباب الأولى التي أذنت بالجهاد الإسلامي في أول الأمر نجد أن الأسباب التي ذكرتها الآيات الشريفة هي نفس الأسباب التي أدت إلى هذه الحرب يقول الله تعالى: **{ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}** (سورة الحج: ٣٩)

وعرب فلسطين أُخرجوا من ديارهم بغير حق، وشتتوا وشردوا، ومن بقي فيها الآن من العرب يُنكل بهم ويُعذبون في صورة لا إنسانية ولا رحمة ويُهانون بكل أنواع المهانة، والواجب على جميع الدول الإسلامية الآن أن تهب لنجدتهم وللعمل على أن تعود فلسطين عربية، وعلى أن تتحرر من هذه الشرذمة الأفاقة، وإذا تخلفت دولة عربية عن هذا الجهاد المقدس فإنها تكون آثمة يمقتها الله ورسوله.

فالحرب الحالية هي جهاد، وهى دفاع عن المقدسات، وهى حرب في سبيل الله وفي سبيل العدالة، وفي سبيل استرجاع الحق المغتصب، وهي دفاع عن النفس وعن المال وعن العرض، وهي محاربة في سبيل الله وفي سبيل الحق، ومن يتخلف عنها فهو غير مؤمن.

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يعيد فلسطين عربية إسلامية كما كانت، وان ينكل بهؤلاء الذين اغتصبوا الحقوق وقتلوا الأبرياء وأسالوا دم الشرفاء، ومن الله يستمد العون والنصر.

وفي سنة ١٩٩٦م فتوى الدكتور يوسف القرضاوي

السفر والسياحة إلى دولة العدو الصهيوني حرام شرعاً وقد أوضح فضيلته في هذه الفتوى أن الإسلام فرض الجهاد لاسترداد الأرض، والمسجد الأقصى أولى الأراضي لتحريره، كما فرض الإسلام مقاطعة العدو المغتصب اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، كما وضحت الفتوى أن السفر للسياحة إلى فلسطين في ظل حراسة اليهود حرام شرعاً.

وهذا نص الفتوى:

"يفرض الإسلام على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، لاسترداد أرضهم المغتصبة، ولا يقبل منهم أن يفرطوا في أي شبر أرض من دار الإسلام، يسلبها منهم كافر معتد أثيم، وهذا أمر معلوم من الإسلام للخاصة والعامة، وهو مجمع عليه إجماعاً قطعياً من جميع علماء الأمة ومذاهبها كافة، لا يختلف في ذلك اثنان، ولا ينتطح فيها عنزان، كما يقال.

وهذا الحكم في أي جزء من دار الإسلام، أيا كان موقعه، من بلاد العرب أو العجم، فكيف إذا كان هذا الجزء هو أرض الإسراء والمعراج، ومربط البراق، ودار المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله أولى القبلتين في الإسلام، وثالث المساجد العظيمة التي لا يشد الرحال إلا إليها.

إن هذا يؤكد وجوب الجهاد والقتال في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وإذا قصَّر المسلمون في الجهاد للذود عن أوطانهم، والدفع عن حماهم واسترداد ما اغتُصب من ديارهم، أو عجزوا عن ذلك لسبب أو آخر، فإن دينهم يفرض عليهم مقاطعة اقتصادية واجتماعية وثقافية **لعدة أسباب:**

أولها: أن هذا هو السلاح المتاح لنا، والقدر الممكن من الجهاد، وقد قال الله تعالى:

{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ} (سورة الأنفال:٦٠)

فلم يأمرنا الله إلا بإعداد المستطاع، ولم يكلفنا ما لا طاقة لنا به فإذا سقط عنا نوع من الجهاد لا نقدر عليه، لم يسقط عنا أبداً ما نقدر عليه.

وفي الحديث الصحيح: "**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**" متفق عليه.

وثانيها: أن تعاملنا مع الأعداء شراء منهم وبيعاً لهم، وسفراً إلى ديارهم يشد من أزرهم، ويقوي دعائم اقتصادهم، ويمنحهم قدرة على استمرار العدوان علينا، بما يربحون من ورائنا، وما يجنونه من مكاسب مادية، وأخرى معنوية لا تقدر بمال، فهذا لون التعاون معهم، وهو تعاون محرم يقيناً، لأنه تعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}. (سورة المائدة:٢)**

وثالثها: أن التعامل مع الأعداء المغتصبين استقبالا لهم في ديارنا، وسفرا إليهم في درياهم، يكسر الحاجز النفسي بيننا وبينهم ويعمل- بمضي الزمن – على ردم الفجوة التي حفرها الاغتصاب والعدوان، والتي من شأنها أن تبقي جذوة الجهاد مشتعلة في نفوس الأمة، وحتى تظل الأزمة توالي من والاها، وتعادي من عاداها، ولا تتولى عدو الله وعدوها المحارب لها، المعتدي عليها، وقد قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء}(سورة** الممتحنة: ١)، وهذا ما يعبرون عنه بـ (التطبيع) أي جعل العلاقات بيننا وبينهم (طبيعية) سمناً على عسل، كأن لم يقع منهم اغتصاب ولا عدوان، وهم لم يكتفوا اليوم بالتطبيع الاقتصادي، إنهم يسعون إلى التطبيع الاجتماعي والثقافي وهو اشد خطراً.

ورابعها: أن اختلاط هؤلاء الناس بنا واختلاطنا بهم، بغير قيد ولا شرط يحمل معه أضراراً خطيرة لنا وتهديداً لمجتمعاتنا العربية الإسلامية، بنشر الفساد والرذيلة والإباحية التي ربوا عليها، أتقنوا صناعتها، وإدارة فنونها، وما وراءها من أمراض قاتلة فتاكة، مثل الايدز وغيره .. وهم قوم يخططون لهذه الأمور تخطيطاً ماكراً، ويحددون أهدافهم، ويرسمون خططهم لتحقيقها بخبث وذكاء، ونحن في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

لهذا كان سد ذرائع هذا الفساد المتوقع فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

في ضوء هذه الاعتبارات نرى أن السفر أو السياحة إلى دولة العدو الصهيوني – لغير أبناء فلسطين – حرام شرعاً، ولو كان ذلك بقصد ما يسمونه السياحة الدينية أو زيارة المسجد الأقصى، فما كلف الله المسلم أن يزور هذا المسجد، وهو أسير تحت نير دولة يهود، وفي حراسة حراب بني صهيون، بل الذي كلُف المسلمون به هو تحريره وإنقاذه من أيديهم وإعادته وما حوله إلى الحظيرة الإسلامية وخصوصاً أنه يتعرض لحفريات مستمرة من حوله ومن تحته لا ندري عواقبها، إنما يدري بها اليهود الذين ينوون إقامة هيكلهم على أنقاضه.**{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}** (سورة الأنفال: ٣٠)

إننا جميعاً نحن إلى المسجد الأقصى، ونشتاق إلى شد الرحال إلى رحابه المباركة، فإن الصلاة فيه بخمسمائة في المساجد العادية.

ولكنا نُبقي شعلة الشوق متقدة حتى نصلي فيه إن شاء الله بعد تحريره وما حوله وإعادته إلى أهله الطبيعيين وهم أمة العرب والإسلام.

ويستطيع المسلم الذي يريد أن يكسب أجر مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى: أن يشد رحاله إلى المسجد النبوي الشريف، فإن الصلاة فيه بألف صلاة في المساجد العادية، أي أن أجرها ضعف أجر الصلاة في المسجد الأقصى فإن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الأقصى.

ومعنى هذا أن الصلاة في المسجد الحرام بمكة المكرمة تعدل مأنتي صلاة في المسجد الأقصى، فمن اشتاق إلى المسجد الأقصى اليوم فيطفئ حرارة شوقه بالسفر إلى المسجد النبوي بالمدينة، أو المسجد الحرام بمكة، حتى يمكن الله الأمة من إعادة الحق إلى نصابه، ورد الأمانات إلى أهلها **{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ}. (سورة الروم: ٤).**

وأما دعوى أن السلام قد حل محل الصراع بيننا وبين بني صهيون فهي دعوى لا تقوم على ساقين، والقدس لم ترد إلينا بل لا يزال قادة الكيان الصهيوني يعلنون أن القدس هي العاصمة الأبدية لدولتهم، لا يزالون يزرعون المستوطناًت من حولها ويغيرون من معالمها،

ولا يزال المسجد الأقصى تحت رحمتهم، وقسوتهم، ولا يزال اللاجئون الفلسطينيون مشردين في الأرض .. ولا يزال السلام المزعوم كله في مهب الريح، ولا يزال .. ولا يزال

هذا ما أقوله للأمة في هذه الآونة الخطيرة التي يراد أن يغيب عنها وعيها بقضاياها، وأن تحقن بمخدرات من الأفكار تفقدها القدرة على الحركة، بل على التمييز بين الصواب والخطأ، لكن الأخطر من هذا كله أن تجر بعض من ينتسبون إلى الدين – ممن فقدوا العلم الواسع أو التقى الرادع – ليفرخوا فتاوى تجيز للأمة أن تضع أيديها مختارة في أيد قاتليها ومغتصبي ديارها الأساسية الكلية الدائمة والقطعية. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، اللهم آمين.

الخاتمة

ماذا يجب علينا تجاه فلسطين؟

حديثنا موجه للأمة الإسلامية شعوباً وحكومات على حد سواء، فكما على الحكومات مسئوليات وواجبات، كذلك على الشعوب مسئوليات وواجبات، وكلاهما يكمل الآخر، ولا يتعارض الدور الشعبي مع الدور الحكومي، كذلك فإن على المؤسسات دور كبير وخطير في دعم القضية الفلسطينية والانطلاق بها.

إن الأحداث أثبتت أن الفلسطينيين قادرون على مواجهة الصهيونية في فلسطين، وكبح جماحها والحد من خطورتها وتمددها إلى خارج فلسطين وتحقيق أحلامهم من النهر إلى النهر، من النيل إلى الفرات، وكما قيل أن وجود الشعب الفلسطيني حال دون أن يحقق اليهود ما يريدون، ولو أن شعباً آخراً غير الفلسطيني هو الموجود في مواجهة اليهود لكان الأمر غير ما نرى.

إذن ماذا يحتاج الشعب الفلسطيني من إخوانهم العرب والمسلمين؟

أولاً. واجب المؤسسات التعليمية:

١. على المؤسسات التعليمية ، الجامعات والمعاهد والمدارس المتخصصة وغير المتخصصة أن تجعل من ضمن مساقاتها التعليمية مبحث أو مساق عن القضية الفلسطينية ويعتبرونه متطلب جامعي يدرسه كل من يدخل الجامعة أياً كان تخصصه، هكذا يفعل اليهود في جامعاتهم وهكذا تفعل كل الدول فيما يتعلق بقضاياهم المصيرية.

٢. على هذه المؤسسات الجامعية أن تزيد من المنح الدراسية العليا في هذا المجال.

٣. عقد الندوات والمؤتمرات واللقاءات الدورية وغير الدورية المتعلقة بهذه القضية.

٤.استقطاب العلماء والباحثين والطلاب من كل بلاد الدنيا ليدرسوا هذه القضية وليقولوا كلمتهم فيها.

ثانياً. واجب أصحاب الشركات ورؤوس الأموال:

١.دعم القضية الفلسطينية ولو بجزء من حصص الضرائب السنوية كما يحدث في أمريكا وأوروبا وكثير من البلاد دعماً لإسرائيل.

٢.الوقوف خلف العلماء ومساندتهم في طرح قضاياهم المتعلقة بالقضية الفلسطينية.

٣.دعم المنظمات الأهلية من مخصصات هذه المؤسسات والشركات التي تكسب المليارات.

٤.دعم صمود أهل بيت المقدس وإنشاء وترميم المنازل والمدارس ودور العبادة والطرق وكل ما يلزم لصمودهم.

٥.إقامة المشاريع في فلسطين لتخفيف البطالة بين أبنائها بدلاً من جلب العامل الأجنبي الذي يضر أكثر مما يفيد.

ثالثاً. واجب المثقفين والكتاب:

١.الكتابة عن القضية الفلسطينية وبيان الحقيقة للجماهير.

٢.الوصول للآخر ومخاطبته بما يتلاءم مع ثقافته واستمالته لصالح قضيتنا.

٣.المشاركة في كل الفعاليات ذات التأثير الايجابي على القضية.

٤.الوقوف في وجه كل الحملات التشكيكية المضادة.

٥.القيام بدورهم المطلوب حفظاً للأمانة وقياماً بالمسؤولية الواجبة.

٦.عدم خيانة الله والوطن.

٧.أخذ القدوة والمثل من عدونا الذي يخلص لقضيته وموقف دولته وهو يعلم أنه على باطل.

رابعاً. موقف الشعوب وواجبها:

إن الشعوب تلعب دوراً كبيراً في التغيير والإصلاح، وتقويم المعوج ... لهذا :

١.عليها أن لا تسكت عن تقصر حكوماتها.

٢.تقديم العون والمساندة بكل الأشكال المتاحة.

٣.التظاهر والاعتصامات والاحتجاجات.

٤.الالتفاف حول القيادات الصادقة ومساندتها.

٥.مقاطعة كل ماله علاقة بعدونا ومن يسانده.

خامساً. أما موقف الحكومات العربية والإسلامية:

١. الخروج من حالة اليأس التي وضعوا فيها أنفسهم.

٢. الوقوف وقفة عز ونخوه.

٣. البعد عن الأنانية والتحزب والتمزق.

٤. محاولة توحيد الموقف حقيقة لصالح القضية.

٥. أن يدعموا القضية وشعبها دعماً حقيقياً غير كاذب.

٦. أن يقدموا الأوجب فيما يتعلق بهذه القضية.

إن الشعب الفلسطيني هو رأس الحربة في مواجهة العدو الصهيوني والرأس دون بقية الجسد لا تعمل، وفلسطين ليست ملكاً للفلسطينيين وحدهم والأقصى ليس ملكاً للفلسطينيين وحدهم، إن فلسطين هي وقف إسلامي ملك للعرب والمسلمين، لم يستطيع أن يفرط بها آل عثمان (الدولة العثمانية)، ثم نأتي نحن فنفرط بها بشكل مخزي ومذل.

الملاحق

ملحق رقم (١)

مؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول الإسلامية

عقد ملوك ورؤساء وأمراء الدول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي اجتماعاً استثنائياً في الدوحة يوم ٥ مارس ٢٠٠٣م لتدارس الأوضاع بالغة الخطورة التي تسود الأراضي الفلسطينية والمقدسات الإسلامية والمسيحية من أوضاع صعبة ومأساوية وجرائم وحشية نتيجة الحرب التي تشنها إسرائيل منذ ثلاث سنوات متتالية ضد الشعب الفلسطيني مستخدمة جميع أنواع الأسلحة من طائرات ودبابات وصواريخ وزوارق حربية، مما أدى إلى سقوط آلاف الشهداء والجرحى وعشرات الآلاف من المعتقلين من المواطنين الفلسطينيين العزل، وتستمر إسرائيل في احتلالها للمدن والقرى الفلسطينية وعزلها عن العالم الخارجي وإقامة مئات الحواجز والخنادق وإحكام الحصار على المواطنين والمواد الطبية والتموينية وتدمير للبنى التحتية والمؤسسات والمراكز الفلسطينية والمعاهد والمباني الجامعية والعلمية ودور العبادة والمستشفيات، وتدمير المنازل على ساكنيها وتجريف الأراضي وإتلاف المزروعات وإغلاق معابر الحدود بهدف إخضاع وتجويع الشعب الفلسطيني وزيادة معاناته.

يأتي هذا العدوان الإسرائيلي الغاشم المدبر والمقصود في إطار السياسية الإسرائيلية المستمرة الرامية إلى فرض الأمر الواقع وتهويد مدينة القدس الشريف وتقويض جميع الجهود الإقليمية والدولية الهادفة إلى وقف العدوان واستئناف العملية السلمية.

يؤكد القادة وقوف الأمة الإسلامية كافة إلى جانب الشعب الفلسطيني وقيادته الشرعية والوطنية بقيادة الرئيس المناضل ياسر عرفات من أجل استرداد حقوقه وفق قرارات الشرعية الدولية وانسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧م وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً طبقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤، كما يؤكدوا مجدداً مواصلة تقديم جميع أشكال الدعم السياسي والمعنوي والمادي للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع في مقاومة الاحتلال .

ويؤكد القادة الموقف الإسلامي من قضية القدس وأهميتها للعالم الإسلامي وخاصة ما تضمنتها لجنة القدس في دورتها التاسعة عشرة التي ترأسها جلالة الملك محمد السادس، وهو الموقف الذي يؤكد دعم موقف دولة فلسطين الذي يستند إلى التمسك بالسيادة على القدس الشرقية باعتبارها عاصمة دولة فلسطين المستقلة.

كما يدين القادة السياسة العدوانية المنهجية لسلطات الاحتلال الإسرائيلي في مصادرة الأراضي الفلسطينية وإقامة المستوطنات عليها وتوسيعها وإقامة الحواجز وجدار الفصل العنصري وشق الطرق الالتفافية وكل النشاطات الاستيطانية الأخرى التي تعد انتهاكاً سافراً لقرارات الأمم المتحدة والقانون الدولي الإنساني وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م، ويعتبرون المستوطنات لاغية وباطلة ولا أثر قانوني لها ويجب تفكيكها بموجب قرار مجلس الأمن رقم ٤٦٥.

ويدين القادة الانتهاكات المنهجية والجسيمة الواسعة النطاق لحقوق الإنسان التي تقترفها سلطات الاحتلال الإسرائيلي وخاصة أعمال القتل الجماعي والعقوبات الجماعية كهدم المنازل وإغلاق المناطق الفلسطينية وهي إجراءات تمثل إرهاب دولة وجرائم حرب ضد الإنسانية وكلها تمثل خرقاً جسيماً للقانون الدولي الإنساني وانتهاكاً صارخا لحق الشعب الفلسطيني في الحياة، ويدعو القادة إلى عقد اجتماع للأطراف السامية المتعاقدة على اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م للنظر في انتهاكات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة .

ويطالب القادة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بتحمل مسؤولياتهم في حفظ الأمن والسلم الدوليين بإجبار إسرائيل على وقف عدوانها الغاشم على الشعب الفلسطيني وتأمين الحماية الدولية اللازمة له درءاً للانتهاكات الخطيرة التي يتعرض لها إلى أن يتمكن من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة وفق قرارات الشرعية الدولية.

ويؤكد القادة أهمية استمرار التركيز الإعلامي على تطورات الأوضاع في الأراضي الفلسطينية المحتلة وبذل جهود إعلامية متواصلة تجاه وسائل الإعلام الدولية لفضح انتهاكات حقوق الإنسان الفلسطيني ولاستنهاض الضمير العالمي ولحشد التضامن والتعاطف الدولي مع الشعب الفلسطيني في كفاحه الوطني المشروع، ويدعو القادة إلى تخصيص دعم

مالي عاجل للسلطة الفلسطينية تخصصه الدول الأعضاء لسداد الاحتياجات الطارئة الناجمة عن العدوان الإسرائيلي المستمر والمتصاعد لعامه الثالث على التوالي بما يحقق لها الاستمرار في تقديم الخدمات الطبية والتعليمية ومساعدة مئات الآلاف من العاطلين عن العمل وبما يدعم صمود الشعب الفلسطيني وأسر الشهداء والجرحى والأسرى وبما يمكن من الحد الأدنى من إعادة البناء وإعادة زراعة ما جرفته الآلة العسكرية الإسرائيلية وإصلاح الطرق والبنى التحتية .

ويؤكد القادة تبنيهم لمبادرة السلام العربية .

إن القادة إذ يتطلعون إلى وقف نزيف الدم والتدهور في المنطقة فإن المؤتمر يؤكد ضرورة التحرك الفوري للمجتمع الدولي وخاصةً مجموعة الأربعة الولايات المتحدة والاتحاد الروسي والاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدة **من أجل** :

- وقف العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ووقف عمليات الاغتيال والاعتقالات وهدم المنازل وتدمير البنى التحتية وتدمير وانتهاك الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية.
- الوقف الفوري لجميع الإجراءات الإسرائيلية العدوانية ضد مدينة القدس الشريف وبقية المدن الفلسطينية لاسيما سياسة التهويد والاستيطان وهدم منازل الفلسطينيين والاستيلاء على أراضيهم وتغيير معالم مدنهم والوقف الفوري لسياسة عزل مدينة القدس الشريف عن محيطها الفلسطيني وإقامة الحواجز حولها ومنع الفلسطينيين من دخولها ووصول أماكنهم الدينية فيها.
- حمل إسرائيل على وقف بناء الجدار العنصري الذي يلتهم الأرض الفلسطينية ويخلق وقائع مجحفة بحق حدود الدولة الفلسطينية، ويزيد من تفاقم الأوضاع في المنطقة.
- انسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي ورفع الحصار الداخلي والخارجي ورفع جميع الأطواق المفروضة على المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية ووقف جميع الإجراءات والممارسات الإسرائيلية غير الإنسانية ضد الشعب الفلسطيني والمخالفة لكافة المواثيق والأعراف الدولية.

- وقف جميع أعمال الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها مدينة القدس.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية.
- تأمين الحماية الدولية للشعب الفلسطيني ضد الجرائم التي يتعرض لها ضمن الحرب العدوانية الإسرائيلية.
- السماح بدخول المواد الغذائية والطبية إلى الأراضي الفلسطينية، والإفراج عن أموال السلطة الفلسطينية المحتجزة لدى إسرائيل.
- استئناف المفاوضات وفق الأسس التي قامت عليها قرارات مجلس الأمن وخاصة ٢٤٢، ٣٣٨، والأرض مقابل السلام ومن النقطة التي توقفت عندها، وفق جدول زمني محدد وأفق سياسي يرتكز على قرارات مجلس الأمن الدولي ذات الصلة، ومبادرة السلام العربية التي تضمن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف على الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م وحل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً وفق قرارات الشرعية الدولية، خاصة القرار ١٩٤.

ملحق رقم (٢)

كراهية اليهود

أفرد المؤرخ الكبير ول ديورانت فصلاً كاملاً تحت هذا العنوان

ترى ما هو منشأ العداء القائم بين غير اليهود واليهود؟

لقد كانت الأسباب الرئيسية الباعثة على هذا العداء أسباباً اقتصادية، ولكن الخلافات الدينية كانت على الدوام سبباً في زيادة المنافسات الاقتصادية وستاراً لها، فالمسلمون المؤمنون برسالة محمد يغضبهم من اليهود عدم إيمانهم بهذه الرسالة، والمسيحيون الذين يؤمنون بألوهية المسيح يؤلمهم أن يجدوا شعبه نفسه لا يؤمن بهذه الألوهية.

نشأت حول هذا السبب الرئيسي من أسباب سوء التفاهم عشرات المئات من أسباب الريبة والعداء، وتحمل رجال المصارف اليهود أكبر آثار العداء الناشئ من أسعار فائدة القروض... وأخذ بعض المرابين المسيحيين يبذرون بذور الحقد على السامية وكان اليهود الذين يشغلون مناصب رسمية وبخاصة في المصالح المالية للحكومات المسيحية هدفاً طبيعياً لمن يكرهون الضرائب واليهود كليهما.

وتأصلت هذه الأحقاد الاقتصادية والدينية في الصدور فأصبح كل ما هو يهودي بغيضاً لبعض المسيحيين وكل ما هو مسيحي بغيضاً لبعض اليهود، فأخذ المسيحيون يعيبون على اليهود عزلتهم ولم يغفروا لهم هذه العزلة التي كانت رد فعل لتمييز غيرهم عليهم، وما كان يوجه إليهم من اعتداء في بعض الأحيان، ومدت ملامح اليهود ولغتهم وآدابهم وأطعمتهم وشعائرهم، بدت هذه كلها في أعين المسيحيين غريبة كريهة، ثم إن اليهود كانوا يطعمون حين يصوم المسيحيون، ويصوم أولئك حين يفطر هؤلاء.

وظل يوم راحتهم وصلواتهم يوم السبت كما كان في قديم الأيام، على حين أن يوم الراحة والصلوات عند المسيحيين قد تبدل فأصبح يوم الأحد وكان اليهود يحتفلون بنجاتهم السعيدة من مصر في عيد فصح قريب قرباً يراه المسيحيون غير لائق من يوم الجمعة الذي يحزنون فيه لموت المسيح (في زعمهم) ولم تكن الشريعة اليهودية تبيح لليهود أن يأكلوا طعاماً مسته يد غير يهودية أو يشربوا خمراً عصرته يد غير يهودية، أو يستعملوا آنية

لمستها يد غير يهودية، أو أن يتزوجوا إلا من يهوديات، وكان المسيحي يفسر هذه القواعد القديمة التي وضعت قبل نشأة المسيحية بزمن طويل بأن اليهود يرون أن كل شيء مسيحي نجس ويرد على هذا بأن الإسرائيلي نفسه لم يكن في أغلب الأحيان يمتاز بنظافة جسمه أو أناقة ثيابه.

ونشأت من عزلة هؤلاء وأولئك بعضهم عن بعض أقاصيص سخيفة مخزية انتشرت بين كلا الطرفين.

أخذ المسيحيون في القرن الثاني عشر يتهمون اليهود باختطاف أطفال المسيحيين ليقدموهم قرباناً إلى يهوه، أو ليتخذوا دماءهم دواء، أو يستعملوه في صنع الخبز الفطير لعيد الفصح، وأتهم اليهود بأنهم يسممون الآبار التي يشرب منها المسيحيون ويسرقون الرقاق المقدس ليثقبوه ويخرجوا منه دم المسيح، ولما أن تتباهى عدد قليل من تجار اليهود بثرائهم وأظهروا هذا الثراء بارتداء الملابس الغالية الثمن أتهم الشعب اليهودي على بكرة أبيه بأنه يستنزف أموال المسيحيين جملة ويضعها في أيدي اليهود.

واتهمت اليهوديات بأنهن ساحرات، وقيل إن كثيراً من اليهود من حزب الشيطان.

كان اضطهاد اليهود بقوة في أوروبا أثناء العصور الوسطى متقطعاً، فقد جرى الأباطرة البيزنطيون مائتي عام على خطة العسف التي جرى عليها جستنيان ضد اليهود وطردهم هرقل من أورشليم عقاباً لهم على ما قدموا للفرس من معونة وبذل كل ما في وسعه لإبادتهم وحاول "ليو الإسوري" أن يفند الإشاعة القائلة بأنه يهودي بقرار إصداره عام ٧٢٣م يجيز فيه اليهود البيزنطيين بين اعتناق الدين المسيحي أو النفي، فمن اليهود من خضع لهذا القرار ومنهم من احرقوا أنفسهم في معابدهم مفضلين هذا على الخضوع له.

ولما دعا البابا الثاني إربان إلى الحروب الصليبية الأولى في عام ١٠٩٥م ظن بعض المسيحيين أنه يحسن بهم أن يقتلوا يهود أوروبا قبل أن يخرجوا لقتال الأتراك في أورشليم، فلما قبل "جدفري البوبوني" قيادة الحملة أعلن أنه سيثأر لدماء المسيح من اليهود ولن يترك واحداً منهم حياً وجهر رفاقه بعزمهم على أن يقتلوا كل من لا يعتنق المسيحية من اليهود ... فكانت أحداثاً دامية.

وأنذرت الحرب الصليبية الثانية بأنها ستفوق الحرب الأولى من هذه الناحية فقد أشار بطرس المبجل القديس رئيس دير كلوني على لويس السابع ملك فرنسا أن يبدأ بمهاجمة اليهود الفرنسيين وقال (لست أطالبك بأن تقتل أولئك الخلائق الملاعين، لأن الله لا يريد محوهم من الوجود، ولكنهم يجب أن يقاسوا أشد العذاب كما قاساه، ثم يبقوا ليلاقوا هواناً أقسى من العذاب وعيشاً أمر من الموت) (١).

هكذا استمرت العداوة لليهود تنتقل من إدارة مسيحية إلى أخرى ومن زمن إلى آخر أشد وأقصى، هذا كله بما جنت يد يهود من غدر وخيانة وبما انطبع عليه القلب من خسة وحقارة.

انطلاقاً من حقد اليهود على البشرية واعتماداً منهم على مبادئهم الهدامة وعقائدهم الملحدة، وآمالهم المريكة، المرتكسة، المنعكسة إلى الخلف واستناداً إلى أخلاقهم السافلة وأفكارهم المريضة ونفسياتهم القذرة وتقاليدهم وعاداتهم وقيمهم المنغمسة في مستنقع الرذائل وميلاً منهم إلى كل فساد. حاولوا ولا يزالون يحاولون في كل آن وفي كل قطر أن يتغلغلوا برذائلهم وإلحادهم ووثنيتهم في المجتمعات الإنسانية بقصد تدمير عقائدها ومبادئها وتحطيم كل أمل لديها وإشاعة الفرقة والبغضاء بينها، وإرهابها وتحويل مسارات تقدمها الحضاري والعلمي الى طريق معاكس.

واليهود يفعلون هذا وغيره عن طريق المال، الذي يسيطرون عليه نتيجة للمرابات والاحتيال والسرقة والخديعة. وعن طريق بث سمومهم وأوهامهم باسم البحث العلمي فمثلاً في نظريات ذات طابع انهزامي وتشكيكي وإلحادي، وغير ذلك من النظريات والأفكار والأوهام والاتهامات التي لا تخفى شرورها عن ذي عقل.

ليس هذا فحسب، بل كون هؤلاء الأبالسة اليهود الجمعيات والأحزاب والمؤسسات السرية والعلنية في كل بلد عاشوا فيه، أو عاش فيه عملاؤهم وأشياعهم، حالمين بالسيطرة على البشرية جمعاء عن طريق تلك الأحزاب والجمعيات والمؤسسات، بما تقوم به من أعمال خبيثة، وما تبثه من فرقة بين الشعوب بل بين أفراد الشعب الواحد وما تنفثه من سموم قتالة،

---

[1] . قصة الحضارة ول ديورأنت ج١٤ ٧٩ ــ ٩٤ بتصرف

وما تنشره على الملأ من شبهات على الناس من خطط شيطانية يهودية المنزع وفي قوالب فكرية موحية تحمل بين طياتها معاول الهدم، والتدمير بقصد إنهاك قوى الخير والإجهاز عليها، وإنهاء كل مقاومة للشر والفساد. (١)

ويعقب الأستاذ سيد قطب يرحمه الله عند قوله تعالى:

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} (سورة الأعراف: ١٦٧)

هو إذن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب. والذي سيظل نافذاً في عمومه، فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب وكلما انتفشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن يسلطهم الله من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية، ولا تتوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف.

ولقد يبدو أحياناً أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزت واستطالت وإن هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ.. ولا يدري إلا الله من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية وما بعدها إلى يوم القيامة. (٢)

ويقول الدكتور محمد سيد طنطاوي:

ولقد يبدو للبعض أن هذا الوعيد لليهود قد توقف بسبب ما نرى لهم الآن من دولة وصولة، ولكن الذي نعتقده أن هذا الوعيد ما توقف مع مالهم من دولة، فإنهم ما زالوا محل احتقار الناس وبغضهم، وحتى الدول التي تناصرهم إنما تناصرهم لأن السياسة تقتضي ذلك بينما شعوب هذه الدول تكره أولئك اليهود وتزدريهم وتنفر منهم.

وما قامت لليهود تلك الدولة إلا لأن المسلمين قد فرطوا في حق خالقهم، وفي حق أنفسهم، ولم يأخذوا بالأسباب التي شرعها الله لهم لحرب أعدائهم فكانت النتيجة أن أقام

---

١. البحث عن الحقيقة: محمد أبو القاسم الحاج ص ٢٦٩ – ٢٧٠.
٢. في ظلال القرآن – سيد قطب ج٣ ١٣٨٦.

اليهود دولة لهم في قلب البلاد الإسلامية وعندما يعود المسلمون إلى الأخذ التام الكامل بتعاليم دينهم والى مباشرة الأسباب التي شرعها الله مباشرة سليمة، عندما يفعلون ذلك تعود إليهم عزتهم المسلوبة وكرامتهم المغصوبة ...

هذا وما أخبر به القرآن من أن الله تعالى قد توعد بني إسرائيل واخبرهم بأنه سيسلط عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب بسبب كفرهم وفسوقهم قد شهد بصدقه التاريخ، وأيدته الحوادث **وهذه نماذج قليلة من تلك العقوبات التي نزلت بهم في الأزمنة المختلفة:**

أولاً: بعد وفاة سليمان عليه السلام حوالي ٩٧٥ ق.م. **انقسمت مملكته إلى قسمين:**

مملكة الشمال: واسمها إسرائيل ومقرها السامرة وتتكون من الأسباط العشرة.

ومملكة الجنوب: واسمها يهوذا ومقرها أورشليم وتتكون من سبطى يهوذا وبنيامين.

وقد استمرت المنازعات بين المملكتين مدة طويلة، انتهت بانقضاض سرجون ملك آشور على مملكة الشمال إسرائيل سنة ٧٥١ ق.م فقتل الآلاف من رجالها وأسر البقية منهم فرحلهم إلى ما وراء نهر الفرات وقضى على هذه المملكة قضاء لم تقم لها بعده قائمة.

وأما مملكة الجنوب أورشليم فقد حاولت أن تتشبث بالبقاء ولكن معاول الهدم غزتها من الشرق ومن الجنوب وكانت نهايتها على يد بختنصر البابلي سنة ٥٨٦ق.م.

ثانياً: استرد اليهود بعض أنفاسهم بعد وقوعهم تحت حكم الفرس من حوالي سنة ٥٣٦إلى ٣٣٢ ق.م فقد عادوا إلى فلسطين ووقعوا تحت سيطرة الاسكندر المقدوني.

وفي سنة ٣٢٠ ق.م سار إليهم بطليموس خليفة الاسكندر فهدم القدس ودك أسوارها وأرسل منهم مائة ألف أسير إلى مصر لأنهم ثاروا عليه.

وتوالت عليهم القرون كل قرن يحمل لهم من المذلة والمهانة أصنافاً وألواناً :

احتلهم السلوقيون بعد انتصارهم على البطالمة فنكلوا بهم وهدموا هيكلهم، ثم احتلتهم الرومان ففعلوا بهم ما فعلوا. حتى جاء زمن الإسلام فعامل اليهود أجمل معاملة ملؤها الرحمة والعدل، إلا أنهم خانوا وغدروا.. حتى كان آخر كلام النبي عليه السلام (أخرجوا

اليهود من جزيرة العرب لا يبقى في جزيرة العرب دينان)(١) وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم إخراج اليهود من جزيرة العرب.

أما ما حل باليهود على يد الدول الغربية:

في بريطانيا عام ١٣٢٨م أصدر الملك ادوارد الأول أمراً بطرد اليهود من جميع البلاد البريطانية في غضون ثلاثة أشهر.

في فرنسا زمن لويس التاسع أمر بحرق جميع كتبهم المقدسة وهكذا حدث لهم في كل بلاد أوروبا أشكالاً وأصنافاً من العذاب.

وفي كل البلاد التي نزل بها اليهود تعرضوا لنقمة السكان وغضبهم وازدرائهم، يستوي في ذلك تاريخهم القديم والوسيط والحديث، لقد أنزل العالم بهم ضربات قاصمة وعقوبات صارمة، شملت التنكيل والطرد والسجن والقتل ومصادرة الأموال.

ويقرر أحد الكتاب الغربيين أن كل الأمم المسيحية اشتركت في اضطهاد اليهود وإنزال مختلف العقوبات بهم وكانت القسوة مع اليهود تعد مأثرة يمدح المسيحيون بعضهم بعضاً عليها.

هذا الشيء الذي نؤكده بعد سرد هذه النماذج من العقوبات التي نزلت باليهود في مختلف العصور والأمم، هو أن اليهود هم المسئولون عن كل اضطهاد وقع بهم، وأنهم مستحقون لهذه العقوبات **لأسباب من أهمها:**

١. أنانيتهم وأطماعهم التي لا حدود لها، فقد سوغت لهم أنانيتهم أن العالم ملك لهم بكل من فيه وما فيه وأنانية اليهود وجشعهم وأكلهم أموال الناس بالباطل جعلهم محل نقمة العالم وغضبه.

٢. غرورهم وتعاليهم فاليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار، وأن العالم ينقسم إلى قسمين اليهود وهم أصحاب الحظوة عند الله وغير اليهود وهم كفرة وثنيون وبهائم وأنجاس، ونتيجة لهذا الغرور والتعالي على الذي تميز به اليهود وأهدروا بسببه كل حق أو كرامة لسواهم من الناس، قام غيرهم من الأمم ليدافع عن

[١] . أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ح(١٨٧٥٠)، كتاب الجزية، باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك، ٣٥٠/٩.

حقه الذي سلبوه منهم وليوقع بهم أقسى العقوبات جزاء غرورهم الكاذب وتعاليهم الباطل.

٣. عزلتهم وعصبيتهم وخيانتهم للبلاد التي آوتهم فهم متعصبون متحزبون، لا يجمعهم حب بعضهم لبعض ولكن تجمعهم كراهية من ليس على ملتهم، كما يجمعهم الحقد على العالم بأسره.

وقد تسبب عن عزلتهم وعصبيتهم أمور خطيرة. فقد نظروا إلى من سواهم من الأمم نظرة كلها عداء وريبة وحذر وصار طابعهم في كل زمان ومكان عدم الإخلاص لأية هيئة دينية أو دنيوية وعدم الولاء للأوطان التي يعيشون فيها ويأكلون من خيراتها، وإنما يجعلون ولائهم لجماعتهم ومصالحهم الخاصة دون غيرها لأن اليهودي يهودي قبل كل شيء مهما تكن جنسيته، لهذا كان جزاؤهم الذي وقع عليهم جزاءً عادلاً.

٤. اضطهادهم لغيرهم حتى ملكوا القدرة الظاهرة أو الخفية لذلك وتاريخ اليهود ملطخ بجرائم القتل والذبح والنهب والسلب والغدر والبطش بغيرهم ومليء بالمجازر التي قاموا بها ضد الشعوب التي كان لهم النصر عليها وقد ساعدهم على ذلك ما أمرتهم به كتبهم من قتل وإذلال لغيرهم متى واتتهم الفرصة عليه.

والحق أن مفاهيم اليهود الباطلة وأنانيتهم الطاغية وطباعهم اللئيمة وأخلاقهم الفاسدة وعصبيتهم الذميمة وقلوبهم القاسية واستباحتهم لقتل غيرهم وإهدار كرامته كل ذلك جعلهم محل نقمة العالم وغضبه وبسبب هذه الأخلاق المرذولة سلط الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ومن يمزقهم شر ممزق.(١)

[1] التفسير الوسيط – محمد سيد طنطاوي جـ٥ ص٤١٤-٤٢٤ بتصرف.

ملحق (٣)

موثوقية التوراة

نحن المسلمون نؤمن أن الله أنزل على سيدنا موسى عليه السلام كتاباً سماوياً اسمه التوراة.

فهي جزء هام من عقيدة المسلمين لا يكون المسلم مؤمناً إلا إن آمن بها، إلا أن القرآن الكريم ذكر لنا في أكثر من موضع أن اليهود حرفوا هذه التوراة **قال تعالى:{مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ }** (سورة النساء: ٤٦) **وقال تعالى {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }**(سورة البقرة: ٧٥) **وقال تعالى: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ}** (سورة **البقرة: ٧٩**).

يعتقد اليهود والنصارى أن موسى هو كاتب التوراة الحالية ويعتمدون على نصوص في التوراة تقول بذلك. ولكن الشواهد أثبتت أن موسى عليه السلام ليس له صلة بكتابة التوراة الحالية. **كيف؟ سنرى:**

١. التوراة مكتوبة بصيغة الغائب ولو كان موسى كاتبها لكتبها بصيغة المتكلم.

٢. ورد في سفر العدد ٣/١٢ " **أما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض** " (١)

وورد في سفر الخروج ٣/١١ " **أيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب** " (٢)

ومن المستحيل أن يكون موسى قال هذا الكلام عن نفسه.

[1] . العهد القديم، سفر العدد، الإصحاح ٣/١٢ ص ٢٣١.
[2] . المصدر السابق، سفر الخروج، الإصحاح ٣/١١، ص١٠٤.

٣. ورد في سفر التثنية ٣٤/٥-١١ " **فمات هناك موسى عند الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغورا ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم...**"(١)

وليس معقولاً أن يكون موسى كتب التوراة بنفسه بعد موته وكتب كيف مات وماذا فعل بنو إسرائيل من بعده.

٤. ورد في سفر التكوين ٣٦/٣١ " **وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أروم قبلما مَلكَ مَلِكُ بني إسرائيل**"(٢)

إن كاتب هذه العبارة لا بد أن يكون قد عاش في عصر الملوك والمعروف أن اليهود لم يعرفوا عصر الملكية إلا في عهد شاول (طالوت) أي بعد موسى بقرنين.

٥. ورد في سفر التكوين أن يوسف عليه السلام قال " **لأني قد سرقت من أرض العبرانيين**" وفي ذلك الوقت لم تكن فلسطين تعرف بأرض العبرانيين وإنما أرض كنعان وسميت أرض العبرانيين بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد بعد استيلاء اليهود عليها، فالكاتب بالتأكيد عاش بعد موسى.

٦. ورد في سفر التكوين اسم مدينة دان وهذه المدينة كانت تسمى لايش، وسميت دان لأول مرة في عهد القضاة كما هو مذكور في سفر القضاة.

٧. جاء في سفر التثنية أن موسى أوصى شيوخ اليهود إن دخلوا فلسطين أن يبنوا مذبحاً من الحجارة ويكتبوا كلمات التوراة على حجارة المذبح ومعنى ذلك أن التوراة كانت كتاباً صغيراً يمكن أن يكتب على مجموعة من الأحجار وليست هذه الأسفار الخمسة كبيرة الحجم.(٣)

---

[1] المصدر السابق، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤/٥-١١، ص٣٣٦.
[2] . نفس المصدر ص٦٠.
[3] . حول موثوقية الأناجيل والتوراة- محمد السعدي ص٩٩-١٠١ بتصرف.

ملحق (٤)

الخطر اليهودي

الرئيس الأمريكي "فرانكلين" يحذر الولايات المتحدة الأمريكية من الخطر اليهودي فيقول[١] :

"أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية وذلك الخطر هو (اليهود) .

أيها السادة: حيثما استقر اليهود، نجدهم يهينون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم لا يندمجون بالشعب، لقد أقاموا حكومة داخل حكومة، وحينما يجدون معارضة من أحد فإنهم يعملون على خنق الأمة مالياً كما حدث للبرتغال واسبانيا.

إذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور، ففي أقل من مائة سنة سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة، تجعلهم يحكموننا ويدمروننا، ويغيرون شكل الحكومة التي ضحينا وبذلنا لإقامتها دمائنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا ..

إذا لم يستثن اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة، فإنه لن يمضي أكثر من مائتي سنة، ليصبح أبناؤنا عمالاً في الحقول لتأمين الغذاء لليهود .

إني أحذركم – أيها السادة – إذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة إلى الأبد، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم، إن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال، كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه، اليهود خطر على البلاد، وإذا دخلوها فسوف يخربونها ويفسدونها " .



(١) من خطاب ألقاه بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور سنة ١٧٨٩م .

المصادر والمراجع

أولاً / الكتب السماوية:

١. القرآن الكريم.

٢. العهد القديم – التوراة دار الكتاب المقدس قبرص ١٩٨٨.

٣. الإنجيل – كتاب الحياة دار الثقافة – القاهرة ١٩٨٢.

ثانياً / كتب الحديث الشريف:

٤. سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد القزويني– المكتبة العلمية – بيروت .

٥. سنن أبي داود بن الأشعث– الدار المصرية اللبنانية– القاهرة– ١٩٨٨.

٦. سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي– المكتبة السلفية– المدينة المنورة.

٧. السنن الكبرى– أحمد بن الحسين البيهقي– دار الكتب العلمية –بيروت–الاولى– ١٩٩٤.

٨. سنن النسائي – محمد بن شعيب – دار الحديث – القاهرة – ١٩٨٧

٩. صحيح البخاري– محمد بن إسماعيل – المكتبة العصرية– بيروت – ١٩٩٧ الأولى.

١٠. صحيح مسلم– مسلم بن الحجاج – دار السلام – القاهرة – ١٩٩٦ الثالثة.

١١. فتح الباري – أحمد بن علي العسقلاني – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٦ .

١٢. مجمع الفوائد ومنبع الفرائد – على بن أبي بكر الهيثمي– دار الكتاب العربي– بيروت– ١٩٨٢.

١٣. المستدرك – للحاكم النيسابوري – دار المعرفة– بيروت.

١٤. المسند – أحمد بن حنبل– دار الحديث – القاهرة– ١٩٩٥ الأولى.

١٥. النهاية – ابن الأثير – دار الفكر– بيروت.

ثالثاً / كتب التفسير وعلومه:

١٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د. محمد سيد طنطاوي – دار النهضة مصر – القاهرة – ١٩٩٧ الأولى.

١٧. الجامع لأحكام القرآن– محمد بن أحمد القرطبي– دار الشام للتراث– بيروت.

١٨. روح المعاني– محمود الألوسي – دار الفكر– بيروت.

١٩. في ظلال القرآن– سيد قطب– دار الشروق – القاهرة – ١٩٧٨ السابعة.

١٨ . الكشاف– جار الله محمود الزمخشرى– مكتبة مصر– القاهرة – ٢٠٠٠ الأولى .

رابعاً / المعاجم والقواميس:

١٩. قاموس الكتاب المقدس – د. بطرس عبد الملك – مجمع الكنائس – في الشرق الأدنى – القاهرة ١٩٧١ الثانية.

خامساً / الفكر الإسلامي:

٢٠. البحث عن الحقيقة – محمد أبو القاسم الحاج – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية– بنغازي– ١٩٩٠ الأولى.

٢١. بنو إسرائيل في القرآن والسنة _ محمد سيد الطنطاوي _ دار الشروق _ القاهرة _ الأولى ١٩٩٧ .

٢٢. حول موثوقية الأناجيل والتوراة – محمد السعدي – جمعية الدعوة الإسلامية – طرابلس– ١٩٨٦ الأولى.

٢٣. الأديان المعاصرة – راشد عبد الله الفرجان – جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – بنغازي– ١٩٨٥ الثانية.

٢٤. فتاوى الأزهر– جواد رياض– مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة– ١٩٩٨ الأولى.

٢٥. مثير الغرام على زيارة القدس والشام – شهاب الدين المقدسي– دار الجيل– بيروت– ١٩٩٤.

٢٦. المشروع الإسلامي المعاصر– د.فتحي الشقاقي – ١٩٨٨.

سادساً / التاريخ:

٢٧. ْ الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ – محمود عبد الحليم الدعوة – الإسكندرية – ١٩٨٩ الأولى.

٢٨. الإخوان المسلمون في حرب فلسطين – كامل إسماعيل – دار الكتاب العربي – القاهرة – ١٩٥١ الأولى.

٢٩. أنتماء فلسطين–جواد بحر النتشة–مركز دراسات المستقبل– الخليل – ٢٠٠٦ الأولى.

٣٠. تاريخ دمشق– ابن عساكر – دار الفكر– بيروت ١٩٩٧.

٣١. تاريخ الرسل والملوك– محمد بن جرير الطبري–دار المعارف–القاهرة–١٩٦٧ الثالثة.

٣٢. الحروب الصليبية– د. سعيد عبد الفتاح عاشور– الانجلو المصرية– القاهرة– ١٩٩٩ الخامسة.

٣٣. رحلة الدم الذي هزم السيف– د. رفعت سيد أحمد– مركز يافا للدراسات والأبحاث – القاهرة– ١٩٩٧ الأولى.

٣٤. الفاروق عمر بن الخطاب – محمد رشيد رضا ، المكتبة السلفية – القاهرة .

٣٥. فلسطين: تاريخها وقضيتها – مؤسسة الدراسات الفلسطينية – ٢٠٠٣.

٣٦. فلسطين: القضية – الشعب– الحضارة – بيان نويهض الحوت – دار الاستقلال – بيروت– ١٩٩١.

٣٧. قصة الحضارة – ويل ديورأنت – دار الفكر – بيروت – الأولى – ١٩٩٢ .

٣٨. القضية الفلسطينية– جواد الحمد وآخرون – دار البشير – عمان – ١٩٩٧ الأولى.

٣٩. مكانة بيت المقدس – جواد بحر النتشة – مركز دراسات المستقبل– الخليل – ٢٠٠٦ الأولى.

الدوريات /

٤٠. مجلة العربي – الكويت.

٤١. المختار الإسلامي – القاهرة.

٤٢. موقع قناة الجزيرة الفضائية على الانترنت :

٤٣. www.Aljazeera.net

٤٤. موقع المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان :

٤٥. www.pchrgaza.org

كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:

أولاً. الدراسات القرآنية:

١. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة).

٣. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة).

٤. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة).

٥. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:

٦. قضايا حديثية. (دراسة).

٧. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة).

٨. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

ثالثاً. دراسات في العقيدة والفكر:

١١. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

١٢. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

١٣. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة).

١٤. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة).

١٥. عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة: عرض ونقد. (دراسة)

١٦. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة).

١٧. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).

١٨. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).

١٩. شرع من قبلنا (دراسة).

٢٠. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة).

٢١. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).

٢٢. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

٢٣. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

٢٤. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.

٢٥. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.

٢٦. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

٢٧. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

٢٨. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

٢٩. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة).

٣٠. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة).

٣١. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة).

٣٢. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).

٣٣. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة).

٣٤. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة).

٣٥. رمضانيات مقالات وذكريات. (مجموعة مقالات).

٣٦. عطاريات: مقالات في الدين والحياة. (مجموعة مقالات).

٣٧. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة). مطبوع

٣٨. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة). مطبوع

٣٩. قضايا دينية وفكرية. مقالات.

٤٠. فيس بوك صائم.

٤١. في عيونهم.

رابعاً. دراسات فلسطينية:

٤٢. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة).

٤٣. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة).

٤٤. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة).

٤٥. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة).

٤٦. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات).

٤٧. مدينة القدس أخطار لا تتوقف. محاضرة

خامساً. دراسات أدبية:

٤٨. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـ (دراسة نقدية).

٤٩. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

٥٠. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات). مطبوع

٥١. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة). مطبوع

٥٢. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم. مقالات.

٥٣. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. رواية. مطبوع

٥٤. شخصيات عرفتهم. مقالات.

٥٥. العطار في بلاد المختار. رواية. مطبوع

٥٦. حكاية مواطن غزاوي. حكاية. مطبوع

٥٧. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات.

٥٨. أمي سلام عليك في الخالدين. مطبوع

٥٩. قصص وحكايات.

٦٠. شاميات. حكاية من حلقات مطبوع

٦١. أبي قصة حياة. مطبوع

سادساً. دراسات فقهية:

٦٢. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).

٦٣. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).

٦٤. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة). مطبوع

٦٥. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية).

٦٦. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).

٦٧. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).

٦٨. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة).

٦٩. قضايا اجتماعية. مقالات

٧٠. الصوم وتهذيب النفس. دراسة.

٧١. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

٧٢. كورونا بين المحنة والمنحة. مطبوع

٧٣. لو سمحت لحظة من فضلك.

سابعاً. في الفكر السياسي:

٧٤. إسرائيليات.

٧٥. مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة).

٧٦. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة)

٧٧. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات.

٧٨. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات

٧٩. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية مقارنة).

٨٠. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات)

٨١. أوراق عربية. (مقالات).

٨٢. تلخيص كتاب د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.

٨٣. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

٨٤. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات.

٨٥. أنا والسلطة والوطن. مقالات.

٨٦. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة).

٨٧. هموم كاتب ما بعد الهزيمة.

كتب تحت الإنجاز:

١. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.

٢. أنا والمسجد الأقصى.

المحتويات